1978 n° 62-63

# فهـــرس العـــدد

# إيــه سيــدتنا الجامعــة !
# أتبقــين فى ضلالــك هامعــة ؟ (1)

مولود قاسم نايت بلقاسم
الوزير لدى رئاسة الجمهورية
المكلف بالشؤون الدينية
ـ الجزائر ـ

**بســم الله الرحمن الرحيــم**
**والصلاة والسلام على أشرف المرسلين**

**حضرات الاساتذة الافاضل والاستاذات الفضليات ،**
**حضرات السادة والسيدات ،**
**اخوانى الطلبة ، أخواتى الطالبات ،**



**أود أن أبدأ هنا بما ختمنا به فى ورجلان ، فارحب بكم فى معقل لنا قبل الفتح وبعده ، وجد فيه فاتــح نوفمبر منذ البدء مهده ، لدى سفح الشلية والشلعلع ، وان كان هذا أو ذاك شبه أصلع ، مراتع تنتشى بالحرب عند الضرورة ، اذ ينادى المصير والصيرورة ، فى جبال ترى فى البارود النبراس ، وفى حمى الاستشهاد بهيج الاعراس ، فى باتنة عاصمة الاوراس !**

---

(1) كلمة افتتاح الملتقى الثانى عشر للفكر الاسلامى المنعقد بباتنة فيما بــين 4 ـ 11 شوال 1398 هـ ( 7 ـ 14 سبتمبر 1978 م ) .

امامنا للحضار والنقاش نقاط خمس ، سنطرقها بصراحة وجهارا لا بالتواء وهمس ، وستبقى هذه طريقتنا كما هى اليوم وبالامس ، حتى نعجز عن النطق والقراءة وان باللمس ، ونكون اذ ذاك أجدر بأن يطوينا الرمس ، ونختفى عن الضوء والشمس ، ولكن لن يلحق روح الملتقيات الطمس !

انها روح النقاش الحر ، الذى نذوق فيه الحلو والمر ، ونتلقى فيه أحيانا الشعير أكثر من البر ، لقدح زند الافكار الغر ، واستخلاص الفصوص الدر .

1) **النقطة الاولى هى** : « الاوراس أمجاد وانجاد »

نتطرق فيها لما للمنطقة من ليال وأيام ، ومن قعود وقيام ، وكم من ليلة هى أغر من يوم ، وهذا يعرفه وعاناه القوم ، المجبولون على الصبر والصوم ، وتدبير الاحداث وحسن العوم ، وعدم الخشية فى الحق من أى لوم ، والتضحية له بالرغد والنوم !

2) **والنقطة الثانية هى** : « الدين والعلم » ،

نبحث فيها ما يقال عن الدين ، من كل خصم أو سدين ، ومن جميع من ذمته بريئة أو مدين ، سواء بأعلاه أو سفلاه يدين !

هل الدين للعلم حقا مائق ، وعن كل تقدم صحيح عائق ، وليس لهما بالجو الرائق ، ولا بالاطار المناسب اللائق ؟ هل لأحد عن هذا الحجج الوثائق ؟ أين هذا العارف الذائق ، ذو الرأى المدعم الشائق ، والفكر الثاقب الفائق ؟ هل هو مخرج لنا من المضائق ، أم الى الهاوية بنا مندفع سائق ، بنفسه غير واثق ثائق ؟

3) **والنقطة الثالثة هى** : « نظرة جامعة على الجامعة » ، عن دور الاسلام فى تطويرها من جامع الى جامعة ، وكيف لم تعد شمسها طالعة ، وبدورها كما ينبغى ضالعة ، بل أصبحت لكل اهانة بالعة ، ولتقاليدها قالعة ، ولسلطتها بنفسها خالعة ، وأمام كل شرذمة هالعة .

وهكذا لم تعد مكانتها لامعة ، ولا ادارتها للفوضى قامعة ، ومن زميعة غدت زامعة ، ولم تعد لصوتها سامعة ، بل فى رضا بنديت (1) طامعة ، فاستحقت هذه الدراسة الجامعة ، بعزم وعين دامعة . إيه سيدتنا الجامعة ! أتبقين فى ضلالك هامعة ؟

فلقد قل فيك المحتوى ، وانخفض لديك المستوى ، وكاد ينضب المرتوى ، ويصبح المعين الزلال هو المشتوى ، وللطلاب الجادين هو المكتوى ، وللأخلاق والسلوك هو الملتوى ، وعن مصلحة الشعوب أقصى المنتوى !

4) **وبالنقطة الرابعة** : « الى مَ تيسر فى العالم الأسرة ، الى اليسرى أم العسرى ؟ » ، قصدنا الى اماطة الغطاء عما يعد للأسرة من مصير مختبل ، وان أصبح اليوم جد مستنبل ، من نداءات كم من مناد ، فى كل علبة ليل وناد ، على اركانها متهجم عاد ، وبموتها البطىء فرح شاد ، وبنعيها قبل الاجل رائح غاد ، والسرور الوقح عليه باد ، والكل يعى انه ليس بهاد !

لقد أحسنت هيئة الامم بعام المرأة (2) ، وعام الطفل (3) تقتضيه المروءة ، وثلاثة للرجل والعاجز والحيوان (4) عين الجرأة ، للشر عنهم جميعا دفع ودرأة .

فكيف يعقل أن يبقوا بدون عام ؟ ألن يكون هذا بالخرق العام ، وبحسن المبادئ الجهل التام ؟ هل يسترخص الثلاثة كالمواد الخام ؟ أليس اهمالهم بالجرح السام ؟ أم أسكت عنهم ضجيج المرأة الصام ؟ ان هذا للبلاء الطام ، والخطر على البشر السطام ، وعن إنسيتهم الفاصل الفطام !

---

(1) كوهين بانديت ، الطالب الالمانى ـ الفرنسى الفاشل فى دراسته ، الذى كان منطلق فوضى عارمة فى مظاهرات مايو 1968 فى الجامعة الفرنسية كان لها أسوأ الاثر فيها وفى كثير من توابعها ، بل وفى العالم ، حتى أصبح الطلبة فى كثير من الجامعات هم الذين يحددون منهجية ومواد الدراسة ، فانخفض المستوى ، وشذ السلوك ، وأصبح الكثير الآن يشتكون .

2) و 3) و 4) كانت هيئة الامم المتحدة قد أعلنت سنة 1976 عاما دوليا للمرأة ، وسنة 1979 للطفل ، ونحن نقترح عليها هنا اقرار ثلاثة أعوام أخر : للرجل ، والعاجز ( من رجل وامرأة طبعا ) والحيوان ، بقطع النظر عن فعالية أو شعرية هذه الاعوام !

فاذا أصبحت محنة الرجل دائمة ، وحياته فى العالم أضحت عائمة ، والقيامة عليه دوما قائمة ، والمصائب عليه من كل صوب حائمة ، وكاد أن يبيت دون السائمة ، حتى غدت نفسه معقدة له لائمة ، والحظوظ عن مصيره نائمة ، وهو مهمل كالحيوانات الهائمة ، وتئن بذلك الآن هيئات عديدة ، بأسماء متنوعة جديدة ، قوائمها فى أوروبا مديدة ، واحتجاجاتها كل يوم شديدة ، وآراؤها غالبا سديدة ، « للدفاع عن حق الرجل » ، كى لا تقطع لجنسه الارجل ، فان مأساة العجزة رجالا ونساء ، والاطفال الصغار البؤساء ، والحيوان الابكم صباح مساء ، لتبدو فظاعتها خاصة فى كبرى العطل ، حيث يشتد على القوم الخطل ، فيلقون بالعجزة فى الملاجى ، التى ليست اطلاقا بالمناجى ، بل هى للموت حقا عن المراجى !

انه ليرمى بالكلب عنوان الوفاء ، من سيده صاحب الجفاء ، مطرودا موكولا للشارع ، يجوبه كالتائه الذارع ، من الانسان « الذكى البارع » ، أو يربطه للموت بالعمود الفارع ، والمسكين من الجوع والعطش كارع ، الا إن هرع اليه صدفة هارع ! انه الانسان للشر الزارع ، وان كان تذبا الى الله الضارع ، والموعد الحق هو اليوم القارع !

هكذا تربط الكلاب بالاشجار ، حيث يعذبها الصغار بالاحجار ، وكل ذلك لراحة الفجار ، الذين هم بالارواح التجار ، اذ لم يجدوا ضدهم الزجار !

5) **والنقطة الخامسة** هى : « ماض ومضى هى الجزائر ، وليست بطفل ولا طيف زائر » ، نذكر بها شبابها بماضيها العريق ، وبالمعدن الاصيل لا الزائف البريق ، ولئن أصاب بعض الاذهان الحريق ، فتاهت وضلت عن سواء الطريق ، ونالت فى نظر العلم نصيب الغريق ، فالمؤرخون ليسوا طرا من هذا الفريق !

نلقن بها الشباب تاريخ الوطن الأم ، الذى زيف ليكون له فعل السم ، حتى قيل عنا : « هم عن معنى الدولة والامة الصم ! » ، بينما التاريخ يروى عن الامجاد الشم !

أليس ماسنيسا أول من قال : « افريقيا للافارقة » ؟ (5) ألم يذكر ذلك رومان وأغارقة ؟ وهل تنكرونه اليوم مغاربة كنتم أو مشارقة (6) ، شيعة أو أشاعرة أو أزارقة ؟ فلقد أقربه أحبار وبطارقة !

---

(5) حرب يوغورطا . (1) Salluste : *Bellum Jugurthae.*

(6) بمعنى « مشارق الارض ومغاربها » و « رب المشرقين ورب المغربين » ، أى مخربشى العالم كله ، عدا النزهاء الذين أشرنا اليهم ، وهم موجودون أيضا ــ والحمد لله ــ فى العالم كله .



من اليمين  الى اليسار السادة :
النقيب بلقاسم نواصرية ، مسؤول بالقسم العسكرى وممثل لقائد القطاع العسكرى السيد أحمد لقبايلى فى باتنة ، نور الدين صحراوى ، والى باتنة ، مولود قاسم نايت بلقاسم ، وهو يلقى كلمة الافتتاح ، والمقدم محمد علاهم ، قائد المدرسة التطبيقية لأسلحة القتال بباتنة وممثل قائد الناحية العسكرية الخامسة .

وان ينكر الحقيقة ناكر ، فهو محرف مزيف ماكر ، لا يشكره صادق ذاكر ، لا بالعشى ولا فى باكر ، فى خيم نشأ أو دساكر !

هذا بعض تاريخنا وان نسى أو تنوسى ، ولم ير البعض منه الا الرومى (7) والفرنسى ، والباقى أصبح المعدوم والنسى المنسى ، كأن لم نكن شعبا بين الاناسى ، كالنبىء يوسف فى قعر الحاسى (8) !

واذا كان صحيحا أن التاريخ ذاكرة الامم ، وان باعتباره تبلغ القمم ، وصـــدق شوبنهاور ان التاريخ للأمم عقل الافراد (9) . وانه للعاقل ليس كالاوراد ، وان تزييفه كتزييف العملة ، يضر البشرية فى الجملة ، وان على الامم منه استخلاص التجارب ، واقامة العدل والتقارب ، فهذا مغزى طرق ملتقاكم ذه النقطة ، مع تجنب كل مبالغـــة وسقطة ، والدقة فى العرض وإحكام اللقطة ، والا سخطنا من الله سخطة ، ونضب علمكم وأقحط قحطة !

أعاذنا الله من ذلك شره ، ولا أرانا غدا حره وقره ، وجنب كلاًّمِنَّا من غيره ضره ، وليغفر للخائف من النقاش فره ، وعد فى الحسنات للجرىء كره ، وفسح لنا فى العلم بحره وبره ، واشع على ملتقانا نوره ودره ، رفعا ونصبا ووقاه جره ، والسلام عليكـــم سلاما أغزره وذره !

---

(7) المقصود به جميع المحتلين للبلاد قبل الاسلام ، من رومان ، وروم ( بيزنطيين ) ، ونـــدال ...

(8) البئر ، غيابات الجب ( سورة يوسف )

(9) شوبنهاور :

Schopenhauer : (Aphorismen) « *Was die Vernunft dem Individuum, das ist die Geschichte dem menschlichen Geschlechte* ».

# الاضطـــرابات الثـوريـــة
# فى الجنـــوب القســنــطينى
# ( نــوفمبــر 1916 ـ ينـــايــر 1917 )


د. شارل روبـير آجرون
الاستـاذ بكلية علوم الانســان :
معهد التاريخ ـ جامعة فرانسوا
رابلى ـ تور ـ ( فرنسا )




**من الثابت الشائع ، ومن الصحيح أيضا أن الاوراس« هذه المنطقة القبائلية الجنوبية »كان أحد معاقل المقاومة الجزائرية طيلة الحقبة الاستعمارية كلها : ألم يكن مسرحا لثورات متكررة تكاد تكون دورية ؟ على أن مسجلى الاخبار والوقائع ربما تساهلوا كثيرا لدى تعدادهم لهذه الثورات، فى ربط ثورات 1859 ، 1860 ، 1864 ، 1871 ، و 1879 بانتفاضات سنة 1916 ، وقد تحدث بعضهم عن ثورة كبرى للأوراس فيما بين نوفمبر 1916 ومايو 1917 ، ومهما كان فى هذا القول من مبالغة فان المرء لا يسعه الا أن يقتنع به لدى تحليله للاضطرابات التى هزت الجنوب القسنطينى طيلة شهرين تقريبا ، من الحضنة الشرقية الى جبل شرشار ، أما الاوراس فى حد ذاته فلم تلحقه هذه الاضطرابات الا قليلا » (1) .**

وفى حدود عرض قصير كهذا : سنقدم لمحة تاريخية موجزة عن الحوادث ، مع العنايـة بعد ذلك بتقييم خاصياتها وأسبابها ، وذلك بنقد مختلف التفسيرات المقترحة لها بوجه خـــاص ٠

غير أن هذا البحث المستند الى الوثائق الفرنسية وحدها ، لا يمكن أن يكون وافيا ، فهو قد يستدعى ، كتكملة له ، تحقيقا استرجاعيا ( استذكاريا ) لدى الجزائريين الذين شاركوا فى الحركة التمردية ، ومراجعة ما يمكن أن يكون محفـــوظا من الوثائـق بشأنها (2) ٠

## 1 ـ لمحة تاريخية عن الحــــوادث ،

فى العاشر من شهر نوفمبر 1916 ، أخبر الوالى العام للجزائر الحكومة الفرنسيـة بأن حالات مقاومة التجنيد الاجبارى التى بدأت منذ نهاية شهر سبتمبر قد أخذت منعطفا يبعث على القلق فى الجنوب القسنطينى حيث سجل خلال اثنى عشر يوما ثمانية عشر اغتيالا أو محاولة اغتيال ٠ فى بلدة ( بريكة ) الممتزجة اضطرت سرية عسكرية صغيرة، جاءت للتأثير على السكان ، الى التراجع أمام عزم هؤلاء السكان المهدد بالانفجار ٠ ٠

وفى بلدية الاوراس الممتزجة ، قدم « دوار » واحد مجنديه ، كما ان حاكم هذه البلدية كان يتوجس خيفة من هجوم قد يشن على ( مدينة ) ٠

وقد وقع هذا الهجوم بالفعل غداة ذلك اليوم ، ولكن بعيدا عن هذا المكان فى الواقع ، اذ شن على برج « ماك ماهون » مقر البلدية الممتزجة لعين توتة ، فبعد أن تمت بهدوء عملية الفحص العسكرى لاختيار المجندين بمحضر نائب عامل العمالة لباتنة ، وهو « كاسينيلى » والحاكم « هنرى مارساى » قام جمع يقدر بما بين 800 و 1500 رجل ، فى الليلة ما بين 11 و 12 من الشهر بالهجوم على القرية ، فأحرقوا ونهبوا البرج غـــير المحروس ، وقتل فى هذا الهجوم الموظفان الفرنسيان ٠ وفى نفس الليلة ، قتل عريف من رجال حرس الغابات فى محطة تاماران كما اتلفت مزرعة فى بلدية بريكة بالقرب من نقاوس وفى يوم 12 طوقت قرية بريكة وتواصل حصارها حتى وصول سرية عسكرية فى الليلة التالية ٠ وفى يوم 14 ، هوجمت تشكيلة من جنود الزواوة بالقرب من سقانة ٠ وفى يوم 18 ، تعرضت نفس التشكيلة لطلقات نارية فى دوار تيلاتو المجاور ٠

وفى الايام الموالية ، ثار عدد كبير من دواوير بلدية بلزمة المتزجة ، والتحق رجال مسلحون بالاحـراش المحيطة بهـا ، ولا سيما فى جبل مستاوة كما سبق أن اعتصم بالجنوب رجال آخرون بجبال متليلى ·

وفى الشمال ، رفض أربعة أو خمسة دواوير فى دائرة قسنطينة وفى بلدية عـين مليلة بالذات تقديم مسجليهم « بعين كرشة » والتحق بعض هؤلاء بالجبال القريبة وهى جبال قريون و فرجوج و بوعريف وتم إختطاف بعض المسجلين للتجنيد · وفى يوم 18 هاجم نحو مائة من رجال أولاد صباح ببلدية عين القصر قرية شمورة القديمة المأهولة بالمسلمين ، وأعرضوا عن قرية شمورة الجديدة المأهولة بالمعمرين ·

وظلت قبائل الاوراس ، التى كان يتخوف منها ، متركبة ، باستثناء فرقتين من دوار زلاطو لدى بنى بوسليمان ، وقد أعلن العصيان 1500 من سكان هذا الدوار البالغ عددهم 35 ألفا ، وأظهروا ذلك ببعض أعمال النهب · وفى بلدية خنشلة المتزجة ، حمل السلاح غداة يوم 11 نوفمبر عدد من عشائر دوار أولاد ششار ( وهم بين 2 و 5 حسب المصادر ) وكذا دوار علينـاس برمته ·

وقد تشكلت فى الجملة ثلاث مناطق تمردية : أهمها فى : « بلزمة » و متليلى وسهل بريكة ، والمنطقة الثانية فى الاوراس الشرقى وششار ، والثالثة فى الجبال الواقعة بين عين كرشة و خنشلة ( فجوج بوعريف ) ·

وأول ما قامت به القيادة العسكرية الفرنسية التى لم تكن تتوفر فى الواقع الا على ستة آلاف جندى فى حالة استعداد للقيام بالعمليات العسكرية ، وهم من السنغاليين المعسكرين ببسكرة خاصة ، وهو استخدام هذه القوة لحماية مراكز المستوطنين ( مثل بيرنيل وكورناى وغيرهما ··· ) والنقاط الاستراتيجية مثل : أريس وطكوت ·· وأمام سلبية المتمردين النسبية الذين اقتصروا على بعض أعمال « لتخليص اخوانهم المجندين بالقوة » انتقلت القيادة العسكرية الفرنسية الى الهجوم المعاكس فى 18 نوفمبر · وقد وجهت القوات السنيغالية للقيام بعمليات فى جبل بوسدآن ثم فى مستاوة حيث خسرت

عشرة قتلى فى الخامس من شهر ديسمبر • ثم قامت طوابير من جنود الزواوة والسنيغاليين من 19 الى 30 ديسمبر بتمشيط « بلزمة » التى سبق أن طوقتها القوات العسكرية وكان لابد أيضا من تعزيز حاميات الاوراس •

ولما تبين أن عدد الجنود غير كاف لاعداد مثل هذه العمليات ، طلب الجنرال دى بونيفال مزيدا من المدد مساء يوم 30 نوفمبر عندما بلغه نبأ هجوم شنه الثائرون على قافلة عسكرية بالقرب من برنيل ومكن المجندين من الفرار • وفجأة طالب الوالى العام ليتو الذى كان الى ذلك الحين يقلل من شأن هذه الحركة بلواءين اثنين من التعزيزات وبطائرات « لإرهاب الاهالى » وبعد لأى ، قبلت القيادة الفرنسية العليا بسحب لواء قوامه ست آلاف رجل من جهة القتال ، وارساله الى الجزائر ، وقد وصلت هذه الامدادات الى الجزائر للقيام بعمليات أواسط شهر ديسمبر ، واستمرت هذه العمليات فى شهر يناير : اذ جابت سرايا عسكرية كل المواقع الجبلية مفتشة الانفاق والمغارات ، وملقية القبض على العصاة والفارين • وقد قامت بعملياتها فى مستاوة و متليلى و شثار و الحضنة والاوراس (3) •

وكان معظم هذه العمليات عبارة عن مجرد دوريات بوليسية ، اذ لم تنشب معارك بعد شهر ديسمبر 1916 كما لم تحدث مقاومة مسلحة ، على أن الادارة المدنية حفظت بصفة رمزية تاريخ 24 يناير 1917 الذى أطلقت فيه بعض عيارات نارية على حاكم بلدية المعاضيد الممتزجة واعتبرت هذا التاريخ نهاية للحركات التمردية • وفعلا ، فقد اعتبر الجنرال دى بونيفال الثورة فى حكم المنتهية منذ الخامس يناير باستثناء ناحية شثار ودوار زلاطو ، واقترح الوالي العام فى 19 يناير ارجاع لواء المشاة رقم 250 الى فرنسا • ولكن هذا اللواء لم يلتحق بفرنسا الا فى شهر مارس ، وبعد المشاركة فى « عمليات كان القصد منها هو اظهار القوة العسكرية » حتى فى بلدية عين مليلة ( جبل قريون ) ولم تنته العمليات العسكرية فى نظر الجنرال دى بونيفال الا فى 27 أبريل •

وكان القمع ـ حسب ما جاء فى تقرير مفتش البلديات الممتزجة ديبونت Depont « على ما يجب أن يكون عليه ، سريعا وصارما ، ولا هوادة فيه » ، وقدر الجنرال دى بونيفال الذى خسرت قواته 15 قتيلا و 30 جريحا ، ومفقودين اثنين ما منى به

المسلمون من خسارة خلال العمليات بنحو مائة قتيل · الا أن هذا الرقم كان يبدو فى الواقع للنواب البرلمانيين أعضاء لجنة الشؤون الخارجية التى جاءت للتحقيق فى عين المكان ، أقل مما هو فى الواقع · وقد شنع تقرير أعضاء اللجنة بهذه « المذبحة التى لا يمكن قبولها » تلك المذبحة التى كان يطلق فيها النار أحيانا على الاشخاص الفارين · واستنكر التقرير ما حصل من رفض استسلام دوار أولاد مسعود لكونه جاء متأخرا · كما أدان النواب البرلمانيون أساليب الانتقام الجماعى المتمثل فى احراق المشاتى ( المداشر ) وافراغ المخازن ، ومصادرة الحبوب والمواشى ثم بيعها ، وقد اشتكى الجنرال موانيه ذاته من تجاوزات جنود الزواوه من أوروبيى الجزائر الذين « تسببوا فى اثارة أحداث بلدية بلزمة » · ولا تزال ذاكرة الجزائريين الجماعية تذكر بوجه خاص أعمال « السود السنيغاليين الذين كانوا يضرمون النيران، وينتهكون الاعراض، ويقتلون» (4) ·

ان مجرد هذا التذكير بالوقائع ليطرح السؤال الاول الآتى : ترى أيكون القمع العسكرى قد قضى فى المهد على ثورة أوسع ؟ ذلك ما لمحت اليه التقارير العسكرية ، لكن دون التأكيد عليه · ويقول نبأ اعتمدته القيادة العسكرية : ان ثوار الاوراس وشمشار ربما قرروا فى سيدى فتح الله مهاجمة « مدينة » ثم أريس و تكوت فى الليلة بين 28 و 29 ديسمبر ، وذلك للتأثير على المتمردين · ويقال بأنهم لم يعدلوا عن مشروعهم الا عندما شاهدوا وحدات مسلحة بالرشاشات والمدافع · الا أن هذه المعلومات مستقاة من مصدر وحيد ، ولم يمكن التثبت منها ·

ويرى المدنيون بأن الرعب الذى أثاره سرب طائرات فارمان كانت له آثار ايجابية · والواقع أن الطائرات الست القادمة من التراب التونسى قد قامت ببعض تحليقات استكشاف ابتداء من فاتح فبراير ، وسرعان ما لحقت أضرار بثلاث منها عرضا · وقد لاحظ حاكم خنشلة بأنها « كانت موضوع تسلية لايثار رهبة » · لذلك أخذت ابتداء من 12 فبراير فى القاء بعض القنابل بعيدا عن القرى ، وذلك على سبيل الانذار · واذا كان هناك من أثر رادع فليس مرده الى الطائرات بل مرده دون شك الى مضاعفة عدد الجيوش المستخدمة البالغ فى فاتح ديسمبر 1916 ـ 6142 جنديا ، و 106 ضابط ، والبالغ عددها فى فاتح يناير 1917 ، 13892 رجلا و 275 ضابط · لكن يجب أن نلاحظ بأن حركة

العصيان هذه أخذت تتراجع قبل وصول القوات القادمة من فرنسا وقبل اقحام هـذه القوات بالفعل فى العمليات العسكرية فى 22 ديسمبر (5) مما يسمح بالتساؤل الثانى التالى · ترى ألا يمكن أن تكون الثورة أقل شأنا مما كانت السلطات العسكرية تتوقعه فى البداية ؟ فاذا كانت حركة العصيان ، ورفض التجنيد وتسخير العمال قد شملت منطقة واسعة جدا ، فانها شملتها فى الواقع بصورة غير متكافئة · ولسوء الحظ ، لا يمكن أن نثبت على وجه اليقين عدد الدواوير أو الفرق المتمردة : فهو يتراوح بين 22 و 30 من جملة 113 دوارا على ما يبدو ، ويختلف ذلك بين أن نأخذ بعين الاعتبار تلك الدواوير التى تدعى بالدواوير « المشمولة بالعدوى » أو لا نأخذها · وحسب ضباط المخابرات الذين كانوا يضعون فى عداد « الثوار المتمردين » تلك الدواوير التى رفضت التجنيد أو سمحت بارتكاب أعمال تخريب ، فان 22 من الدواوير المأهولة بـ 75068 ساكنا قد سلكوا سبيل التمرد والعصيان · وهكذا تبلغ نسبة الفرق التى شملتها هذه الحركة نحوا من 22٪من سكان دائرة باتنة ·

(6) ( راجع الجداول المرفقة ) ·

وأخيرا فان هذه الثورة لم تعبىء ــ على ما يبدو ــ غير الفارين الذين هربوا بأسلحتهم، والمتمردين ذوى الاسلحة المتباينة ، وقليلا جدا كان عدد الجزائريين الآخرين الذين شاركوا فى هذه الحركة ، ويرجع ذلك دون شك الى افتقارهم للاسلحة (7) كم يمكن أن يقدر عدد هؤلاء « الرجال المسلمين المعتصمين بالجبال » ؟ ان اللجنة التأديبية التى نصبت فى باتنة « للادانة فى القضايا التى قد لا يقنع القضاء فيها بالحجج غير الكافية » قد أدانت ــ حسب تقرير لجنة النواب البرلمانيين ــ 805 من المتهمين القصارى من بين 825 متهما ، وأن 165 متهما من الراشدين قد حوكموا أمام مجالس الحرب ، وهذا لا يعنى أن هناك فقط نحـوا من ألف ثـائـر ، بل يقوم دليلا على مدى اتساع الحركـة · وقد قدرت مصالح المخابرات العسكرية عدد الثوار فى البلديات الثلاث المعنية جدا بـ 2614 ثائرا ، وعدد ثوار بلدية الاوراس الممتزجة بـ 290 ثائرا · (8)

وفى الجملة ، يبدو أن التحدث عن ثلاثة أو أربعة آلاف من المتمردين المنظمين بقدر أو بآخر من بين بضع عشرات الآلاف المعدودين فى عداد المتمردين فى ناحية يسكنها أكثر

من 300 ألف ساكن ، أمر يطابق الواقع • وأكيد أن اثنين من سامي الموظفين اقترحا في روايتهما التاريخية للحوادث بصورة خاصة أرقاما أعلى (9) • الا أن نقد المصادر لا يسمح بالاخذ بها • كما انه من الخطأ أن نحصر ـ باسم ما لا أعلمه من الرومانطيقية ـ هذه الثورة في « الشاوية المتصلبين من سكان جبال الاوراس » « حادثة » فاندى « هذه للقضايا الخاسرة » كما قال أحد المروجين الفرنسيين •••

لكن السؤال يجب أن يطرح : ما هي الاسباب الحقيقية لهذه القلاقل والثورات التي قامت بالجنوب القسنطيني والتي ألهمت كل هذا الادب الاستعماري الخصب والمشبوه في نفس الوقت ؟

## 2 ـ محاولـة تحقيـق تاريـخي •

لقد كان حرصنا على اعلام نزيه ، هو نفس الحرص الذي كـان يبديه أيضا بعض المعاصرين لهذه الاحداث • فقد طلب كليمونسو في 16 نوفمبر 1916 ، وكان حينئذ رئيسا للجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالجيش ، أن تقدم له معلومات صحيحة عن أسباب وطبيعة هذه الاضطرابات • وأجابه وزير الحرب بصراحة صارمة : « لقد حلت محل الحماس الذي قام في بداية الحرب كراهية تزداد شيئا فشيئا للخدمة العسكرية ، تلك الكراهية التي من أسبابها الخسائر التي منى بها الجنود القناصة الجزائريون • (10)
ويجب أن يضاف الى دواعي الاستياء هذه في الجنوب القسنطيني ، الحقد الكامن المتراكم والناشيء عن قيام مراكز المعمرين ( ماك ماهون ، كورناي ، باستور ) تلك المراكز التي تدفع بالدواوير الى أراض قاحلة تقريبا » • (11)

وقدمت تشخيصات أخرى كثيرة يمكن للمؤرخ أن يعتمد منها أحكام السيناتور فلاندان التي ضمنها لتقريره المفصل الذي رفعه الى لجنة الجيش في 16 نوفمبر 1917 ، وتشخيصات وزارة الداخلية بتاريخ 23 ديسمبر 1916 • الا أنه يجب اللجوء أساسا الى تحقيقين أجريا في الجزائر ، وقد أجرت احدهما لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب في مطلع سنة 1917 ، وأجرى التحقيق الثاني بعد ذلك المفتش العام للبلديات الممتزجة أوكتاف ديبون Octave Depont (12) وجميع هذه النصوص المتناقضة بشكل واسع يجب أن تفسر وتقرأ بمنتهى الحيطة ولا سيما التقرير الكبير الذي رفعه ديبون

Depont في فاتح سبتمبر 1917 ( 454 صفحة مطبوعة ) ٠ انه لعمل جدلي كتب لتبرير موقف الادارة المدنية ، وعمل تدوى فيه العواطف الاستعمارية ، وهو أيضا عمل صدر عن رجل اختصاصي يحركه هلع حقيقي من الطرقية الاسلامية ومقتنع سلفا بأننـا « نجد دائما يدا مرابطية وراء كل هذه الانتفاضات التي يقوم بها الاهالي ضدنا » (13) أما النواب البرلمانيون أعضاء لجنة التحقيق فقد رفضوا هذا التفسير وكتبوا يقولون : « ولم يكن لتعصب المسلمين دور في اضطرابات باتنة . كما ان التأثيرات الطرقية كانت ـ على عكس ما يقال ـ لفائدتنا نحن ٠٠٠ » ٠

ولا تتفق مختلف التقارير أيضا على مسؤوليات مرسوم 14 سبتمبر 1916 ( الذى ينص على تشغيل العمال أو تسخيرهم اذا لزم الامر ) ، وعلى اثر الدعاية الاجنبية وأهمية الحوادث ٠ فأوكتاف ديبون مثلا . حين يتحدث عن « اعلان الثورة » في 11 نوفمبر 1916 ، انما يعتمد نظرية انتفاضة سياسية ، بينما يرى النواب البرلمانيون ، على العكس أنه « ما من لحظة واحدة ، اتسمت الحركة بطابع حركة ثورية موجهة ضد السيادة الفرنسية وسيطرتها » ٠ فهذه الاحكام المتناقضة تستدعى تحكيم المؤرخ الذى قد يدفع ـ وهذا صحيح ـ الى اعطاء تفسيرات تختلف عن التفسيرات التي يذهب اليها المعاصرون للاحـــداث ٠

فعليه أولا أن يستمع الى شهادات الجزائريين بعناية أكثر مما فعله فرنسيو ذلك العهد ٠ فما تم الاحتفاظ به من هذه الشهادات يسمح بتخيل ردود فعل الرأى العام ٠

## اولا ـ شهـــادات الجـزائريين ٠

لم يكن بعض الجزائريين الذين اعترض سبيل مراسلاتهم ، يخفون آمالهم في بداية الحرب ٠ فقد كتب أحد المثقفين في طولقة الى شاب جزائرى بمدينة الجزائر يقول : « لقد وجدت الافكار مضطربة جد الاضطراب في بسكرة (14) ٠٠٠ وأرجوا أن تحدث ثورة كبرى يمكن أن نسميها بالثورة الجزائرية (٠٠٠) ان الايام المقبلة علينا ببشائـر ، وان الاخوان لفي فرح كبير ، وان شفة الزمان لتبتسم » (15) وهو بعد ذلك ، يشكو في رسالة وجهها الى شخصية ايطالية من « وحشية فرنسا » ، قائلا : « انها تجند أبناءنا

وترسلهم الى الموت ، وهى تدفع بهم الى الصف الاول عند التلاحمات والهجومات ، رغما عنهم ، وكأنها تشترى أنعاما من السوق (٠٠٠) فلماذا نشن الحرب على الالمان ؟ لان فرنسا وضعتنا فى صف الانعام، وتدفع بنا دفعا لمقاتلة أناس ليس بيننا وبينهم أى علاقة ولا أسباب عداوة (٠٠٠) عاش السلام ! وعاشت افريقيا الشمالية حرة مستقلة ومتخلصة من قيد العبودية ! » ٠

وعلى الرغم من أن هذه الشهادات الوطنية شهادة وحيدة من نوعها ، الا انها تترجم دون شك عن مشاعر أوسع ذيوعا وانتشارا ٠

وفى ناحية بريكة ، كان الناس يقولون فى سنة 1916 ان ألمانيا على وشك الانتصار ، وان فرنسا لسائرة الى الاندحار ٠٠٠ وكانت تنبؤات وأهازيج تعلن عن ثورات قادمة : « سيكتسح فيها التل ، ويحال الى رماد ، كما يسحق القش الحقير من سطيف الى برج بوعريريج » وكانت الجزائر قد جردت من فيالق الجنود العاملين الذين أرسلوا الى الميدان، وكانت أغنية نضمت فى الحضنة تؤكد بأن « المسيحيين ذهبوا بسراياهم ، وابتلعتهم أمواج البحر ٠٠٠ » ولم تزدد هذه الاشاعات الا انتشارا من سنة 1914 الى سنة 1916 ٠

وفى 15 أكتوبر 1916 ، كتب عامل عمالة قسنطينة الى الوالى ليتو Lutand يقول « لقد راجت شائعة مفادها أنه اذا كانت الحكومة لا تجند الشباب فقط ، بل تعمد أيضا الى تعبئة الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين الاربعين والخمسة والاربعين ، لتأخذهم كعمال ، فذلك لاننا بحاجة أكيدة الى الرجال » ، وقد اعترف كثير من المجندين الهاربين الذين ألقى القبض عليهم فى شهر ديسمبر 1916 قائلين : « لقد قيل لنا بأنه لم يبق هناك فرنسيون » ، وقال آخرون انه لم يعد يشاهد فى بسكرة وباتنة الا بعض جنود من « الزواوة ٠٠ والجنود الاضافيين المحليين ذوى اللحى البيضاء » ، الذين لا تبدو عليهم أى مهابة ٠ وكان أحد رؤساء الثائرين فى متليلي وهو محمد بن النوى يشجع رجاله قبيل مهاجمة مركز « ماك ماهون » صارخا فيهم : « الى الامام ! الى الامام ! أأنتم خائفون من عشرين جنديا من جنود الزواوة ؟ » ٠

كذلك فان ما يثيره التجنيد الاجبارى من نفور لدى السكان الجزائريين لم يفتأ يزداد اتساعا ٠ ففى نهاية شهر أغسطس من سنة 1914 ، أشار حاكم بريكة الى « بداية حركة

اضطراب مبعثها الاعمال التحضيرية للتجنيد » • ورد الناس على حاكم الاوراس قائلين . « نحن على استعداد لامدادكم بكل ما تطلبونه منا ، بأموالنا ومحاصيلنا ، ولكننا نفضل الموت هنا على أن نمنحكم أبناءنا » وترددت كثيرا صرخة احتجاج انطلقت باديء ذى بدء فى ناحية وادى عبدى وفحواها : « نحن لا نريد أن نقدم أبناءنا للسلطة الفرنسية لكى تجعل منهم مرتعا لمدافع أعدائها ) • (16) وأمام هذه الضروب من ضروب المقاومة ، عمدت السلطات العسكرية الى ارسال سرية كبيرة الى الاوراس لتقوم بتحركات من 29 الى 11 نوفمبر 1914 ، كما عدلت عن استدعاء المجندين • وقد استدعى للخدمة العسكرية فى مجموع بلديات دائرة الاوراس 123 رجلا فى سنة 1914 ، ولكن هذا العدد قد ارتفع فى سنة 1915 الى 246 رجلا ، وفى سنة 1916 الى 506 رجلا • وبالنظر الى المتطوعين ، والمستخلفين ، نجد الارقام الحقيقية للمدعوين الى الخدمة العسكرية قد بلغت فى الواقع سنة 1914 ، خمسة وسبعين وفى سنة 1915 مئة وثمانية وثلاثين ، وفى سنة 1916 أربعمائة وتسعة عشر رجلا •

وقد أثار تجنيد البالغين سن الخدمة العسكرية سنة 1916 والذى تم فى 2 أغسطس فى بلدية بريكة ، وفى النصف الثانى من الشهر فى غيرها من البلديات ، احتجاجات حادة للغاية • غير أنه حين علم الناس فى نهاية شهر أغسطس بنبأ احصاء الافواج المجندة فى سنة 1917 والتى ستجند برمتها بينما يسخر الرجال للعمل فى فرنسا ، كان الرأى العام مجمعا تقريبا فى الدواوير الى درجة أن الحكومة نظمت عملية تجنيد اجبارية لجميع الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 45 سنة • كما انه جرى الحديث عن الغاء تراتيب الاعفاء بسبب أعباء الاعالة ، وحق التعويض والاستخلاف ، وهكـــذا شعرت جميع هذه العائلات بأنها مقصودة بالذات ، وتضامنت جميعها فى الاحتجاج • فقد صرخ رجال قرية طالب من دوار متكواك ( بلدية بريكة الممتزجة ) فى وجه الحاكم فى الرابع والعشرين سبتمبر 1916 قائلين : ( نحن لا نبذل أبناءنا • ونفضل أن نراهم يموتون فى الجزائر بدلا من فرنسا » ، وقد روى جزائريون من توقرت ، بعد رحلة لهم الى باتنة أن « الغليان الذى كان يسود منطقة الشمال مرده الى الاوامر الصادرة بعدم السماح باستخلاف المسجلين للتجنيد ، وبشمولية التجنيد للجميع من سن 18 الى سن



منظر جانبى من القاعـــة

45 سنة ٠ وان كل من لم يؤخذوا جنودا سيؤخذون عمالا ، مالم يكونوا من أصحاب العاهات ٠٠٠ لذلك أعلن سكان الجبال رفضهم وأنهم سيعمدون الى الثورة بدلا من الاستجابـــة » ٠

وكذلك احتج أعيان مدن القطاع القسنطيني ضد استدعاء فئة شباب 1917 ، ثم ضد تسخير العمال ، ومما جاء فى عريضتهم قولهم : « ان التخلى عن النساء والاطفال والاموال من أجل العمل فى فرنسا هو تضحية تتجاوز حدود قوانا » (17) ٠ وكان الوالى العام يرى فى هذا الاحتجاج حملة من تنظيم الشباب الجزائريين ، غير أن وزير الداخلية الذى أقلقه تضاعف رسائل الاحتجاج أوصى فى 28 سبتمبر بالتباطؤ فى عملية التجنيد عن طريق التسخير فى المناطق المستعصية ٠

لكن عدد المتمردين عن القانون والفارين لا يفتأ يرتفع فى هذه المناطق ٠ فقد أخبر القائد العسكرى لاقليم توقرت فى 15 نوفمبر 1916 بأنه « لم يبق لديه الا 85 من رجال الخيالة » من بين 150 فارسا الذين كان لواء الفرسان Spahis الموضوع تحت تصرفه فى سنة 1915 يتالف منهم » ، أما لواء الفرسان الثالث فى بسكرة فانه لم يعد يضم أكثر من ثمانية فرسان لخمسين جوادا ٠ وفيما يتعلق بالجنود القناصة الجزائريين ، فقد قدر عدد الذين تركوا وحداتهم المرابطة بالتراب الجزائرى ، بثلاثة آلاف ومائتين وأربعة عشر ( 3214 ) جنديا ، وذلك منذ سنة 1914 ٠ وكان 286 منهم من سكان دائرة باتنة ٠ أتكون الحركة حركة مبنية على تشاور واتفاق ؟ وقد انتظم بعض الفارين فى عصابات تقوم باعتراض سبيل القوافل وقطع الطرق ٠ وكانت « عادات الكرامة والشرف » هذه أحيانا تنصب رؤساء عليها مثل اخوة بن زلماط فى الاوراس ، أو ابن على محمد بن النوى الذين انتصبوا فى متليلى منذ سنة 1915 (18) ٠ وكان الفارون من الخدمة العسكرية والخارجون عن القانون يحرضون أبناء ملتهم على عدم الالتحاق بالخدمة العسكريـة ، بل وقد قيل بتهديد من يستجيبون داعى التجنيد فى بعض الدواوير ٠ وقد أوضح أحد الكتبة بأن رجال أولاد عوف من سقانة وكامل بلدية بريكة قالوا انهم لا يريدون اعطاء شبابهم المدعوين للخدمة العسكرية ، وان الدوار الذى يطيع اوامر الحكومة فى هـذا الصدد ستهاجمه دواوير أخرى ٠ ويرى هذا « الخوجة » أن اخلال بعض الدواوير الذين

سلموا مسجليهم للخدمة العسكرية هو ما قد يكون دفع شيخ سقانة الى أ نيقرر مهاجمة « ماك ماهون » بالاستعانة « بعصابات متليلى » (19) · واذا فرضنا صحة هذا الخبر الذى قد يكون مكذوبا ، رأينا أنه يكفى أن تصدر ايحاءات من شخص واحد من الدرجة الثانية لاضرام نار ثورة يتمناها كثيرون فى هذه المنطقة ·

غير أن هذه الثورة انما كانت ترمى فقط ـ على ما يبدو ـ الى حمل السلطة الفرنسية على التراجع فى مشروعاتها التجنيدية · وحسب الشهادات المجمعة الصادرة عن **هيئات الجماعة** فان « الثورة قد حدثت فقط بصدد أبنائنا » · « وكان يقال بأن المسلمين فى كافة أنحاء الجزائر سيقاومون القانون ، وأن الحكومة ستضطر بذلك الى التراجع » · وهكذا يتضح أنه ، باستثناء الهجوم الذى شن على مركز « ماك ماهون » لم تكن هناك أية حركة قائمة على الاتفاق والتشاور : فقد تمرد عدد كبير من الدواوير تباعا فى اليوم المقرر لاجراء الفحص الطبى على شبابهم المدعو للخدمة العسكرية · وبعض هذه الدواوير حال دون ثورتهم قيام عمليات عسكرية · وحسب رئيس فرع بسكرة ، فان مقاومة شاملة قد تقررت بين جميع سكان ( النمامشة ، والحراكتة ، وأولاد رشايش ) الجبليين منهم وسكان الهضاب العليا للقيام بثورة ضد فرنسا ، لكن من أجل المقاومة قدر الامكان » · غير أن القبائل المتبلبلة كانت فى منتصف شهر ديسمبر بسبب رؤيتها سرايا عسكرية تجوب « كل مكان فى آن واحد » فى قلق واضطراب كبيرين · (20) هذا ولم يمنع مع ذلك تكوين مجموعة أو عدة مجموعات مسلحة ، ومقدم جيش فى 22 يناير 1917 لتحرير مسجلين للخدمة العسكرية بالقرب من خنقة سيدى ناجى ·

**ثانيا : الضغائن والاحقاد من جراء الطرد الاستعمارى للسكان من أراضيهم ·**

يبقى علينا أن نجد تفسيرا ، لماذا كانت قلة من الدواوير هى المعنية فقط ؟ وأى هذه الدواوير هى ؟ ان حركة الخروج عن الطاعة التى بدأت منذ شهر سبتمبر 1914 فى بلديات بريكة ، وبلزمة ، والاوراس ، وخنشلة ، فقد اندلعت من جديد بعد سنتين فى سهل الحضنة الشرقى بعد فشل السرية العسكرية التى أرسلت الى بريكة · وقد عاشت شائعة منذ شهر أكتوبر باحتمال شن هجوم على الابراج ، وذاعت هذه الشائعة

حتى فى الاوراس ، ثم تجسمت بصورة غريبة بعد شهر من ذلك الهجوم على مركـــزى « ماك ماهون » وبريكة • وكان سكان قبائل أولاد سلطان ( دوارى أولاد عوف ومركوندة) وأولاد بوعون من بلزمة ( دواوير أولاد فاطمة ، ومروانة ، وأولاد الماء ) هم الذين كانوا أول الثائرين المتضامنين (21) • لماذا هذه الدواوير بالذات ؟ هنا نجد أن السكان الذين سبق أن ثاروا وصودرت أملاكهم فى سنة 1871 هم الذين شملتهم اجراءات الطرد من ديارهم قبل سنة 1916 بنحو اثنى عشر عاما من أجل انشاء مراكـز للمستوطنـــين الاستعماريين فى « كورناى » ( 1903) وفى « برنيل » و « باستور » •

واذ أصبح هؤلاء السكان محاصرين بين أعالى بلزمة والاراضى التى احتلها المعمرون ، لم يجدوا أبدا بعد أن فقدوا أسباب عيشهم من مضاعفة تطاولهم على الغابات ، ومن ثم نشوب صراع حاد بين مربى المواشى ومصالح المياه والغابات ، (22) فقد أوضح حراس الغابة مثلا أن « انشاء مركز « كورناى » قد دفع بثلاث « مشاتى » ( مداشر ) من دوار مروانة التى لا تتوفر على أى مرعى الى اللواذ بالغابة » (23) • وكان السكان قد أظهروا رد فعل قبل سنة 1914 باظهارهم ما اصطلح على تسميته « بمعاداة عنيفة لمراكـــز المعمرين » وذلك عن طريق مضاعفة الجنايات ومن أجل تدارك حالة اللا أمن التى خلقت سنة 1904 ، أمرت بلدية بلزمة الممتزجة فى سنة 1905 الحاكم الذى كان يسكن فى باتنة بالانتصاب فى « برنيل » وذلك ريثما يتم بناء برج ادارى فى كورناى • وفى نفس الوقت أصدرت محكمة باتنة الجنائية فى أقل من 18 شهرا ، أحكاما تبلغ فى مجموعها نحوا من 200 من الاشغـــال الشاقة من أجل اعادة النظام والامن الى نصابه •

وفى مثل هذا الجو والمناخ ، نفهم جيدا نفسية سكان هذه المنطقة : ففى شهر ديسمبر 1914 كانوا يطالبون جهارا بأراضيهم ويسرحون مواشيهم فى الاراضى التى أصبحت ملكا للمعمرين • بل وكانوا يحذرون هؤلاء بأنهم سيسترجعون أملاكهم بعد وقت قليل بمساعدة الالمان • فثورتهم كانت متوقعة اذن • ومما يلفت الانتباه عند تأمل الخريطـة أن الدواوير الواقعة بالقرب من الاراضى التى استولى عليها المعمرون حديثا هى الدواوير التى تأوى جميع الثائرين أو الفارين المسلحين ، فى حين ظلت الدواوير البعيدة عن هذه الاراضى هادئة ، وعلى ذلك تكون ثورة بلزمة فى سنة 1916 هى النتيجة الواسعة لحرب

بدأت فى الواقع سنة 1904 ، وأعربت عن نفسها من 1912 الى سنة 1916 بسبعة عشر اعتداء على أشخاص . فما من مهادنة قد حصلت ، بل ان الوضع الاقتصادى لم يزدد الا تدهورا ، وقد كانت المحاصيل صفرا فى سنة 1914 ، ورديئة فى سنة 1916 . لقد كان من المفروض أن يكون فى تفاقم البؤس ما يشجع على التطوع للخدمة العسكرية (24) الا أن الادارة المحلية خلقت متاعب فى وجه تسديد المخصصات اليومية العائدة الى الاسر . وفى 17 مارس 1916 وجهت لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس النواب دعوة فيها خشونة الى الحكومة « لتأمين الدفع المنتظم للتعويضات العائدة الى أسر الاهالى المجندين » ومع ذلك لم تكن اللجنة تعلم كل شىء ، اذ لم تتلق الا 121 أسرة فقط مخصصاتها المشروعة فى بلدية عين توتة الممتزجة مثلا لغاية 12 نوفمبر 1916 ، فى حين أن حوالى 250 أسرة كانت تنتظر هذه التعويضات حسب مفتش البلديات الممتزجة (25)، وهكذا فهو يتحدث عن « اهمال غير مقبول » .

### ثالثا : معارضة مراسيم سبتمبر 1916 .

ربما زاد من حدة الاستياء ـ حسب الرأى العام الفرنسى بالجزائر ـ تعطيل العمل المفاجىء بنظام الاعفاء والاستخلاف . فقد أوضح أحد النواب الماليين وهو ديلفان Delphin أنه لم تحدث الثورة الا لانه وقع المساس فى آن واحد بجميع فئات المجتمع الجزائرى ، ولم يقتصر الامر على العمال اليوميين والفقراء فقط . على أن هذه الحجة التى تبدو للنظرة الاولى حجة واضحة ليست صحيحة تماما . حقا لقد كان مرسوم 7 سبتمبر 1916 يسمح بتعطيل العمل بحق الاعفاء والاستخلاف ، ولكن الوالى العام أخبر فى 22 سبتمبر بأنه لا يسعه تطبيق مثل هذا الاجراء . وقد نال بغيته . وفى وزارة الحرب حيث كان المعتقد أن « تمديد التجنيد الاجبارى معناه الالقاء بالجهات صاحبة النفوذ من الوسط العربى فى أحضان المعارضة مما قد ينشأ عنه الخطر » عادوا الى الاخذ بحجج ادارة الجزائر : فقد كتب الوالى يقول : « ان الغاء الاستخلاف قد يجعل الطبقات الغنية تنفر منا » (26) واذا ظل العمل بنظام الاستخلاف قائما مسموحا به ، فذلك لان الشائعة المعاكسة راجت لدى الاوروبيين والمسلمين على السواء .

غير أن الابقاء على هذا النظام الجائر الذى يعفى الاسر الغنية وحدها ، ويؤدى الى تحايلات دنيئة كان ينتقص من سمعة الادارة الفرنسية • وبما ان السلطة العسكرية كانت تتشدد فى قبول المستخلفين ، فان الاسر كانت تعتقد انه كلما كان المستخلف ثقيل الوزن ، كان حريا بأن لا يرفض • ولذلك كانت تشترى الرجال تبعا لاوزانهم بأثمان تتراوح بين 20 و 30 « دورو » للكيلو غرام الواحد فى الشمال ، وأغلى من ذلك بكثير فى الجنوب القسنطينى ، ومن ثم قيام سوق حقيقية للاتجار بالرجال : فقد كان المستخلف يباع بثمن يتراوح بين 2000 و 3000 فرنـك ، وأحيانا بأكثر من ذلك سنـة 1916 ، وكان الاعيان ، وهم وحدهم القادرون على تدبير المستخلفين ، يدفعون مبالغ طائلة الى أسر المجندين ، بل وحتى الاعفاءات المشروعة ، أو التسريحات التى تحددها القرعـة ، وكان مقررا الغاؤها فى شهر أغسطس 1916 ، ثم أبقيت ، كانت ـ كما يقال ـ تجر رؤساء الفرق أو شيوخ القبائل الى طلب الرشاوى

وكان الذين يرفضون دفع الرشاوى لا يأمنون غائلة التجنيد ان فى أشخاصهم أم فى اخوتهم (27) • كما أن تسخير العمال كان يجرى أيضا على قوائم التجنيد العسكرى ، وكان الاعيان هم الذين يعينون من سيدعون الى العمل فى فرنسا ، ومن لا يدعون اليه • ومن المعقول اذن ، فى مثل هذه الظروف ، أن يجتاح العصيان والتمرد أفقر الدواوير بصورة خاصة ، وأن يشمل الاسر الاشد حرمانا تلك الاسر التى لم تكن تستطيع شراء المستخلف أو الحصول على اعفاء كخطوة من **كبارهم** أو **شيوخهم** (28) •

والحاصل انه عند الاستماع الى شهادات الجزائريين ، وعند التعرف على مدى حقدهم على اجراءات الطرد من أراضيهم ، ومعارضتهم لمطالب السلطات الفرنسية ، لا نجد بدا من الاقتناع بأن الاسباب الجوهرية والمباشرة للثورة كانت تكمن وراء التجنيد الكامل لفئة شباب 1917 ، وراء تسخير العمال •

### ثالثا ـ تفسيرات الادارة الاستعماريـــة •

#### أ ـ أهى الدعاية الالمانية ؟

على أن مناخ الحرب ، وذهنية الادارة الاستعمارية قد أثارت نمطا آخر من التفسير لهذه الثورات • فقد كان أوكتاف ديبون O. Depont يرى فى تجليات الدعاية الالمانية سببا لهذه الثورة » كما ان الوالى العام ليتو Lutaud لم يتردد فى التأكيد أمام النواب

الماليين أن « ثورة الاوراس كان ينتظرها الالمان » • الا أنه لم يقدم أى دليل فى تقاريره التى رفعها الى الحكومة بينما أجهد ديبون نفسه فى جمع بعض مؤشرات لا تقوى على الاقناع • حقا ، لقد أشار المخبرون المسلمون الى الشائعات الرائجة فى الدواوير والتى مفادها أن « أجانب جاؤوا لمساعدة بنى سليمان بالمدافع » • وقيل أيضا بأن « السنوسيين كانوا يعدون العدة لثورة تونس والحدود الصحراوية بقيادة ضباط من الاتراك والالمان والنمساويين » • بل وزعم بأن رجالا من الالمان ومن الهاربين من جنود اللفيف الاجنبى يوجهون العصابات الثائرة الا أن كل هذا محض افتراء •

هل يعنى هذا انه لم تكن ثمة دعاية أجنبية لحث الجزائريين على الثورة ؟ نحن نعلم ـ بالعكس ـ مدى المجهود الذى قام به الالمان والاتراك لاغراق الجزائر بعوامل محرقة : **دعوات الى الجهاد المقدس ، رسائل دن سى علـى باشا نجل عبـد القادر الجزائـرى ،** الخ ••• (29) وكان البعض يقول بمعارضة الاعيان للتجنيد الاجبارى ويخلص الى نتيجة مفادها أن « السكان ينبغى ألا يكتفوا بتقديم المطالب ، بل عليهم أن ينهجوا سبيلا أكثر قوة وفعالية » • (30) وهناك من كان يعد بنجدة تأتى من الجيوش العثمانية : « اعلموا أنكم اذا ما فجرتم ثورة فى بلدكم ضد العدو ، وطالت مقاومتكم ، فاننا سنهب بسرعة لنجدتكم موفدين من قبل أمير المؤمنين » • وكان هذا النص يعد بصورة قاطعة أن : « كل الممتلكات التى اغتصبها المضطهدون الفرنسيون من أجدادكم ستقسم على جميع الذين يشاركون منكم فى خلاصها » ومن بين كل هذا الادب الدعائى (31) « قصيدة موجهة الى الشاوية » لم يحتفظ لسوء الحظ بنصها ، ومناشير مكتوبة باللهجة العامية يفسر فيها التجنيد الاجبارى على انه دليل على خوف الفرنسيين • وانما تسعى فرنسا الى ابعاد الجزائريين والزج بهم فى أتون الحرب تفاديا لثورة قد يشنونها عليها (32) •

وطبيعى أنه يتعذر معرفة ما اذا كان للدعاية الالمانية التركية أى تأثير على مثقفى الجنوب القسنطينى • ومن المحتمل أن يكونوا قد أطلعوا على بعض هذه النصوص ، لانه قد تم احتجاز دعوة الى الجهاد فى خريف سنة 1916 وجهها سلطان اسطنبول (33) ، لكن حتى « الاخبار الكاذبة الناجمة عن المناورات الالمانية ، لم يكن لها سوى تأثير غير مباشر على الثورة » • ذلك ما خلصت اليه لجنة الشؤون الخارجية • فما من تأثر ، ولا مخبر

قد لمح أحداث طرابلس أو الى الحركة المناهضة لفرنسا ، تلك الحركة التى تزعمها فى « الريف » عبد المالك حفيد عبد القادر • ان سكان الحواضر هم وحدهم الذين قد يكونون بلغتهم أنباء ألمانيا تجعل من الامير خالد شريكا لعمه عبد المالك فى حركته •

**ب ـ نشاط الطرقية ؟**

والى جانب « الدسائس المعادية لفرنسا القادمة من الخارج » وهو التفسير الدائم والكسول الذى تعطيه ادارتنا الاستعمارية للاحداث ، عمد المفتش العام ديبون وجانب من الرأى العام الفرنسى بالجزائر الى اتهام العمل الخفى الذى تقوم به الطرقية الاسلامية ، « تلك الاهابات ، التى يهيب بها الصوفيون المعتكفون بزواياهم » كما قيل للنواب الماليين •

وحيث ان سكان بلزمة والاوراس كانوا أساسا من أتباع الطرقية الرحمانية ، وبمشاركة واسعة فى هذه الطريقة المتمركزة بالمنطقة منذ أمد بعيد ( نحو 6000 من الاخوان من بين 60000 ساكن فى بلدية خنشلة الممتزجة حسب ما يراه الكولونيل دى لارتيك De Lartigue فى سنة 1904 (35) ولكنهم 12334 من الاخوان فى سنة 1916 حسب الحاكم ) (36) ذهب كثير من الناس الى الاعتقاد بأنها هى السبب فى قيام الثورة • الا أنهم وجدوا بعض الصعوبات فى العثور على مسؤولين ، ( « اننا لم نستطع أن نكتشف حتى الآن يد أى شيخ من مشائخ الطرقية » ذلك ما أبرق به فى 23 نوفمبر الوالى ليتو Lutaud المسمونى المنافح الذى كان يفرز رجال الدين ) • ثم ان أوكتاف ديبون Depont جرم فى نهاية الامر زاوية طولقة التى كان نفوذها يشمل جزءا كبيرا من بلزمة ، وذلك لعدم « قيامها بأى محاولة لتهدئة الخواطر » وكان يؤكد بشىء من التحفظ أن النشاط الطرقى الذى يوحى ويقوم به شطر من رحمانيى بلزمة يبدو وكأنه خاضع لاوامر شيخ سقانة « المقدم بلودينى » •

تلك كانت « الشائعة العمومية » ـ على ما يظهر ـ ( وهى فى الواقع بعض وشايات من أوروبيين ومسلمين ) • والحال انه لم يكن لهذا الشيخ البالغ من العمر آنذاك واحدا وخمسين عاما ، الا نفوذ دينى قليل ، على الرغم من أن زاوية طولقة دافعت عنه ، ولم

يكن ينظر اليه حاكمه بأيـة نظرة ارتيـاب • ولكنه كـان غنيـا ـ 6000 فرنـك ريعا بقطع النظر عن مرتبـه الشهرى ـ وقد حج مرتـين ، وكان يخالـط الشبان الجزائريين وقد وشى به خوجة نقاوس حيث كان يستغل خطا للنقل البرى • واذ ذاك طلب حاكمه فصله من مهمته ، ثم ألقى القبض عليه وأودع السجن وحكم عليه • وكان معروفا بعدائه للباش آغا ابن قانا الذى قد لا يكون غريبا عن كل هذه الشائعات التى تجعل منه منظم الثورة •

وألقى القبض على مقدم ثان هو محمد رحمانى • ولكونه من سكان مشتى الخنزارية « مركز الثورة » اعتبر مقامه بهذه القرية مشبوها من قبل أوكتاف ديبون Depont على الرغم من أنه أنقذ زوجة وبنات ماك ماهون • على أن هذا الاخير يذكر بامتداح بعض الشيوخ الرحمانية الذين تدخلوا لفائدة الفرنسيين ، وخاصة منهم عبد الصمد من زاوية عين الشفاء ، ( بلدية عين القصر المتزجة ) الذى كان أيضا من مخبرى الادارة ، وأثنى خاصة على سى التهامى حسونى الشريف مقدم دوار « مقرة » الذى سبق أن أكدت اللجنة البرلمانية « مشاركته الصادقة النزيهة » (38) • على أن الغالبية الكبرى لهؤلاء المرابطين قد وقفت موقفا سلبيا وهو ما يفسره ديبون Depont بترقب متعمد • والحاصل أن ثلاثة منهم فقط قد ألقى القبض عليهم بينما يبلغ عددهم سبعة فى بلدية عين توتة المتزجة ، واثنى عشر فى بلدية بريكة ، وستة وثلاثين أو أربعين فى بلدية بلزمة المتزجة • وفى بلدية خنشلة المتزجة ، لاحظ الحاكم انه « ما من شخصية دينية أظهرت بادرة من العداء ، بل ان كثيرا منهم قد تدخلوا لفائدتنا » •

واستطاع العسكريون الذين أمروا بجمع كل المعطيات الاحصائية حول الزوايـا الطرقية بالجنوب القسنطينى أن يلاحظوا دون شك بأن انتصاب الزوايا هناك لا علاقة له بحال من الاحوال بمراكز الثورة • (39) فليس فى بلدية بريكة المتزجة الشديدة الاضطراب أية زاوية ، كما ان عدد الاخوان بها ضئيل جدا : 920 من بين 41288 ساكن • ولم يكن يوجد من الاخوان ببلدية عين توتة المتزجة الا 1،200 فقط من بين 31،337 ساكن • وعلى النقيض من ذلك ، لم يثر فى بلدية الاوراس المتزجة حيث تقوم ست زوايا 3600 من اخوان الطريقة الرحمانية ، و 330 من أتباع الطريقة القادرية من بين 34326 من السكان الا دوار واحد • مما يؤكد أن مقاومة التجنيد لا علاقة لها لا بكثافة أتباع الزوايا الطرقية ، ولا بانتصاب أو تاطير هذه الزوايا (40) •

### ج ـ أهو التنافس بين الصفوف ؟

ولم يتردد فى تقديم تفسير تقليدى آخر للجزائر الاستعمارية وهو : أن الثورة ربما كانت راجعة فى جزء منها الى عمل الصفوف الاسرية ، وأن هذه الثورة شملت الحدود الجغرافية لمجالات نفوذ هذه الصفوف الاسرية • ولنعترف بأن هذه النظرية تبدو لنا نظرية مرفوضة بعد تفحص مدى صدقها •

فلاثبات صحة هذه النظرية ، يتعين اقامة الدليل على أن صفوف الاوراس وبلزمة ( ان صح وجودها فى هذه المنطقة الاخيرة ) تمتزج بنفوذ أسرة ابن قانة واسرة ابن شنوف بل وحتى بوعكاز وبن ناصر • ويتعين بعد ذلك اقامة الدليل على أن سكان الجنوب القسنطينى كانوا لا يزالون منقادين لقيادة هذه الاسر الكبيرة التى أخذت سلطة معظمها تضعف بل وتبطل فى الاقليم الخاضع للحكم المدنى : فقد لاحظ لوسيانى فى سنة 1888 (41) أن « أسرة دواودة بلزمة قد أخذ ظلها ينحسر » •

ويبقى أن نفسر أخيرا كيف يمكن لاسرتى ابن قانة وابن شنوف المعتبرتين من الاسر « الموالية » لفرنسا أن تسعيا الى دفع الناس الى الثورة •

ان بعض المظاهر وحدها هى التى استطاعت أن توقع بعض معلقى ذلك العهد فى الخطا • وحقيقة انه لا نزاع فى أن الاسرتين المتعاديتين عادة قد ألهبتا نار تنافسهما فى تلك الحقبة المضطربة • فاغتيال الباش آغا على باى بن ميهوب بن شنوف فى 9 أكتوبر 1915 مما يسمح بأسوأ الافتراضات • وقد كان القائد محمد الازهرى بن أحمد ناصر المتهم بالتواطؤ فى هذا الاغتيال حليفا لاسرة ابن قانة • ومن ناحية أخرى ، كان رئيس بيت ابن قانة منذ سنة 1910 وهو بوعزيز باش آغا الزيان يضاعف من اتهاماته لرئيس أسرة ابن شنوف الجديد المسمى سى بوحفص ، واذا ما صدقناه ، يكون هذا الاخير قد أعلن على الملأ فى سيدى عقبة عن قيام ثورة وشيكة فى الاوراس ، وقد أقام حرسا يتألف من أولاد زيان ومن 80 فارسا من فرسان الزاب الشرقى فى برجه ببلدة تكوت كما اختزن أسلحة فى مشونش ، لكن أتراه كان يهدد أسرة ابن قانة باستعداداته هذه للثورة أم أنه كان يفكر فى الدفاع عن نفسه فقط ؟ ان الآغا العجوز بوحفص الذى مات فى سنة

1918 كان من قلة الاستعداد للثورة ما جعله يشعر السلطة الفرنسية بالخطر ويمكنها من القيام فى الوقت المناسب باتخاذ التدابير العسكرية • انما كان يحتمى فى الواقع من ثورة محتملة ذات لهجة بدوية • وقد التجأ الخارجون عن الطاعة الى الجبال على الرغم من أنهم ليسوا بربريى اللسان • ومع ذلك فان الرد الفعلى المباشر للولاية العامة هو أن الثورة ثورة بربرية (43) • وأصبح من الشائع فى هذا الوسط أن « السكان المتوحشين الاجلاف ، والبرابرة الذين هم من أصل شاوى هم وحدهم الذين استطاعوا أن يثوروا على فرنسا » • وعندما يوهمون بأن « هذه النواحى المتخلفة جدا ، والتى لم تكد تحتك بالاستعمار هى وحدها التى ثارت ، انما يريدون تبرئة الاستعمار من جريمة طرد السكان من أراضيهم • بل وقد أكدوا للنواب البرلمانيين بأن المناطق التى أنشأت فيها السلطة الاستعمارية « مدارس أهلية » فى وادى عبدى بو-ه ـاص « لم تقم فيها أى صعوبة لايجاد المجندين والمتطوعين » (44) •

**خاتمــة •**

لم تكن حركات الخروج عن الطاعة والثورة فى الجنوب القسنطينى بالتى تقارن بحال من الاحوال بالثورات التى سبق أن شهدتها الناحية فى القرن التاسع عشر • وهى لا ترجع ـ كما يبدو ـ لا الى الطريقة الرحمانية ، ولا الى تنافس الاسر الكبيرة الحريصة على نفى بعضها البعض ، والاحتماء ، كما حصل فى سنة 1871 من احتمال التخلى عن الجزائر بل كانت رد فعل جماعى تلقائى فى مجموعه لمطالب السلطة الاستعمارية العسكرية التى لا تطاق • واذا كنا لا نجد أمرا معينا على رفض شامل قد يكون وجهه أعيان تقليديون أو رؤساء مرتجلون فذلك فقط لان السكان ربما كانوا معارضين تلقائيا للتعبئة العامة ، ويريدون الافلات منها بقدر الامكان • فالاعيان ورجال الزوايا والقياد كانوا جميعا أشد ما يكونون ارتباطا بالسلطات الفرنسية ، وكان معظمهم من شدة التورط ما يجعلنا نستبعد أن تكون له كلمة مسموعة • فهم لم يستطيعوا الحيلولة دون قيام حركة الثورة التى كانت تدوى فى أوساط عامة الناس ( الجماهير ) ولم يكونوا يريدون تزعمها لانهم كانوا يرون بأنها حركة بدون طائل •

وفى النواحى المجاورة لبلزمة حيث تلتهب الاحقاد ضد قرارات الطرد الاخيرة للسكان من أراضيهم ، أو فى جبال زلاطو أو شُشار حيث يعيش السكان بعيدا جدا عن الحياة الاوروبية ، بحيث لا تصدق بعض الشائعات القائلة ( برحيل الفرنسيين ، أو افتقارهم الكامل الى الجيوش ) ، فان انعكاسا جماعيا أوسع من التضامنات القديمة قد دفع بالرجال المصممين أكثر من غيرهم على اختيار سبيل الخروج عن الطاعة أو الثورة • فقد كانت روح المقاومة أمرا جامعا لهم أمام ما كان يتراءى لهم تجنيدا شاملا للرجال بأمر من المسيحيين • الا أن كثيرا منهم لزم جانب التريث • فلم يثر الا بعض الشبان من أفقر الدواوير ، وفى القطاعات التى تسمح الظروف الجغرافية بتوفير ملاجىء ومخابىء طبيعية للثائرين •

وهكذا كان من السهل القضاء بسرعة على هذه الثورة الشعبية المتوزعة فى الزمان والمكان ، والتى لم تكن تتوفر على رئيس معروف لها أو قيادة جماعية تتولى تنسيقها • ومع ذلك فقد استلزم الامر شهرين كاملين حيث كان يكفى أسبوعان لسحقها فى سنة 1879 • غير أن المطاردة قد استمرت أطول من ذلك ، وأخذت السلطات الفرنسية تتحدث عن عصابات الاجرام كما لو كانت من مخلفات ثورة خائبة •

والواقع أن هذه الثورة انما كان القصد منها فقط هو حمل السلطات الاستعمارية – كما حصل فى سنة 1914 – على التخلى عن مشروعها الرامى الى التجنيد الجماعى بيد أنه تبين أن هذه الاخيرة كانت عاقدة العزم على المضى قدما فى تنفيذ مشروعها ، وعلى القيام برد فعل عنيف ، واذ ذاك ، حكم معظم الناس العقلاء – حسب كلام بعض الاوراسيين – على رجال بلزمة « بأنهم كانوا ناقصى العقل لقيامهم بمثل هذه المغامرة » وأخذ رؤساء الجماعات الذين خاب ظنهم فى تسليم المسجلين للتجنيد والمستخلفين والعمال المسخرين ، ولم يبق الا بعض رجال مسلحين من المصممين الذين حاولوا تخليص هؤلاء الناس الذين « لم يسلموا عن طواعية بل أخذوا قسرا » كما يقول البعض •

وأخيرا يجب ألا ننسى أنه اذا كانت دراستنا قد اختارت دائرة باتنة ، فان هذه المنطقة لم تكن هى المنطقة الوحيدة التى أظهرت عصيانها (45) قبل أن تضطر الى

الرضوخ بالقوة ٠ وقد جرت عمليات عسكرية أخرى فى نفس الوقت بناحية الظهرة خاصة حيث اعتقل مآت من الاشخاص ، الا أن ما تسميه الادارة الاستعمارية «باستسلام المجندين انما تم تحت التهديد والقوة فى جميع الانحاء ٠ وفى مجال ضبط الحصر المادى ، رأت القيادة العليا بأنها اضطرت الى الهاء 6000 جندى عن جبهة القتال لمدة بضعة أسابيع ، ولكنها حصلت على 25549 مجندا من الشباب المجند فى سنة 1917 ٠ واستخلص النواب البرلمانيون الثلاثة أعضاء لجنة التحقيق العبرة من هذه الاحداث قائلين : « لقد كنا بحاجة الى رجال ، وكان من حقنا أن نطالب بهم وها نحن قد حصلنا عليهم » ٠

**الجماعات التي اعتبرها القائد الاعلى للقوات المسلحة في الجنوب القسنطيني بمثابة جماعات ثائرة في 17 ديسمبر 1916**

**بلدية بريكة المتزجة :**

| | |
|---|---|
| دوار بريكة | 4 مشاتي |
| دوار متكواك | 2 فرقتان ( 5 مشاتي ) |
| دوار مقرة | 2 فرقتان |
| دوار عين كلبة | 1 فرقة |
| دوار سقانة | بأكمله |
| دوار سفيان | 2 فرقتان |
| دوار أولاد سي سليمان | 2 فرقتان |
| دوار نقاوس | 2 فرقتان |

**بلدية بلزمة المتزجة :**

دواوير : مروانة ، مركوندة ، أولاد فاطمة ، بأكملها + أولاد الماء جزئيا .

**بلدية عين توتة المتزجة :**

دواوير : تيلاتو ، بريكات ، أولاد عوف بأكملها + 2 من مشاتي دوار أولاد شليح .

**بلدية عين القصر المتزجة :**

لقد ساد نوع من الغليان دواوير شمورة ، حرمان ، الحراكتة ، جرمة ، وفي جزء من دوار أولاد عمر بن فاضل الا انه ما من دوار اعتبر ثائرا .

**بلدية خنشلة المتزجة :**

| | |
|---|---|
| دوار ولجة ششار | 2 فرقتان |
| دوار عليناس | 2 فرقتان |

**بلدية الاوراس المتزجة :**

| | |
|---|---|
| دوار زلاطو | 3 فرق |

### جدول يلخص السكان الثائرين

| البلديات الممتزجة | عدد الدواوير المعتبرة في عداد الثائرين | مجمل سكان البلدية الممتزجة | سكان الدواوير الثائرة | عدد الثوار | الدواوير التي سرت اليها العدوى في زعمهم |
|---|---|---|---|---|---|
| بريكة | 8 من جملة 13 | 48139 | 29207 | 2463 | |
| بلزمة | 3 من جملة 14 | 41288 | 8448 | 142 | 1 |
| عين توتة | 3 من جملة 15 | 31337 | 8450 | ؟ | 3 |
| عين القصر | 0 من جملة 18 | 27671 | 0 | 0 | 4 أو 5 |
| خنشلة | 2 من جملة 17 | 65345 | 8267 | 9 أو 61 | |
| الاوراس | 1 من جملة 15 | 34326 | 6437 | 290 | |
| مجموع البلديات الممتزجة الست لدائرة باتنة | 17 من جملة 92 | 248106 | 68889 | 2904 أو 2956 | |
| عين مليلة | 4 أو 5 من جملة 21 | | 13899 | ؟ | |
| المجموع | 21 أو 22 من جملة 113 | | 74708 | | 8 أو 9 |

(×) 3 دواير و 2 من مشاتي دوار أولاد شليح (× ×) 4 دواوير حسب تقرير دسون

## تعاليــق ومــراجــع

1) يطلق اسم « ناحية الاوراس » في الجزائر الاستعمارية على جميع المناطق الجبليـة الممتدة من بلزمة الى النمامشة ، وهو ما يمثل الجزء الاكبر من دائرة باتنة .

2) روجعت مستندات الحرب في فانسان ووثائق ما وراء البحر في ايكس أون بروفانس وكذا وثائق لجان مجلس الشيوخ ومجلس النواب ، كما روجعت من جهة أخرى مناقشات النواب الماليين ، ومؤلفات كليمونسوو لوبران وأوراق الجنرال نونيفال . كما اعتمدت مختلف تقارير التحقيق في القلاقل الثورية .

## لمحــة تاريخيــة عن الحــوادث

3) لقد تحدث الجنرال بونيفال بالتفصيل عن هذه العمليات في تاريخ القوات المسلحة « بالجنوب القسنطيني » من 1 نوفمبر 1916 حتى 15 فبراير 1917 وفي سرد تاريخي آخر يغطي الفترة من 15 فبراير الى 30 أبريل ، ويمكن استكمالهما بفضل برقيات الجنرال موانيه القائد الاعلى للجيش التاسع عشر .

4) كتبت صحيفة الاقدام في سبتمبر 1922 تقول : « في سنتي 1916 و 1917 أحرق الاهالي الذين ثاروا ضد تجنيد أبنائهم وارسالهم الى الخنادق ، وشوا ولعنوا ... وما تزال فظائع بلزمة ماثلة في الاذهان . ونحن نعلم ماذا تستطيع القيام به هذه الجيوش التي تطلق العنان لغريزتها الحيوانية » .

5) وقد أوضح الجنرال موانيه في 22 ديسمبر ما يلي : « ان التغييرات الحاصلة في موقف الثائرين والعدد الكبير للمسجلين للتجنيد الاجباري ، والهاربين من الجندية ، وانتظام عمليات التجنيد في البلديات المجاورة للنواحي الثائرة كل ذلك يقوم دليلا على تغييرات ملحوظة لم يكن وصول اللواء 250 غريبا عنها » .

6) اعتمدت لجنة التحقيق البرلمانية الارقام المقاربة ووجدت 75906 ساكنا في الدواوير الثائرة بما فيهم 10221 في بلدية عين مليلة الممتزجة أي 65684 ساكنا بالنسبة الى دائـرة باتنة، ومن جملة مجموع سكان يبلغ عددهم 289898 أي 22,6٪ (وربما وصلت النسبة المائوية الى 30٪ بالقياس الى سكان البلديات الممتزجة وحدها وكتب أوكتاف ديبون من جهة يقول : « ان القبائل الثائرة بالفعل لا تمثل الا نسبة تزيد قليلا عن 20٪ من مجموع سكـــان الدائرة » .

7) استرجعت السرايا الفرنسية خلال تطوافها بالناحية ما مجموعه « 3759 بندقية أو مسدس » وهي عبارة عن أسلحة صيد قديمة ، وبنادق عربية تقدح بالحجارة ·

8) هذه التقديرات هي الحد الاقصى في الواقع · أما حاكم بلدية بلزمة المتزجة فقد قدر عدد الثائرين في 24 نوفمبر 1916 بما يتراوح بين 1000 و 3000 رجل · واعتمدت مصالح الاستخبارات رقم 2453 ، ( وهو في الواقع 2463 نتيجة لخطأ في الجمع ) ·

9) يؤكد الجنرال بونيفال مثلا في تاريخه الاول أن بلدية عين القصر المتزجة قد انضمت الى الثوار ، ولكنه لا يذكر الا الدواوير التي « شهدت نوعا من الهيجان » أو « السارية اليها العدوى جزئيا » وما من تقرير يضعها في اعداد الدواوير الثائرة · وقد عارض عامل عمالة قسنطينة في يناير 1917 في قيام سرية عسكرية بالعمليات هناك ·

## محاولـــة تحقيـــق تاريـــخي

10) سجلت وزارة الحرب لغاية 7 أكتوبر 1916 ، 7822 من القتلى الجزائريين و 30354 من الجرحى ، و 2611 من الاسرى ·

11) وثائـق الحـرب 7 ن 2116 ·

12) ما يزال هذان التقريران غير منشورين ، ويوجدان ضمن وثائق فانسان الا أن نسخا أخرى توجد في ايكس وفي الجزائر ـ المدينة ـ ويمكن الاطلاع على تقرير فلاندان في وثائـق مجلس الشيوخ ·

13) « في دائرة باتنة ، وضعت مختلف الثورات (···) عمل احدى الهيئات الطرقية في المقام الاول ، تلك الهيئة الطرقية التي نجدها في نفس المقام سنة 1916 » **الاضطرابات الثوريـــة** ··· صفحة 231 ·

14) واستنادا الى السيناتور كولان سيناتور مدينة الجزائر لدى ادلائه بشهادته أمام لجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالجيش في 23 ديسمبر 1916 يكون قد حدث نوع من المسيرة المعادية لفرنسا في مدينة بسكرة بعيد اعلان الحرب ·

15) ذكره أوكتاب ديبون صفحة 241 ونفس الكاتب يتحدث أيضا عن « عبارات هدامة صدرت عن قاضي طولقة الذي كان ابنه ومعه ثلاثة أو أربعة شبان آخرين يستنسخ مناشير معادية لفرنسا ومزينة بالهلال والنجمة الاسلاميين » ·

16) وعلى النقيض من ذلك ذكر بأن ولدا قد يكون قتل أباه فى دوار بنى بوسليمان لانه سجله أو كان يريد تسجيله فى قائمة المجندين .

17) عريضة أعيان قسنطينة المؤرخة فى 26 سبتمبر 1916 ( وقد وقع العريضة بالخصوص ، الدكتور موسى ، ابن باديس محمد ، لفقون ، أورابح ) راجع أيضا احتجاج أعيان « شاطودان دى ريمال » ( 13 سبتمبر ) واحتجاجات أعيان ناحية باتنة ( مستندات الحرب 7 ن 2116 ) ويرى الوالى العام أن الشبان الجزائريين قد يكونون اختلقوا عرائض مزعومة واردة من دواوير بريكة ( مستندات الحرب 5 ن 154 ) .

18) اعتصم على بن أحمد بن زلماط وأخوه مسعود بالجبل من سنة 1915 الى سنة 1921 . وألقى القبض على ابن النوى فى فبراير 1917 ، وقد حكم عليه بالموت لاعتباره قاتل الحاكـــم .

19) بموجب هذه الوشاية ، تمت متابعة شيخ سقانة قضائيا وهو محمدى الحـــاج المدعو بلودينى .

20) تقرير النقيب فورنيه رئيس ملحق بسكرة ( 12 ديسمبر 1916 ) وثائق ما وراء البحر 8 × 221 .

21) يطلق اسم أولاد بوعون فى آن واحد على سكان سهل القصر ، وعلى فرق لا تنتمى الى نفس الاصل والارومة ، ولا تجمعها نفس العوائد وخاصة منها « الحليمية » الذين كانوا يسكنون سفوح جبل مستاوة وأولاد فاطمة ( وهاتان الفرقتان تعتبران من أشد الفـــرق مشاكسة وعدائية فى الناحية ) ولذلك فلا طائل من تأكيد تضامنها القبلى .

22) ونفس الامر فى متليلى « فسكان دوار تيلانو يرون ان الغابة العمومية ملـــك لهم ، وكانوا يصرون على حرثها ورعيها . وكان مركز تاماران لحراس الغابة يضاعـــف من تغريمهم واثارة حفيظتهم .

23) أيكون من محض الصدفة اذا ما اعتبرت هذه الفرق الثلاث : أولاد على ، وأولاد مهنة ، وأولاد محمد هى نفس الفرق التى اعتبرها ديبون متزعمة حركة الثورة ؟

24) فى 25 مارس 1917 كتب الوالى العام ليتو Lutaud بلهجة فيها كثير من الاستخفاف يقول : « ان المجاعة التى تهدد باجتياح المنطقة بنهاية فصل الصيف ، ستدفع بالاهالى حتما الى التطوع بالجنود وبالعمال » .

25) ان رقم 250 فى حد ذاته ليبعث على الدهشة ، لان نفس المفتش كان قد لاحظ بأنه كان هناك 153 متطوعا و 313 من المجندين ٠

26) تم الابلاغ بقانون الاعفاء الجديد الاكثر تضييقا فى 16 أكتوبر ٠ فلم يعد بموجبه اخوة المتطوعين ممن يشملهم الاعفاء . والحال أن أحد الابناء فى بعض الاسر قد تطوع فى الجيش ابتغاء سلامة اخوته ٠

27) حكمت محكمة باتنة الجنائية فى 28 ديسمبر 1916 على طفلين بتهمة الخروج من طاعة القانون ، ويبلغ أحدهما 12 سنة بينما يبلغ الثانى 14 سنة ٠ وكان شيخ الجماعة قد سجلهما فى قائمة من سيجندون سنة 1917 ٠

28) يقول المخبرون . « ان الشيوخ ( رؤساء العشائر ) قد ارتكب معظمهم أعمالا شنيعة أثارت استياء الاهالى » . ويعطى بعض الوشايات أرقاما مشبوهة : فالآغا بوحفص قد يكون طلب 500 فرنك عن كل شخص لاعفائه من الجندية ٠ وفى بريكة كان الكبراء يطالبون بعشرين فرنكا فقط ٠

## تفســـيرات الادراة الاستعمارية

29) أسمح لنفسى بالاحالة فى هذه القضية الى كتابى « **الجزائريون** المسلمون وفرنسا » المجلد الثانى الصفحات 1174 الى 1189 .

30) وثائق ما وراء البحر 9 H 5.

31) كانت المصالح الفرنسية قد صادرت بالجزائر فى سبتمبر 1916 ثمانية من هذه الكتيبات الدعائية المكتوبة باللغة العربية ، ولكنها أحصت فى الجملة 110 من المنشورات الدعائية الموالية لالمانيا ٠

32) ذكره تقرير فلاندان ( 26 سبتمبر 1917 ) ٠

33) كان يعلن قرب مقدم سليمان البارونى المعروف جدا فى مزاب الذى سبق أن زاره فى أبريـــل 1914 ٠

34) أعلنت الدعاية الالمانية على مرات ثلاث أن النقيب خالد يتزعم حركة ثوريـــة فى الجنوب الجزائرى . وكانت عائلته قد التحقت حقا بتطوان . وحسب الماريشال ليوطى فان خالدا كان قد وجه الى عمه فى سنة 1915 رسالة « أكثر ما تكون اشتباها » بيد أنـــه كانت هناك رسالة سرية تزاوج الاولى ولا تترك أى مجال للشك عن مشاعر خالد الحقيقية نحونا ، وعن تعاطفه مع أعمال عمه ضدنا » ( رسالة من كليمانسو 26 أكتوبر 1917 ) ٠

35) دى لارتيق : **دراسة الاوراس 1904**

36) وثائق ما وراء البحار 8×222 ٠

37) لاحظ تقرير عسكرى بسداجة انه « من المؤكد قد لعب دورا فى الحوادث اذ أنه ألقى القبض عليه وأودع السجن » ٠ وقد حكمت عليه المحكمة التأديبية اداريا ، ولم يحكم عليه الا بسنة واحدة من السجن وألف فرنك غرامة ، مما يقوم دليلا على انه لم تقم براهين قاطعة لادانتـــه ٠

38) ربما حكمنا على الحماس الساذج لهذا الشيخ الطرقى من خلال تصريحاته التى يقول فيها : « ألا ترون أن الحكومة تعامل كل رعاياها دون تمييز أو تحيز يقوم على أساس من الطبقة أو الاصل ؟ وأنها تحيطهم جميعا بنفس الرعاية والعطف وتنعم عليهم جميعا ( ... ) وتغدق احسانها على مختلف طبقات السكان » ٠

39) أنظر الخريطة فى وثائق ما وراء البحر 8×222 ٠ والذى تجدر ملاحظته هو أنه كلما قدمت الاستخبارات أرقاما مختلفة نرى العسكريين يعتمدون الارقام الاعلى دائما ٠٠٠

40) لقد قدمت البرهان العكسى ثورة دوار مقرة التى كانت مصممة رغم تحذيرات وتأنيبات مقدمة ٠ غير أنه لا ينبغى أن نستنتج من ذلك أن حالات الخروج عن الطاعة كانت تحدث على الدوام ضد رؤساء الزوايا ، ولا أن نتشكك فى تشبث الشاوية العميق بدينهم ، ذلك التشبث الذى ربما يفوق مدى تمسك عرب السهول العليا بدينهم ٠

41) يرى لوسيانى أن أولاد بوعون كانوا ما يزالون يذكرون فى سنة 1888 أن صفين كانا يقتسمان بلزمة قبل سنة 1830 . الا أن الجماعة الثائرة تجد نفسها مرة أخرى فى أحضان الصفين الاثنين : أولاد شليح وأولاد سيدى عبد الرحمن من جهة ، والبراكتة ، والحاليمية وأولاد فاطمة من جهة ثانية ، وما من شىء يدل على أن منازعات التحزب قد ظلت باقية بينهما ٠

42) ونفس الشىء يمكن أن يقال بالنسبة الى أسرة موالية هى أسرة ابن ناصر من خنقة سيدى ناجى المتدينة ٠ فهى المرتبطة بابن قانة قد أظهرت عجزها على الحيلولة دون قيام حالات من الخروج على الطاعة لدى سكان ولجة ششار ٠ وعلى النقيض من ذلك ، دخل أولاد دراج فى ثورة بعد أن حاولوا عبثا استمالة الآغا دباح العجوز ، رئيس أولاد بوعكـاز المناوئـين لابن قانة الى قضيتهم ٠

43) ان الصياغة المختصرة لبعض البرقيات لتوضح جيدا مدى هذه النماذج • مثلا : « فى بلدية عين مليلة المتزجة ، ومن جملة 735 مسجلا للجندية ، أخذ 646 وتغيب 89 • والشاوية وحدهم هم الذين قاوموا • وقد امتثلت القبائل العربية دون صعوبة » ( 17 ديسمبر ) وتقول برقية 22 ديسمبر : « لقد بعث دوار راس العيون اليوم بجميع مجنديه • وكان هذا الدوار الذى يبلغ عدد سكانه 8000 ساكن قد أعلن منذ الايام الاولى أنه سيظل على ولائه : انه عربى اللسان » • وثائق الحرب 5 • ن • 210 •

44) بلغ عدد المدارس الاهلية فى بلدية الاوراس الممتزجة 8 من جملة 21 مدرسة التى تشتمل عليها دائرة باتنة •

## الخاتمـــة

45) فى 12 فبراير 1917 ، التحق 6358 من المجندين من بين 6643 مدعوا للخدمة العسكرية فى عمالة قسنطينة ، و 4612 للخدمة الرافدة من بين 4796 (وثائق الحرب 4612)، ولم يسجل فى عمالة وهران الا خمس حالات استعصاء من بين 5652 مدعوا للخدمة العسكريـــة •

46) فى شهر يناير 1917 ، رفض المسجلون للخدمة العسكرية فى دوار مزالة ( بلدية الصومام الممتزجة ) ومسجلوا دوار المعاضيد ( بلدية المعاضيد الممتزجة ) الالتحاق بالجندية ، وفر ثلاثة من المجندين فى ندرومة الى المغرب •

# توصيـــات الملتقى الثـــانى عشر للفكر الاســـلامى

**المنعقد بباتنة بتاريـخ : 11/04 شوال 1398 هـ ( 14/07 سبتامبر 1978 م )**

## لجنـــة النقطـــة الاولى

---

## الاوراس أمجـــــاد وأنجـــــاد

اجتمعت لجنة توصيات النقطة الاولى وتتألف من السادة :

المهدى البوعبدلى،مكلف بمهمة وعضو المجلس الاسلامى الاعلى والمركز الوطنى للبحوث التاريخية بالجزائر · رئيسا ·

يحيى بوعزيز،أستاذ التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة وهران مقررا ·

ڤيلسرد مادلونق Wilferd Madelung أستاذ بقسم لغات وحضارات الشرق الادنى،جامعة شيكاغو · عضوا ·

ابراهيم حركات،أستاذ التاريخ بكلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط ·

الاستاذ مصطفى العسلاوى عضو المجلس الاعلى بوزارة العدل بالجزائر ·

الاستاذ عبد الرحمن العقون،أستاذ بوزارة التربية وعضو المجلس الاسلامى الاعلى بالجـزائـر ·

عبد الرشيد مصطفاى : أستاذ بمعهد اللغة والادب العربى ـ جامعة الجزائـر ·

السيدة عسيلة فتيحة طالبة بكلية العلوم الحيوية جامعة قسنطينة ·

السيد عبد الكريم أبو الحليب ، طالب بمعهد العلوم الاجتماعية ـ جامعة قسنطينة ·

ـ بعد الاستماع الى محاضرت الاساتذة وتعقيباتهم ، وأسئلة الطلبة والرد عليها ؛
ـ ونظرا الى مكانة منطقة الاوراس في التاريخ قبل الفتح الاسلامي وبعده ؛
ـ ونظرا لموقعها الجغرافي الهام ، الذي جعلها حلقة الوصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وأهلها لان تكون حصنا للمقاومة عبر التاريخ من أقدم العصور الى اليــــوم ؛
ـ ونظرا لاحتوائها على آثار القاعدة الثانية للخلافة الاسلامية بافريقيا وهي طبنة ، وعلى مقبرة الفاتح الاسلامي الكبير عقبة بن نافع ورفاقه ؛
ـ ونظرا للعلاقات المتينة بين تاريخ هذه المنطقة ، والتاريخ الروماني والبيزنطي فان اللجنة توصي بما يلي :
ـ أولا : الاهتمام باحياء التراث المحلي للمنطقة ، بالبحث عن المستندات التاريخية من وثائق وآثار ، وابرازها ، والتعريف بها ، في اطار اعادة صياغة تاريخ الجزائر من جديد من واقع هذه الوثائق والمستندات .
ـ ثانيــــا : العمل على ابراز خصائص السكان وطبيعة حياتهم والتعريف برجالات المنطقة ودورهم في احداثها وتطورها خاصة في المجال الفكري والثقافي .
ـ ثالثــــا : التعريف بالمواقع الحاسمة ، وابراز دور عقبة بن نافع وموسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهم في تثبيت أركان الاسلام والحضارة الاسلامية بهذه البلاد .
ـ رابعــــا : الاهتمام بجامع عقبة كأقدم وأكبر أثر اسلامي بهذه البلاد وتوسيعه ، وانشاء مؤسسة علمية بجواره .
ـ خامســـا : الاهتمام بالمقاومة المسلحة التي اشتهر بها سكان هذه المنطقة عبر التاريخ ضد الغزاة وخاصة خلال الفترة الرومانية والبيزنطية ، وذلك باعادة صياغتها من واقع الوثائق والمستندات التي تزخر بها مكتبات ومتاحف جنوب غرب أوروبا خاصة ايطاليــــا .
ـ سادســـا : الاهتمام باحداث ثورة أول نوفمبر الكبرى عام 1954 التي اندلعت شرارتها الاولى بهذه المنطقة وذلك لجمع المعلومات من أفواه الذين عاشوها ومايزالون أحياء لتكون خير شاهد على أهمية ماضي هذه المنطقة .

# الدين والكتب المقدسة والعلم

د. موريس بوكاي
الرئيس السابق لعيادة الجراحة بالكلية ( جامعة باريس )
وعضو الجمعية الفرنسية للامراض الباطنية، وعضو الجمعية الفرنسية لعلم الآثار المصرية (الفرعونية) ـ باريس
( فرنسا )



**ما الاسباب التى تدفعنا فى القرن العشرين الى الايمان بالله ؟ السؤال مطروح هنا مع اندراج عامل « الزمن » فى صيغته . أى مع أخذ بواعث خاصة بالعالم الحديث بعين الاعتبار . اذ ليس من المفارقات القليلة الشأن فى عصرنا هذا أن تكون البواعث ذات العلاقة بالعلم قادرة على صرف البعض عن الايمان بالله بينما تقوى لدى الآخرين نفس هذا الايمان .**

**فقد أرادوا فى الواقع أن ينزعوا ، باسم العلم ، كل قابلية تصديق عن الميراث الدينى الذى تركته لنا القرون السالفة فى أشكال متنوعة ، وفى أنحاء مختلفة . وأرادوا ألا يثقوا بالمعرفة الانسانية التى لا تفتأ تتقدم فى المعرفة العقلانية للحقيقة ، وألا يروا فى الدين الا نتاجا لخيال جامع .**

وهكذا استبعدت قبليا كل وثيقة تتعلق بالايمان بالله : فهم يقبلون أن يأخذوا بالحسبان كل ما استطاع أفلاطون أن يكتبه عن سقراط الذى لا يفكر وجوده ، أما أن يحدثنا العهد القديم أو القرآن الكريم عن موسى ، أو أن تنقل الينا الاناجيل قصصا وأخبارا عن عيسى ، فان هذه النصوص لا يحكم عليها بالصدق وانما تنبذ جملة وتفصيلا بالنظر الى طبيعة الموضوعات المطروقة فيها • ذلك هو موقف المنكرين لما فوق الطبيعة ( أو ما يتجاوز نطاق المحسوس ) أولئك المنكرين الذين وجدت مواقفهم فى الغرب قبولا لدى مفكرى القرن التاسع عشر ، وأدت الى قيام نظرية المادية الملحدة •

وهناك ، بالمقابل ، من يؤمنون بالله ولكن كثيرا منهم ، للاسف ، فى البلدان الغربية ـ وهم وحدهم الذين أسمح لنفسى بالحكم عليهم فى هذا الصدد ـ ما يزالون ، بحكم تربيتهم السابقة وتعاليمهم الراهنة التى ما تزال متحجرة متصلبة ، لا يرضون بأن يتجرأ فكر موضوعى ، حتى ولو استمسك بايمانه كاملا على الاهتمام بأسس هذا الايمان المتمثلة فى الكتب المقدسة ، من أجل دراستها دراسة نقدية مجردة من أى حكم مسبق •

ولكن التطرف فى التشبث بالحرفية جعلت الايمان بالله فى البلدان الغربية وفى عصرنا هذا ، يتعرض لهذا السبب فى نظرى ، الى ضرر بالغ •

لقد كنا فى مرحلة ما من وجودنا ، نقبل دون مناقشة بكل ما نلقن اياه فى هذا الميدان : فالطفل يظل متأثرا حتى يبلغ سنا ما من عمره ، بالاعتبارات التى يحتل فيها الغموض مكانا بارزا ، وقابلا لكل ما يقدم له على أنه من الحقائق التى لا نزاع فيها • ويظل بعض الناس حتى وهم فى سن الرشد على هذا الخضوع لتعاليم الطفولة ، بل ويمنحون حيزا كبيرا فى معتقداتهم الدينية لكل ما هو من قبيل الحالات النفسية الخاصة والمشروعة مع ذلك • الا أن شعور الايمان ، يتعرض على العموم ، لهجومات قاسية منذ اللحظة التى يكبر فيها الفرد ، وتحصل له معلومات عن العالم الذى يحيط به ، وينظر باعجاب الى هذه الانجازات البشرية القائمة على المعرفة الدنوية التى تتقدم فى عصرنا هذا بصورة مذهلة ، فكيف لا تغرى المادية الجذابة الشاب العصرى وهو مأخوذ فى دوامتها ؟ •

لذلك ؛ فان الشعور الديني بالغرب تحت التأثير السائد من اليهودية المسيحية ، ليشهد اليوم انحسارا كبيرا جدا · والترجمة المادية لهذا الهبوط قابلة للقياس بمنطلق الدقة : فنحن نجدها فى هبوط الاتجاهات أو الميول الدينية بين الشباب · واليكم لمحة عن ذلـــك :

تقول الاحصائيات الاسقفية الفرنسية انه كان بفرنسا فى سنة 1965 ما يقرب من 36000 قسيس ، وكان من الممكن لسلك رجال الكنيسة أن يتجدد بصورة مرضية بمتوسط عدد سنوى قدره 1500 من القساوسة الجدد ، الا أن هؤلاء لم يبلغوا فى سنة 1967 أكثر من 489 ؛ ومنذ ذلك العام أخذ عددهم ينخفض باطراد ليصل الى 136 فى سنة 1976 ، و 99 فى سنة 1977 · ثم ان عدد الطلبة المسجلين فى المدارس الاكليريكية من القلة بحيث يمكن معه التأكيد بأن عدد ما سيتم تكوينهم سنويا من القساوســـة فى السنوات القليلة القادمة لن يصل الى مائة ، الامر الذى يمكن معه القول أن الكنيسة بالنظر الى هذا التواتر ، والى العدد المتزايد سنويا من الاستقالات ، لن يكون لها فى غضون عقود قليلة سوى عدد ضئيل من الرجال ·

ومن الاسباب الاساسية لهذا النفور من الحياة الدينية فى البلاد المسيحية فقدان الثقة فى الكتب التوراتية ، وفيما يلى بيان ذلك :

لم يكن يجرى الحديث حتى مجمع الفاتيكان الثانى ( 1962 ـ 1965 ) عن أصالة نصوص التوراة التى كان الناس يقبلونها على ما هى عليه حاليا باستثناء حالـــة اختصاصيين نادرين · من ذلك أنه ما من أحد كان يتجرأ ـ فيما يتعلق بالاناجيل ـ على أن يتشكك فى كونها تنقل الينا كلام عيسى بدقة واحكام : فهو ـ كما كان يقال ـ نتاج شهود مباشرين لرسالته · ألم تكن الاناجيل تدعى « مذكرات الحواريين » ؟ ولكن لائحة من لوائح مجمع الفاتيكان الثانى فى سنة 1965 لم تنح هذا النحو بصـــورة قطعيـــة ·

غير أن هذا التصور قد هاجمته بعد سنوات قلائل من المجمع الاخير بحوث أخذت تظهر ابتداء من سنة 1970 وهى من انتاج لاهوتيين مسيحيين انفسهم · فقد قام هؤلاء بدراسة دقيقة للنصوص مستعملين كل العناصر التى تمنحها نهم المعرفة العصرية فى

مجال علم اللغة وعلم الآثار ، والتاريخ ··· الخ ··· فقد أصبح الناس اليوم يسلمون بأن الاناجيل الشرعية الاربعة ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده فى عيسى جماعات مختلفة لا تتفق فيه ـ كما يبدو من النصوص ـ على رأى واحد ، لان أحداثا من رسالته قد عولجت بصورة تختلف باختلاف نظرة أصحاب الاناجيل الناطقين بلسان تلك الجماعات · ان شروح الترجمة المسكونية الاخيرة للتوراة ( العهد الجديد 1972 ) وهى عمل اشترك فى انتاجه أكثر من 100 اختصاصى من الكاتوليك والبروتيستانت لتصرح بذلك دون أدنى التباس أو غموض ، كما تعبر عنه أيضا أعمال مدرسة القدس التوراتية، هذا اذا اقتصرنا على أهمها فقط · وقد أثبتت مراجع دقيقة وعديدة عن هذه الدراسات فى كتابى « التوراة والقرآن والعلم » الذى نشر بالفرنسية فى سنة 1976 ، وبالعربية والانجليزية فى سنة 1978 ·

بيد أن مجمع الفاتيكان الثانى كان قد استثنى ، فى الحقيقة ، العهد القديم ، اذ أكد فى التصريح المجمعى رقم 4 أن هذه الكتب « تتضمن نقصا » بل وحتى ـ باطلا ـ وتبين الاعمال الحديثة أنه من المشروع تقييم الاناجيل بمثل هذه التقييمات ·

فكيف نتصور كون هذه الاناجيل لا تنقل الينا الا الحقيقة التى أوحى بها الله عندما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل اطلاقا ، مثل هذه السلاسل من نسب عيسى التى هى من تلفيقات خيال « لوقا » « ومتى » المقدمين لنا قوائم لاجداد مختلفة والتى يتجلى فيها للعيان عدم صحة قائمة « لوقا » بالخصوص ، ألا ينسب هذا الانجليزى خمسة وسبعين جدا لعيسى منذ آدم ؟ ان ما نعرفه من الحد الادنى لقدم الانسان على وجه البسيطة ليجعل مثل هذا القول فى عصرنا هذا أمرا غير مقبول · فكيف يلقن الله للناس ما لا يطابق الواقع كما سبق أن لاحظ القديس أوغوستين بصدد أصالة نصوص الكتب المقدسة ؟

وكيف يمكن أن نقبل بتناقضات بين قصص سبق أن أوردت أمثلة واضحة منها كمثال « الحوخة المعجزة » التى قال لوقا أنها حدثت فى زمان عيسى ، بينما قدمها يوحنا على نها حدث سيحصل ـ كما قال ـ عندما يبعث عيسى من جديد ؟ وكيف لا نلاحظ أن انجيليا كيوحنا ينسى أن يصف مؤسسة سر القربان المقدس كما فعل « مرقص » « ولوقا»

« ومتى » : أثناء وجبة الغداء الاخيرة التى تناولها عيسى مع الحواريين . تلك المؤسسة التى أوردها الانجيلى الرابع مع ذلك بتفاصيل عديدة ؟ وكيف لا نلاحظ أن الانجيليين الثلاثة لا يذكرون وصية عيسى الروحية الطويلة جدا وهى موضوع مقاطع طويلة فى انجيل يوحنا ؟

ان جميع هذه التناقضات تجد تفسيرها فى البحوث العصرية التى أجراها الخبراء المسيحيون السابق ذكرهم ، والذين بينوا بأن صياغات متتالية لنصوص انجيلية قد لفقت انطلاقا من روايات سمعية عن عيسى كانت ذائعة لدى الجماعات المسيحية الاولية ، وأن ذلك كله أفضى الى الاناجيل الحالية • هكذا يقوم الدليل القاطع على تلاعب الرجال بالمعلومات الاولية بهدف انتاج نصوص مكتوبة يصفها سماحة الاب » كانجيسر « الاستاذ بمعهد باريس الكاثوليكى « بنصوص مكتوبة للمناسبة أو للنضال » لانها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل واحدة الى انفاذ نظراتها الخاصة •

وعلى صعيد العقيدة ذاتها . ماذا نقول اليوم عن أعمال كتلك التى قام بها اللاهوتيون البريطانيون السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب كنيسة أنكلترا والذين نشروا نتائج أعمالهم سنة 1977 تحت عنوان : ( وهم الاله المجسم ) ، وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث •

أما العهد القديم الذى يمكن لقصصه أن تكون متناقضة كقصص الخلق والطوفان أو يمكن ألا تتفق تماما مع المعلومات الحديثة عن تكون العالم ، أو مع معطيات التاريخ ، فكيف نأخذ بحرفيتها طالما أن تلاعب الناس بنصوصها خلال العصور بات أمرا واضحا للغاية ، وهكذا فقد أدت المعارف العصرية والمتنوعة والمطبقة على دراسة النصوص بالافكار الموضوعية الى عدم منح التوراة تلك الاصالة التى كانت تضفى عليها ، ودون برهان أو دليل ، فى القرون الماضية •

وعلى ذلك يمكن القول أن المعارف العصرية والاستعانة فى دراسة التوراة بالمعطيات المفيدة لهذا البحث أدت فى الغرب . الى تغيير المفاهيم التى كانت الى ذلك الحين ، مفاهيم تقليدية ومسلما بها دون مناقشة • ولقد كانت النتائج المترتبة على ذلك نتائج معتبرة •

وكل شيء يحمل على الاعتقاد بأنه لا يمكن الخروج من القلق الحالى فى الغرب عن طريق صيغ تقريظية ليست كفيلة بازالته أبدا حين تكون هذه الصيغ موجهة الى عقول تفكر كعقول الشباب المتعلم فى عصرنا هذا ·

والانتقال من التشكيك فى أصالة مجموع الكتب اليهودية المسيحية بواسطة معلومات عصرية الى رفض الايمان بالله هو ما يفعله ـ لسوء الحظ ـ كثير من العقـــول المضطربة بفعل هذه الاكتشافات والتى تجهل أو لا تريد الاعتراف بأن وحى الله لا يقف عند حد عيسى · وهم اذ يرفضون اعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الاسلام ، يصلون الى الاعتقاد بأن المعارف الدنيوية تقدم المفتاح لجميع المشاكل ، وأن العلم القوى جدا قد سبق نهائيا كل ايمان بالله ·

وقبل أن أعرف بزمن طويل ما يمكن أن تقودنى اليه أى دراسة للاسلام الى الاكتشاف فيما بعـد ، كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفـة العلمية كانت ـ مهما قيل فيها ـ كفيلة جدا بأن تعود الى التفكير فى وجود الله ·

وفعلا فنحن اذا تساءلنا دون أى تحزب أو فكرة مسبقة عن التعاليم الميتافيزيقيـة المترتبة على بعض معارف عصرنا كمعرفة الجزء الذى لا يتجزء ( متناهى الصغر ) أو مشكلة الحياة ، فاننا سنجد كثيرا من الاسباب التى تدفعنا الى تركيز التفكير فى هـــذا الاتجاه · وحين نأخذ بعين الاعتبار ذلك التنظيم العجيب الذى يقف وراء نشوء الحياة ، وبقائها ، أفلا يبدو عامل الصدفة كما لو كان أقل احتمالا أكثر فأكثر ؟ ألا يؤيد التعقد البالغ للكائنات العليا وجود تنظيم محكم جدا يقف وراء هذا الترتيب العجيب لظواهر الحياة · لقد وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم فى تفكير يقوم أساسا على معطيات مادية ، لقد وجدتها ـ والحمد لله ـ يوم أن شرعت فى دراسة القرآن وبحثت طويلا ، ووجدت فى قراءته تجسيدا جديدا لهذا التوافق بين الدين والعلم ذلك التوافق الذى كان يمكن لدراسة النصوص التوراتية من حيث المنطق أن تصرفنى عنه ·

ولنقل من الآن بأن الدراسات الموضوعية لنص قرآنى على ضوء المعارف العصرية أى تطبيق مكتسبات العلم على دراسة الكتاب المقدس » قد جعلتنى أكتشف كلاما يتعلق

بظواهر طبيعية عديدة لا يمكن أن ننسبها الى انسان نظرا لما نعرفه عن تاريخ العلوم ٠ ولقد تجلى لى أن مكتسبات العلم ضرورية لفهم كثير من الآيات وان دراسة القرآن على ضوء المعارف العصرية تقود من جهة أخرى الى اكتشاف كلام قرآنى سابق لزمانه بما يزيد عن ألف سنة ٠ ان ما نعرفه عن تاريخ العلوم ليجعل من المستحيل أن يكون انسان ما قبل نحو من أربعة عشر قرنا هو قائله ، وحيث أن القرآن يضع أمام تفكيرنا تأكيدات تمثل تحديا للتفسير البشرى ، فانه يبدو أن كل تناقض بين الدين والعلم قد أبطله هو بالذات

وكيف نعجب لوجود مثل هذا الكلام القرآنى حيث نتأمل هذا الحديث النبوى : « أطلب العلم من المهد الى اللحد » ، أو هذا الحديث النبوى الآخر . « أطلب العلم ولو فى الصين » ٠ بهذا نفسر دون صعوبة ذلك التقدم العلمى العجيب الذى شهده العالم الاسلامى فيما بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر الميلادى ، بينما لم نكن نجد لدى البلدان المسيحية سوى التقليد المطلق مع المدرسة اللاهوتية السائدة ، وركود المعرفة ٠ وفى عهد قرطبة الزاهر ، كان الناس من مختلف بلدان أوروبا يؤمون جامعتها الشهيرة للتزود من العلوم العربية والاغريقية والهندية والفارسية ٠

ان الوقت المسموح به لا يمكننى من التوسع فى هذه المقابلة بين القرآن والعلم بالقدر الذى يتطلبه الموضوع لذلك أحيلكم على كتابى لمزيد من التفاصيل وانما سألح فقط على بعض النقاط الخاصة ٠

أرجو أن أكون قد بينت بما وصفته فى البداية كيفية نزول النص القرآنى ، ولكيفية جمعه وتبليغه وبما ذكرته من وجود محفوظات قديمة للكتاب ، ان النص الموجود اليوم بين أيدينا هو عينه الذى كان متداولا فى فجر الاسلام ٠ فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص القرآن والمعارف العصرية ٠

هناك عنصر هام يكمن فى المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق على ضوء التصورات العامة الحديثة عن خلق الكون وتصوره ، فنحن لا نجد فى القرآن ما نجده فى التوراة من أخطاء وهى ملاحظة تقضى نهائيا على الفرضية التى سبق

أن أيدت فى الغرب ـ ودون أى حجة ـ والتى مفادها أن ما فى القرآن يكون قد نقله انسان ما من التوراة ٠

ماذا يفيدنا القرآن عن خلق العالم ؟ ان الكون ـ كما تسمح باعتقاده معلومات الفلك الحديث ـ قد تكون من كتلة أولية وحيدة ، هى السديمية الابتدائية التى تجزأت بعد ذلك ، والقرآن يروى لنا ذلك بدقة كما يحدثنا عن التطور الموازى للسموات وللارض ، وعن تعدد السموات والاراضى ، أى وجود عوالم متعددة من الاراضى شبيهة بكوكبنا وهو ما يعتبره الفلكيون المحدثون أمرا محتملا جدا خارج النظام الشمسى ٠

ألم تتأكد مفاهيم علم الفلك ، ومحتوى السموات ، والنجوم والكواكب السيارة ، وحركات الاجرام السماوية ، والتوضيحات الدقيقة بشأن الليل والنهار اللذين يتبع أحدهما الآخر فى حركة تذكرنا بالعمامة المكورة حول الرأس كما يفيده فعل « كور » عن غزو الفضاء فى عصرنا هذا ، وفى عصرنا هذا فقط ٠ ؟

لقد خصصت فى كتابى عدة فصول للمعلومات التى يفيدنا بها القرآن عن الارض ، ولا سيما عن دورة الماء فى الطبيعة وتكون التعاريج ، وعن مفاهيم تهم العلوم الطبيعية ، والفيزيولوجيا، وتوالد البشر ٠ وكل هذه الآيات تفرض القول على كل انسان موضوعى، صادق النية ، أنه يستحيل على انسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه ، وقد علقت أهمية كبرى على هذه الوقائع الى درجة أنى قدمتها فى نوفمبر 1976 فى أكاديمية الطب الوطنية بباريس ملحا على أنه بناء على ما نعرفه عن تاريخ العلوم ، لا يوجد تفسير بشرى لوجود مثل هذه التأكيدات فى القــــرآن

وأنتهز فرصة ذكر هذه الرسالة الموجهة الى مجتمع عالم ٠ لأبين باختصار بأنى استعملت فى كتاب لى بعنوان « التوراة والقرآن والعلم » عبارة « العلم » للدلالة على ما أسميه « المعارف العصرية » فى عنوان فرعى للكتاب ، وقد أوضحت بأن عبارة المقارنة الدنيوية تعنى أحداثا تثبتها وتؤكدها التجربة ، وليست قابلة للنقض فيما بعد ، فى حين أن العلم المتغير بتغير العصور ، غالبا ما يضع نظريات صالحة لزمان معين من أجل

تفسير ظاهرة ما أو مجموعة ظواهر ، ثم امكان التخلي عنها فيما بعد لتبنى مفاهيم أو تصورات أقدر على تفسير ما يسجل من ملاحظات ٠

وأود أن أؤكد أخيرا جدوى القيام ، على ضوء المعارف العصرية ، بمقارنة قصص قرآنية وقصص توراتية وردت فى نفس الحدث ٠ وقد قمت بهذه المقارنة على وجه الخصوص فى موضوع الخلق والطوفان وخروج موسى من مصر ، وسأقتصر على القول بأن الطوفان مثلا قد حددت التوراة زمانه فى عصر لم تحصل فيه أية كارثة كونية لاسباب تاريخية باتت معروفة جيدا فى عصرنا الحديث ، فى حين أن القصة التى أوردها القرآن للطوفان بوصفه عقابا سلطه الله على شعب نوح بسبب كفره ، لم يحدد له زمان ، قصة لا يرقى اليها أى نقد من هذه الوجهة ٠

فهل استطاع الناس ، فيما بين الحقبة التى وضعت فيها قصة التوراة ، والعصر الذى أوحى فيه القرآن الى المعرفة الانسانية ، أن يحصلوا على معارف عصرية عن هذا الموضوع ؟ من المؤكد أنهم لم يحصلوا على شىء من ذلك ، لان التوراة كانت هى المرجع الوحيد فى هذا الصدد طيلة الفترة الممتدة ما بين العصر أو العصور التى تمت فيها صياغة القصص التوراتية ، والعصر الذى نزل فيه القرآن ٠ ولا وجود لأى معلومات كانت عن أى معرفة انسانية يمكن لها أن تكشف عن النقاط التى يختلف فيها القصص التوراتى اختلافا بينا مع التاريخ ٠ فكيف يتسنى لرجل ـ اذا صح أنه هو الصانع للقرآن أن يستبعـد منه كل ما لا يقبلـه العقل فى العصر الحديث وأن لا يعتمد من الاحداث والاخبار الا يند عن كل نقد من الوجهة العلمية ؟ وكما تصدق هذه الفكرة على قصة الطوفان ، تصدق أيضا على ما جاء فى القرآن بصدد موضوعات أخرى ٠

ولا مناص من التسليم هنا بتفسير آخر غير التفسير البشرى لا يمكن الا أن يكون وحيا من الله جاء لتصحيح ما اقترفه الناس من أخطاء فى صياغة الكتب السماوية السابقة ٠ فنحن قد وضعنا القرآن ، اذن أمام وضعية تدعو بصورة خاصة الى التفكير فى العلاقات بين الدين والعلم ، وانه لتعبير مفاجىء لكثير منا عن مدى تداخل مجالات أحدهما فى مجالات الآخر ٠

وكانت التوراة ـ العهد القديم والعهد الجديد ـ قد وفرت مجالا للتفكير فى تعارض صارخ بين بعض مقاطع نصوصها ، وبين المعارف الحديثة ، وما كان جديرا بالبحث عنه هو سبب وجود هذه التعارضات فى نصوص تنقل الينا وحى الله . على أن ما يجرى مجرى اليقين منذ أن حصلت لنا مفاهيم كانت الى ذلك الحين ، تعوزنا عن أصول نصوص التوراة وعن صياغتها التحريرية ، وبلوغها الينا ، هو أن دور التلاعبات البشرية بها دور كبير جدا ، وأن كثيرا من النصوص هى كتابات المناسبة الظرفية مثل قصة التكوين الكهنوتية ، أو حتى كتابات النضال ، كما يقول سماحة الاب « كننجيسر » فى وصفه للاناجيل ، وفى هذه الظروف تجد حالات عدم التوافق مع المعارف العصرية تفسيرها الكامل والذى كان يمكن أن يدهشنا هو عدم تضمنها لمثل هذه الحالات المتنافية .

أما القرآن فانه لايتضمن شيئا مما يمكن للعلم أن يرفضه ، لان كلامه وقائع ثابتة مؤكدة ، وغير قابلة للتغير ، كما ان عددا من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها الا فى عصرنا هذا . اذن فالمقابلة هنا بين الكتاب المقدس والعلم تتراءى لنا بوجه آخر فلم يعد هناك مجال للفصل بين الاثنين . وهذا مخالف بصورة خاصة لما يعتقده مفسرون للتوراة مهما كانو بارزين مثل الاب « دوفو » (Devaux) الذى كان يرفض القيام من حيث المبدأ بأى مقارنة مع المعارف الحديثة مما قد لا يؤدى ـ كما كتب ـ « الا الى معارضة غير حقيقية ، أو الى توفيقية مصطنعه » .

ألا يقضى بنا الامر ـ باتخاذ مثل هذه المواقف ـ الى كوارث ؟ لابد من ادراك الواقع البديهى والاعتراف به ، ألا نشهد فى البلدان الغربية التى يغلب فيها التأثير اليهودى والمسيحى عجزا كاملا لاساتذة الفكر الدينى على مواجهة المادية بمعارضتها معارضة فعالة تقوم على حجج دامغة من شأنها أن تقف سدا منيعا فى وجه أمواجها العارمة ؟ ربما كان لدينا الكثير مما يمكن أن نقوله عن تطور الافكار حيال هذه المشكلة فى البلدان الاوروبية واللاتينية منها بالخصوص ، حيث يعد الهبوط القوى للميول الدينية أقوى دليل على هذا الانهيار . وعندما نقارن هذا الوضع بما يجرى فى الوقت ذاته بالبلاد الاسلامية ، نلاحظ أن تطورا معاكسا للاول هو الذى ترتسم ملامحه هنا . فالاسلام

هو الدين الوحيد الذى يشهد توسعا وانتشارا فى الآونة الراهنة ، ومن المهم أن نلاحظ اذن أن هناك ، من جهة أخرى ، ديانات تتقهقر فى عصرنا هذا من حيث توزعها العددى ، وأن هناك من جهة ثانية ، ديانة تتقدم على المستوى العالمى ٠

وسواء أكنا مؤمنين أم متشككين أم مسيحيين أم يهودا ، فان هذه المعلومات من الكتب المقدسة في مواجهة العلم ، لا ينبغى أن تترك أحدا فى موقف اللامبالاة بسبب عناصر التقييم الجديدة التى تقدمها لنا ، وامكانيات المستقبل التى ترتسم فى الافق ٠

ان اشتمال القرآن على جميع هذه العناصر التى هى من الوقائع الراهنة ٠ والتى أخذت فى هذا القرن العشرين ، بفضل المعارف الحديثة ، بعدا كان مجهولا الى هذا الحين ليحملنى ــ وأنا أختتم عرضى هذا ــ على دعوتكم الى التدبر فى هذه الآية الكريمة من سورة البقرة : « **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** » ٠

الملتقون لدى جسر الغوفى الذى فيه الرمان !

## لجنـــة النقطـــة الثانيـــة

# الـــــدين والعلـــــم

1 ـ د. **محمد سعيد رمضان البوطى** ( الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة دمشق ) رئيسا

2 ـ د. **عبد الحليم عويس** ( الاستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ) عضوا

3 ـ د. **محمد رشيدى** ( الاستاذ بالجامعة الاندونيسية بجاكارتا ) عضوا

4 ـ د. **التهامى النقرة** (الاستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتـونس) عضوا

5 ـ د. **سليمان آتش** ( الاستاذ بكلية الالهيات بجامعة أنقرة ) عضوا

6 ـ د. **سعيد شيبان** ( الاستاذ بمعهد العلوم الطبية بالجزائر ) عضوا

7 ـ د. **خـير الله عصار** ( الاستاذ بجامعة عنابة بالجزائر ) عضوا

8 ـ د. **محمد أركون** ( الاستاذ بجامعة السربون الجديدة بفرنسا ) عضوا

9 ـ **انعام الله خان** ( الباحث بجامعة القائم الاعظم بباكستان ) عضوا

10 ـ **الشيخ أحمد حمانى** ( رئيس المجلس الاسلامى الاعلى بالجزائر ) عضوا

11 ـ د. **ايفادى فيتراى مايروفيتش** (الاستاذة بكلية البنات بجامعة الازهر بمصر) عضوة

12 ـ **الطالب موسى عبد العزيز** عضـــوا

31 ـ **الطالب موسى قفاف** عضـــوا

14 ـ **الطالب أونيس قرقاح** عضـــوا

ان اللجنة الثانية التى أنيط بها معالجة النقطة الثانية من نقاط ملتقى الفكر الاسلامى الثانى عشر « الدين والعلم » ، فى ضوء اطلاعها على المحاضرات التى ألقيت ، واستيعابها للمناقشات التى دارت ، وتعرفها على العناصر الاساسية للموضوع ، وأهمها : الكتـب المنزلة،وبخاصة منها القرآن والعلم ، ومدى صحة ما يقال اليوم من أطراف مختلفة : الدجال المشعوذ والملحد عن اعتقاد أو جهل ، الذى يزعم أن الدين ينافى العلم ولا يقبله العصر ، ويتساءل هل الدين دليل خير أم هو مخدر للفرد والمجتمع : أم لا هذا ولا ذاك ؟

انه فى ضوء استيعاب اللجنة لهذه العناصر التى يتضمنها الموضوع ، وفى ضــوء نتائج المحاضرات والمناقشات وروح الملتقى العامة ، فى ضوء هذا كله انتهت اللجنة الى تقرير ما يــلى :

1 ـ ان العلم هو ادراك الشىء على حقيقته ببرهان ، نظريا كان أو تطبيقيا ، وأن الاسلام كما أتى فى القرآن والسنة الصحيحة هو الخضوع المطلق للحقيقة الكلية ·

2 ـ ان المقارنة بين الدين والعلم تؤكد أن العلم نبراس يهدى الى الدين الحق وأن القرآن الذى هو المصدر الاول للدين يتفق تماما مع أى حقيقة علمية تجاوزت مرحلـــة النظريات الخاضعة للمناقشة واعادة النظر ، علاوة على انه يحث الناس جميعا على استعمال كل وسائل الفكر والنظر للوصول الى الحقائق الثابتة ·

3 ـ وان الدين فى معناه الحقيقى هو الذى يبث فى العلم روحه ، ويمكن للانسان أن يقطف ثمراته الصالحة الضامنة لسعادة الانسانية ، فلا سبيل لتلاقى الناس على عمارة هذا الكون ، ولا لسعادتهم خارج نطاق الدين والعلم مجتمعين ، وانطلاقا من كل ذلك ، انتهت اللجنة الى التوصيات التالية :

1 ـ ضرورة دعم مكانة الدين فى النفوس والعقول ، ونشر الدين الصحيح والتربية الاسلامية فى مراحل التعليم المختلفة ·

2 ـ الاهتمام بتلقين التلاوة الصحيحة للقرآن ، وحفظ ما أمكن منه ، بدءا من المرحلة الدراسية الاولى ، بحيث يستطيع الطالب التزود بزاد كبير من القرآن وعلوم الدين ·

3 ـ الاهتمام بتدريب التلاميذ على التلاوة الصحيحة للقرآن ، بحيث يتقنون فى آخر المرحلة الابتدائية أكبر قدر ممكن من سور القرآن ، مع حفظ وتفسير ما يتيسر منه ، وذلك بأحدث الطرق التربوية ·

4 ـ تزويد الطلاب فى المرحلتين المتوسطة والثانوية بقدر كاف من الثقافة الاسلامية وعلوم الدين ، بحيث لا تقل الحصص الدراسية عن ساعتين أسبوعيا ، كما هو الشأن فى معظم بلدان العالم الاسلامى ·

5 ـ الحفاظ على مراكز الثقافة والعلم الاسلامى المتخصصة ، وتنمية الروافد التى تغذيها بالعناصر البشرية ، كالمعاهد الدينية المتوسطة والثانوية ٠

6 ـ اعتبار مادة التربية الأسلامية مادة رسوب ونجاح أساسية فى المراحل المختلفة حتى لا يستهان بها كما هو حاصل فى بعض البلدان ٠

7 ـ العمل بما أقره اتحاد الجامعات العربية فى عام 1977 م من ضرورة تدريس مادة الثقافة الاسلامية فى كافة كليات الجامعات العربية ٠

8 ـ تدريس التاريخ المقارن للاديان فى الكليات الاسلامية المتخصصة ٠

9 ـ تبادل الخبرة بين الدول الاسلامية فيما يتعلق بمناهج التربية الاسلامية ووسائلها التعليمية ٠

10 ـ احياء رسالة المسجد باعتباره مؤسسة تعليمية وتربوية وذلك لبث الوعى الاسلامى الصحيح عن طريق الدروس العلمية ومجالس التذكير بالقرآن الكريم ٠

11 ـ انشاء كليات مختصة بالعلوم الدينية فى البلاد العربية التى لم تتوافر فيها بعد هذه الكليات ، مع ضمان روافدها البشرية ٠

12 ـ وفى الاطار العام لمحيط التربية نوصى بأن يبعد عن رسالة التربية كل من عرف بمجاهرته بالالحاد أو الاستخفاف بالقيم الدينية أو الدعوة الى ذلك ٠

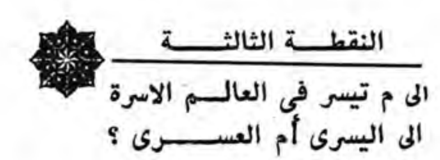
13 ـ تبسيط العلوم ، وتقديمها فى كتيبات مشوقة جذابة ، وبأسلوب سهل ، تستطيع أن تفهمه جماهير المثقفين ، مع تيسير تقديم التراث العلمى الاسلامى بالطريقة نفسها ، للربط بين العلم الحديث وتراثنا العلمى ٠

14 ـ العمل بكل الوسائل على اعادة الكفايات العلمية المسلمة التى هاجرت الى البلاد الاجنبية ، ويستفيد منها غيرنا ، بينما الامة الاسلامية فى أمس الحاجة اليها ٠

15 ـ تشجيع تبادل الكتب الاسلامية والعلمية بين البلاد العربية والاسلامية باعتبار الكتاب وسيلة هامة من وسائل الاتصال الحضارى ، وتحقيق الوحدة الفكرية ، ورفع كل الحواجز التى تحول دون تحقيق ذلك ، وعدم النظر الى الكتاب على أنه وسيلة تجارية بل خدمة ضرورية ٠

16 ـ استخدام كل وسائل الاعلام فى بث الوعى الدينى والعلمى الصحيحين ، ومحاربة البدع والخرافات والاباطيل والآفات الاجتماعية ، والانحرافات الخلقية ، وتخصيص حصص يومية بالاذاعة والتلفزة لتحقيق هذا الهدف ٠

17 ـ وأخيرا ، فاننا نوصى بالاكثار من المؤتمرات الاسلامية التى تعنى بدراسة العلاقات القائمة بين الدين والعلم ، على أن ينهض بذلك علماء مسلمون من كل الاختصاصات ٠



النقطـــة الثالثـــة

الى م تيسر فى العالــم الاسرة
الى اليسرى أم العســـرى ؟

# تكـــوين ( وحـــل ) الاســـرة العصريـــة


د٠ ادوارد شورتر

أستاذ التاريخ بجامعة طورنطو

ـ كندا ـ




**دعونى أستهل هذا الحديث بأن أخبركم بالمكان الذى أعيش فيه ، فأنا أعيش فى مدينة طورنطـــو ، شـــارع ماركهم ، وماركهم شارع هادىء يقوم على جنباته خط من الاشجار الوارفة ، وتمتد فيه منازل جميلة مبنية على طراز فيكتوريا ، ولها شرفات تطل على الشـــارع ، وسقوف مسطحة ٠ هل تتخيلون هذه الصورة فى أذهانكم ؟ اننى أحب الجلوس على شرفة منزلى لأتأمل الناس فى غدوهـم ورواحهـــم ٠**

اننى أرى فى الشارع منتجين يصورون فيلما للتلفزيون ، أرى سيدة وابنتهـــا وصديقا لها ٠ وفى أسفل الشارع أشاهد شابين من ذوى الشذوذ الجنسى ، أحدهما ذا مظهر مسرحى يلبس أحذية عالية الساق ومعه صديق له فى ثياب طيار ٠ وعلى يمينى امرأة أخرى يرافقها ثلاثة أطفال أنجبتهم من زوجين مختلفين ٠ انها تعيش وحـدها ٠

ان ولدى يتردد على منزل امرأة أخرى ليقوم بالعنايه باطفالها عندما تخرج مع صديقها لتمارس رياضة التزحلق على الثلج ـ وأما زوجها فقد تخلى عنها ، وفى مقابل منزلى مباشرة يقف المنزل الوحيد الذى تسكنه أسرة عادية فى منطقتنا ، انها أسرة مستقيمة السلوك فيما عدا كون هذا هو الزواج الثانى للرجل ، وفيما عدا أن للاسرة نزيــلا يتناول الطعام على مائدتها كل ليلة ٠

وهكذا تــرون اننى أعيش فى بيئــة غير عادية وفى حى ، سلوك الناس فيــه غير طبيعى ، ولكننى لست الوحيد فى ذلك ٠ عقدنا اجتماعا فى قسم التاريخ فى جامعــة تقع شرق البلاد ، وفى نهاية الجلسة أعلن رئيسها أن حفلة ستقام فى الكلية فى هــذا المساء وأنتم كلكم مدعوون اليها فى رفقة زوجاتكم » ٠ ولكن العبارة الاخيرة كانت مثارا للضحك بين العديد من الحاضرين ، بل بعضهم وجدها نكتة مستظرفة ٠ فان بعض الحاضرين يعيشون مع سيدات لم يتزوجوا بهن ، والبعض الآخر من الاساتذة نساء ليس لهن أزواج ! وفى جميع أقسام هذه الادارة لم يكن يوجد سوى عدد صغير من الزوجات اللائى يستطعن حضور حفلة مسائية ٠

وهكذا فقد يبدو أن المؤرخين فى كليتنا جماعة من الحمقى ، ومع ذلك ، فأنا واثق من أن هذه القصة قد تنطبق على حالات كثيرة من كليات العلوم الغذائية والحيوانية ، وكليات الطب ، فى جميع الجامعات المنتشرة فى عرض البلاد ٠

ورب قائل يقول ان كثيرا من الناس يعيشون فى خلايا عائلية دون أن يعتريهــا الضلال والفساد ودون أن يحدث فيها هذا الشقاق الذى يجعل المرأة تذهب للتزحلق على الثلج مع خليلها ٠ وهذا صحيح أيضا ٠

والنقطة التى أريد أن ألفت النظر اليها هى أن أحياء مثل الحى الذى أسكنه لا تمثل الحاضر بقدر ما تمثل المستقبل ٠ والاضطراب الذى لحق بحياة الخلية العائلية من النوع الذى أشاهده من شرفة منزلى لم يمس الا أقلية صغيرة من السكان ، ولكنه اذا كانت للاحصاءات التى صدرت مؤخرا قيمة الدليل والمؤشر ، فان هذه من موجة المستقبل ٠

ان هذه الحالة لا تدعو الى الغبطة ، لانه مهما كانت عيوب الخلية العائلية ، فهى قد كانت دائما مصدرا لرضى الكثيرين • وأنا شخصيا لا أشعر بأى سرور حين أقف أمامكم لاخبركم بأننا تحت رحمة موجة عارمة من التغيير فى تاريخ الاسرة ، ستتكشف عـــن أسلوب جديد لحياة الاسرة ، ولكن هذه هى الحقيقة • ونحن قد عرفنا فى غضون السنوات العشر الاخيرة ثورة فى حياة الاسرة ، تشبه تلك الثورة التى حدثت فى الشعور منذ قرن ونصف ، فان ما حدث فى حياة الناس الشخصية فى سنة 1800 أو 1850 ، يمثل تغييرا رئيسيا تاريخيا فى حياة الاسرة • ونحن الآن مقبلون على ثورة مماثلة • هذه هى القضية توجد مدرسة فى علم الاجتماع تعارض هذا التحليل المتشائم فهؤلاء الباحثون لا يفتأون يرددون القول بأن الاسرة الحديثة فى صحة جيدة أساسيا ، وعلى خير ما يرام ، وأنه على الرغم من كل المشاكل التى تواجهها ، مثل الطلاق ، فان « الاسرة الامريكية ستبقى » ( وأنا أستعير هنا عنوان كتاب ظهر مؤخرا فى الموضوع بقلم مارى جوبانز ، ويمثل النزعة السوسيولوجية التى ذكرتها ) •

وهذه المواقف السوسيولوجية تعتمد خصوصا على ما هو ملاحظ من أن جميع الناس تقريبا ، يتزوجون « على الاقل مرة واحدة » وأن كل امرأة تنوى أن تنجب طفلا فى فترة ما من حياتها ـ وكذلك يستخلص أولئك الباحثون من هذا الاتجاه ان الامور لم تتغير بالقدر الذى يبدو لاول وهلة •

وأنا هنا لا أزعم أن خلية الاسرة مقضى عليها حتما وأن الامر سينتهى بكل انسان الى أن يعيش وحده • وعلى العكس ، فنحن سوف نستمر على تكوين عائـلات فى كل مكان ، ولكن هذه العائلات ستكون مختلفة عن النوع المتعـــارف • تلك هى القضية •

والاسرة القديمة التى تربى معظمنا فى أحضانها ليست الشكل الوحيد الممكـــن للاسرة ، والنمط الذى سبق هذا الشكل كان يختلف عنه اختلافا كبيرا ، وأنا أسمى ذلك بـ « النمط التقليدى » ، والشكل الجديد للاسرة هو نوع جديد من حياة الاسرة •

وكذلك نرى أن الاسرة قد مرت فى نموها التاريخى فى الغرب بثلاث مراحـــل : المرحلة التقليدية ، والمرحلة الحديثة ، وما بعد المرحلة الحديثة ، كيف وقع هذا التطور ؟ ولماذا يقع الناس فى الحب الآن أكثر من ذى قبل ؟ ولماذا يغيرون حفاظ الطفل بانتظام

أكثر من ذى قبل ؟ ولماذا يخرجون للسهرة أكثر من ذى قبل ؟ فهذه الامور كلها ذات صلة بالخلية العائلية وبتحولات جذرية فى حياتنا الشخصية ، ولكن ماهى الاسباب فى كل هذه التطورات ؟

كان نموذج الحياة العائلية قبل الثورة الصناعية يختلف اختلافا كبيرا عن النمط الذى يقدمه لنا الاستعراض المسرحى المعنون « أوز وهاريت » ٠

وفى المكان الاول ، كانت الزيجات تعقد بطريقة تقليدية ولا يعير الحب أى اعتبار ، ومن ثم ، فهى أبعد ما تكون عن الرفقة التى تقوم على علاقات الحب وهو النمط السائد فى الزيجات الحديثة ٠ وقد كان الرجل فى ذلك الوقت يختار امرأته عن أساس سعة مزرعة أبيها ( وبالتالى ضخامة المهر الذى تدفعه له العروس ) ، أو على أساس ضخامة جسمها وقوتها العضلية التى تمكنها من القيام بأعمال فى الحقل الزراعى ٠ ونحن يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن المرأة فى بعض المناطق ، مثل جنوب ايطاليا ، هى التى تزاول أعمال الحرث وهى المسؤولة عن اعالة الاسرة ، وبالتالى ، فقد كان من المحتم أن تكون قادرة على الاعمال التى يقوم بها الثور ٠

وأمثال القرويين فى هذه المناطق مليئة بالتحذير من المرأة الجميلة المتقلبة المزاج والتى لا تحب أعمال الحقل ٠ وكذلك كانت الزيجات فى تلك العصور لا تراعى جانب العواطف الا قليلا ، ولم يكن الرجل والمرأة يخرجان ويسيران يدا فى يد أيام الخطبة ٠ ومتى اعترض الوالدان على اقتراح بالزواج ، فما على الشاب والفتاة الا أن يتخليا عن فكرة الزواج كلية ، بدلا من أن يهربا ويتعرض كل منهما لحرمانه من حقه فى الارث فى الوقت الذى ينتصر فيه حبهما ٠

وعندما يتم الزواج فعلا ، يكون السلوك العدائى القائم على استعمال العنف هو النمط السائد فى حياة الاسرة ٠ فنحن اليوم نغضب عندما نسمع بضرب المرأة ، ولكن ضرب المرأة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، كان قاعدة مقبولة فى المجتمـــع ٠

فقد كان من الضرورى تعليم المرأة أن تقبل سلطة زوجها ٠ وقد كان نموذج العائلة التى يسيطر فيها الاب على الزوجة والاطفال ، على غرار ما يجرى فى فرق العمل ، هو النموذج الذى كان سائدا فى المجتمع كله ٠ وكما كان الاب يحكم الاسرة ، كان الملك يحكم بنفس الطريقة البلد كله ٠

وفى بعض الحالات كانت الادوار تنعكس فى الاسرة التى لا تقوم على الحب فكانت المرأة تضرب زوجها • وبالطبع ، فان الذنب فى مثل هذه الحالة هو ذنب الزوج الذى يصر على اختيار امرأة مفتولة العضلات فى الوقت الذى يكون فيه هو بنفسه صغير القامة ضعيف البنية ! ونحن نعثر فى الارشيفات على شكاوى من الازواج الذين ضربتهم زوجاتهم •••

ومتى حدث ذلك كان عارا ووصمة ، حيث أن استيلاء المرأة على السلطة بهذه الطريقة كان يتعارض مع الفكرة السائدة بأن الرجل هو صاحب الكلمة العليا فى أسرته • وكذلك تقوم مظاهرة صاخبة ( وأحيانا مع موسيقى غليظة ) حول المنزل الذى خرجت فيه الزوجة عن الطاعة والعرف ، ويضرب الناس أثناءها الدفوف والابواق • وعند ذلك يستولون على المرأة وزوجها ويجبرانهما على الركوب على ظهر حمار ، وظهر كل منهما مسند الى ظهر الآخر ، يشربان الخمر ويمسح فماهما بذيل ذلك الحيوان •

وهذا يفضى الى النقطة الثانية التى أريد أن أقررها حول الاسرة التقليدية ـ وهى أنها ذات صلة وثيقة بالمجتمع المحيط بها • فان عيون الناس تلحظ دائما من الخارج ما يجرى بالمجتمع فى حضن العائلة وترقبها عن كثب لتتأكد من أن الزوجين يعيشان وفقا للمبادىء التى تخضع لها القرية أو المدينة كلها ، وأن الرجل لا يدخل فى علاقات جنسية مع الخادمات ( والكثيرون كانوا يفعلون ذلك ، على كل حال ) وأن الارامل لا يستنفدن ما فى البلد من العذارى باختيار الزواج منهن وأن الزوجات يدبرن منازلهن بحكمة ولا يفرطن فى الشرب • وفى الوقت الذى كانت تسود فيه كثير من هذه المظاهر من حياة الاسرة التقليدية فى العالم القديم ( لدرجة أقل فى أمريكا الشمالية ) كان الرأى العام يشكل مؤسسة يقظة للمراقبة فى كندا فى القرن التاسع عشر • وحتى فى المدن الصناعية الصغيرة ، مثل « هاملطون » و « أونطاريو » ، كانت تجمعات من الشباب المحلى فى الخمسينات من القرن الماضى تنظم مظاهران ضد المرأة الزانية وضد العائلة التى يسود حياتها الاضطراب • وهكذا نرى أن هذه اليقظة الحادة من الرأى العام كانت موجودة على الجانبين من المحيط الاطلسى معا •

وكذلك يحدث أن تأخذ الجماعة أحد أفراد العائلة لينغمس فى نشاط اجتماعى دون أى عتبار لحاجة الاسرة ووحدتها وحرمتها : فاليافعون مثلا ، ولا سيما الشبان ينغمسون بدون حدود فى حياة جماعات الشبان المحليين · وهذه الجماعات قد تقوم ، فيما تقوم به من النشاطات بتنظيم احتفالات وأعياد الكرنفال أو تشرف على تنظيم الزيجات بين الرجال والنساء · وهذا التنظيم للزيجات والخطبة قد تحول الى عادات سادت خصوصا فى البلدان السكاندينافية وفى ألمانيا · ففى عشية يوم السبت تجتمع عصابة من الشبان فى الساحة العمومية ليشربوا قليلا ثم يأخذون فى التجوال والطواف بالمنازل التى توجد فيها فتيات فى سن الزواج · وعند باب كل منزل ينشدون ويغنون حتى تخرج الفتاة وتختار واحدا من الشبان لقضاء الليل ·

ان هذه العادة تبدو لنا قذرة ، ولكنها لا تنطوى على حرام · وان الشاب يخلع جاكتته وقبعته ( ولا شىء غير ذلك ) ثم يضطجع قريبا من فراشها ورأسها على ذراعه ، ولكن أرجلهما لا تتلامس · ولربما قبلته قبلة خفيفة فى عنقه ، ولا شىء غير ذلك · وبعدما يتعب ذراع الشاب يسحبه ويدور ليرقد على جنبه الآخر · ولكن هذه العادة لا تنص على صيغ أخرى ولذلك ، فان الشابين قد يتعانقان دون أن تقع علاقة بينهما · والفكرة تهدف الى جمع شابين على انفراد حتى يتعرف أحدهما على الآخر ·

وبعدما تنتهى العصبة من تنظيم الزيجة الاولى تنتقل الى منزل عذراء أخرى وهكذا · وقد يحدث أن يقضى الشبان الاخيران الباقيان الليلة مع فتاة واحدة ·

ولضمان عدم التحايل وخرق العادة ، قد تعود العصبة أدراجها فجأة لكى تتحقق أن الشاب لم يأت بأكثر من المتوقع وأنه لم يرتكب أى اثم · ولكنه متى حدث وارتكبا اثما فان عقابا صارما سينزل بالشابين وذلك بأن تسرق سراويل الشاب أو يعلق شال الفتاة بمسمار على حائط الكنيسة · وعلى كل ، فان الشابين لم يعد لاحدهما مكان فى عصبة الشبان فى مثل هذه الحالة ·

لقد شملت هذه العادة أمريكا أيضا ، ولكنها لم تكن تقوم على نفس التنظيم المحكم · ففى ولاية بنسلفانيا ، مثلما كان الامر عليه فى أوروبا الشمالية ، كانت الجماعة هى

التى تراقب عملية الخطبة والزواج ، فى الوقت الذى تتاح فيه فرصة للشاب للتعرف على الفتاة لكى يتجنبا قيام الوالدين بتنظيم الزواج ، ( وهو أمر لم يكن قط يشكل قاعدة فى المجتمع الاوروبى ) •

اليكم مثلا آخر عن الطريقة التى تلتحم بها العائلة بالجماعة المحيطة بها فى المجتمع التقليدى • ففى فصل الشتاء يجتمع النساء فى مستودع الحبوب فى أحد المنازل لاعمال الغزل والنسيج ومعهن بناتهن المراهقات ، وقد تقع هذه الاجتماعات مرتين أو ثلاثا وتستمر بعد العشاء حتى منتصف الليل •

وفى نفس الوقت يعقد الرجال اجتماعات مماثلة فى الحانة أو فى المقهى المحلية ( وجميع القرى توجد فيها على الاقل حانة أو مقهى واحد ) وبعد ما يشرب كل واحد منهم مع رفيقه يعود الى منزله حيث يأوى الى فراشه قبل زوجته لانه من المحتم أن ينهض مبكرا فى الصباح ليقوم بالاعمال الزراعية • وهكذا يقضى السهرة كل من الجنسين بمعزل عن الآخر ويذهب الرجال مع الرجال والنساء مع النساء • ومتى قصد الرجل والمرأة الفراش فى أوقات متغايرة ، فمعنى ذلك وجود علاقة جنسية بينهما فى تلك الليالى ، والتحول الموسمى للحمل يؤكد هذا الفرض •

والنقطة الاخيرة فى هذا العرض حول الاسرة التقليدية ، هى أن هذه الاسرة لا تكترث بحياة الطفولة . ونحن لا نكاد نصدق امكان وقوف المرأة فى الازمنة السابقة بدون اكتراث ولا عاطفة أمام منظر طفلها المريض أو المحتضر ، وذلك لاننا نتخذ موقفا مشبعا بالعطف والحنان على الاطفال الصغار بحيث أن موت طفل قد يترك فى نفس الزوجين أثرا يبقى مع الحياة • ولكن الحقائق لا تقبل النقاش • فان الامم ترتفع من صدرها حسرة استسلام وهى تقول « نعم ! لقد ارتفع ملاك آخر الى السماء » • بل ان الاب والام قد لا يعبآن بحضور جنازة ابنهما ، وقد يطلقا اسم الطفل الذى اختفى على على طفل آخر بعده ، وهو أمر يستنكره العرف فى عصرنا هذا •

ولكن لننظر كيف كان يعامل الاطفال • فبدلا من أن ترضع الام طفلها ، تغذيه بدقيق معجون بالماء ، وهو غذاء صعب الهضم على معدة الطفل الصغيرة ، ومعظم نساء القرى والمدن يقمطون الاطفال الصغار ويكبسونهم فى قماش ويشدونهم بضيق من الرأس الى

القدمين بحيث لا يستطيعون الحركة • وهذا معناه أن الطفل لا ينظف الا فى أوقات متباعدة ، بسبب مشقة فسخ القماش من جهة ، وبسبب مشقة غسله ، ( والكثيرون لا يغسلون سوى ثلاث أو أربع مرات فى السنة ) • وتبعا لذلك فان هؤلاء الاطفال عرضة لمختلف أنواع العدوى والامراض الاكزيما التى يشكو الاطباء من كثرتها مر الشكوى • والاسوأ من كل هذا هو عادة ابعاد الاطفال الصغار عن منزل الاسرة • فقد كان الامهات فى فرنسا يبعدن أولادهن لمنظمات فى الريف تقوم بتربية الاطفال ليصبحوا مرتزقة ، وذلك حتى تجد المرأة الوقت الكافى لكى تساعد زوجها فى أعمال الحقل • ومتى ابتعد الطفل عن المنزل ابتعد عن القلب • فان الابوين لن يقوما بزيارة الطفل أو يهتما بحالته الصحية • وعدد كبير جدا من هؤلاء الاطفال يموتون على يد الحاضنات العاملات فى تلك المراكز • وبينما كانت نسبة الوفيات العامة شخصا واحدا من كل أربعة ، كانت نسبة وفيات الاطفال تقرب من 50 فى المائة • وهذا فى حقيقة الامر ليس الا شكلا من أشكال جريمة قتل الاطفال • وأما الآباء الذين لا يستطيعون دفع المبلغ الذى تطالب به تلك المنظمات فهم يلقون بهم فى الشوارع أو يعهدون بهم الى الكنيسة ( يضعون الطفل على باب الكنيسة ثم يقرعون الجرس ويهربون ) •

ان العلاقات العاطفية التى تجمع بين أفراد هذه العائلات ليست علاقات حب حقيقى واستمتاع برؤية الاطفال ينمون ويزدهرون ، ولكن الروابط التى تربطهم هى استمرارية الميراث العائلى من جيل لجيل واستمرار اسم العائلة مع المزرعة ومبانيها ودكان صناعتها ، عبر الاجيال • والشىء المهم فى نظر العائلة التقليدية هو تحويل الجيل ممتلكاته الى جيل آخر ، طبقا لقواعد دقيقة للسلوك الاجتماعى وضعها المجتمع الذى يحيط بها • وكذلك كانت العادات والتقاليد التى تتعلق بسلوك المرأة ثقيلة قاسية ، وأما كونها لا تحمل أية عواطف أو شعور مخلص فهو أمر لا صلة له بالموضوع • فان الهدف من الحياة ليس هو المتعة ، بل القيام بالواجب الذى يرى الآخرون أنه واجب • ذلك هو محور الاسرة التقليدية •

وقد اختفى هذا النمط من الحياة العائلية حينما ظهر النمط الجديد وانتصر فى منتصف القرن التاسع عشر •

ونمط العائلة الذى يقوم على العواطف المتبادلة بين الاب والام والاطفال الذين يلتفون حول مائدة واحدة للعشاء انما هو تطور وقع فى غضون المائة سنة الماضية • ولكن لننظر فى الخصائص الرئيسية لخلية الاسرة الحديثة •

بدلا من أن تختلط بدون تحفظ بالمجتمع الذى يحيط بها ، فهى تتدرع وتتحصن وراء أستار الحرمة العائلية حين تتمكن من الاستمتاع بالعلاقات العاطفيـة الحديثـة الظهور فى حضنها • وبينما كانت فى الماضى تستقبل سيلا لا ينقطـع على مائدتها وفى حوشها من الاشخاص الذين لا تربطهم بها روابط عائلية ، أصبحت الخلية العائليـة تعيش وحدها فى عزلة ( ونحن نجد فى الوثائق آثار للشكاوى من رب الارض الانجليزى الذى منع العمال الزراعيين من التردد عى مائدة طعام وجبة الغذاء ) •

وبينما كان عالم المواسم والحفلات الغنية فى الماضى يجتذب اليه الافراد وينتزعهم من حضن العائلة ، فاذا بالعائلة أصبحت تغلق الابواب على نفسها وتقضى السهـرة فى المنزل ـ الاب يقرأ الصحيفة والام تقوم بأعمال النسيج فى الوقت الذى يأوى فيه الاطفال تحت رعايتها الى الفراش • والمثل الذى يقول : « شرق أو غرب فلن تجد أفضل من عشك » وهو المثل الذى كان شائعا فى أوساط العمال فى أواخر القرن الماضى •

وهذه الحكمة كان لها مغزى ، فان نوعا جديدا من الحب أصبح يربط الرجل بزوجته، وهو نوع من الحب الرومانسى الذى ينمو ويقوى فى العزلة والانفـراد • ان المـرء لا يستطيع أن يجلس ماسكا بيد زوجته أمام أعين جمع غفير من العمال • والنوع الجديد من العلاقة الزوجية يفترض أن الزوج والزوجة قد يقومان ببعض الامور معا ولا يسير كل منهما فى رفقة الآخرين • وبذلك ظهرت عواطف جديدة من الحب تربط الزوج والزوجة وبذلك لم تعد الحياة الزوجية تقوم على مجرد القواعد المتصلبة التى يفرضها العرف السائد فى القرية • واسمحوا لى بأن أبين الاساس المتين لهذه العواطف هو حب الاطفال أكثر من ذلك النوع من الحب الذى يساور القلوب أثناء فترة الخطبة ، فان هذا النوع من الحب قلما يبقى متى اصطدم بالظروف المادية الصعبة التى كانت كثير من هذه العائلات تعيش فيها • ولكن الزوجين يحبان أطفالهما ، والمرأة أصبحت تلازم منزلها وتعتنى به ، وبذلك تبنى الاسرة لنفسها عشا يلقى فيه الاطفال التربية الاجتماعية المـلائمـة •

والاطفال فى حضن العائلة الحديثة يلازمون منزل الاسرة حتى يحين وقت الزواج بدلا من أن يخرجوا منه للتدرب على المهن أو للعيش خدما فى منازل الاغنياء كما كان الامر من قبل . وكذلك أصبح الاطفال يعربون عن شكرهم وامتنانهم للام من أجل التضحيات التى قدمتها من أجلهم خلال حياتها ( والام فى الاسرة التقليدية لم تكن تضحى بشىء من أجل أطفالها حيث كن ينهمكن فى الاعمال الزراعية والصناعية اليدوية ) . ومتى وقع شقاق بين الرجل والمرأة ( وهذا يحدث كثيرا فى الاسرة الحديثة ولو أنه أقل عنفا من ذى قبل ) . فان الزوجين يبقيان معا فى حضن الاسرة « من أجل الاطفال » .

وأنا ألح هنا على الدور الجديد فى العناية بالاطفال لاننى أريد بعد حين أن أعقد مقارنة مع مواقف الاسرة التى بدأت تظهر الآن نحو الاطفال .

ولكى نضع الامور فى موضعها، ينبغى أن نذكر أن الاسرة الحديثة قد بدأت تمد عروقها فى الطبقة المتوسطة العليا فى أواخر القرن الثامن عشر . ( وقبل ذلك قليلا بين البريطانيين الذين استقروا فى امريكا الشمالية ) . وانما بدأ هذا النمط من الحياة العائلية ينتشر فى الطبقات السفلى من الموظفين فى المدن والصناع وأصحاب الحرف والفلاحين فى المدن الصغيرة والارياف فى منتصف القرن التاسع عشر . وأخيرا ظهر هذا النمط فى أوساط عمال الصناعة والبروليتاريا فى المجتمع الغربى فى أعقاب الحرب العالمية الاولى .

ولم يكد يحل العقد الثالث والعقد الرابع من هذا القرن حتى أصبح نموذج الاسرة الحديثة هو النموذج الشائع من المناطق الريفية فى الدانمارك ( كما أخبرنى مؤخرا سيدة ولدت هناك ) . حتى أرياف ولاية المسيسيبى ، حيث نمت وتربت أسرتى . ومنذ بداية القرن ساد نمط الاسرة الحديثة من الخياط اليهودى فى لندن ( وأما الحياة التقليدية اليهودية فى القرى الصغيرة فى بولندا فأمرها يختلف ) ، حتى أوساط البورجوازية الراقية فى أماكن مثل شارع ماركهم فى طورنطو .

ورب قائل يقول : ما أبطأ عملية ظهور العائلة الحديثة التى احتاجت الى مائة سنة حتى تنتصر فى المجتمع الغربى .

ولكنه اذا اعتبرنا السرعة التى تتطور بها العائلة الآن ، فان من الممكن الاعتقاد بأن تدميرها سوف يستغرق وقتا أقل من ذلك كثيرا • ها نحن الآن قد وصلنا الى أعمق نقطة فى هذا الحديث : نهاية الخلية العائلية الحديثة وتحولها فى المستقبل القريب •

اننا لا نزال نتحدث عن الاسرة لأن 95٪من الناس لا يزالون يتزوجون ويتعايشون تحت سقف واحد مدة من الزمن ، وينجب كل زوج منهم طفلا أو طفلين ، وهو ما نسميه طبقا لكل التعاريف باسم الاسرة • ولكن الزواج الجديد يختلف عن الاسرة الحديثة من عدة أوجه :

أ ــ لان تفاعل الزوجين العاطفى أكثر حدة وذا طابع جنسى أكثر صراحة •

ب ــ لأن علاقاتهما بالاولاد تختلف اختلافا جوهريا عن تلك ألتى لاحظناها عند الحديث عن الاسرة الحديثة ، ولا سيما فى سن المراهقة ( انها علاقة البرود وقلة الاكتراث ) •

ج ــ لان الزيجات الجديدة أقل ثباتا واستقرارا من خلية الاسرة الحديثة ، ونتيجة لذلك ، فهما تختلفان فى نظرتهما الى الاطفال والعلاقات الجنسية وشجرة الاسرة •

فان الاسرة الحديثة تمثل وحدة متقاطعة تخضع لقيود الزمن ( باحساساتها بأهمية شجرة الاسرة ) ولقيود المكان ( بالعلاقات والاتصالات التى تربط بها الاقارب والجيران والاصدقاء ) وفى مقابل ذلك نجد الزوجين الجديدين عبارة عن ذرة عائمة فى الفضاء ولا تخضع لاى من هذه القيود والعلاقات الاجتماعية المتينة • وهذه الزيجات تنبض بالعواطف الداخلية العنيفة بحيث انها تنفجر من حين لآخر وتظهر أعراض كل ذلك فى الخط البيانى الاحصائى المتصاعد باستمرار عن حوادث الطلاق فالزوجان يرتبطان بحب عنيف بينهما فى الوقت الذى لا تربطهما فيه رابطة بالخارج • انهما يعيشان فى جنة شقتهما التى تقع فى الدور السابع عشر ويتمتعان بسعادتهما ، حتى تقع الكارثة •••

اننا هنا نستعمل عبارات كبيرة المدلول ، لكن ما هى الدلائل التى تؤكد أن ما نقوله حق وصدق ؟ من يدرى ؟ فقد يكون علماء الاجتماع الذين يرون فى أحداث الطلاق أحداثا عرضية ليس من شأنها أن تؤدى الى انقراض الاسرة ، على صواب !

لننظر مثلا ، فى علاقات الزوجين بأولادهما اليافعين ، تلك العلاقة التى كانت العروة الوثقى للاسرة فى الاربعينات ، والخمسينات ، فان الدلائل قوية على أن الوالدين لم يعودا يهتمان بتربية أبنائهما اليافعين تربية اجتماعية ( يجب ألا يغيب عن أذهاننا أننا نتحدث عن اليافعين : وأما الاطفال الصغار فان معاملتهم لم تتغير ) • وجرائم الاحداث قد انتشرت انتشارا فضيعا فى السنوات العشر الاخيرة فى ولاية طورنطو المعروفة بالهدوء والرزانة بحيث زادت حوادث الاعتداء على العفاف والسرقة والهجوم على النساء زيادة فاحشة • وقتل العجائز قد أصبح طاعونا فى كثير من المدن الكبيرة ، مثل نيويورك •

ومهما تكن جذور جرائم الاحداث متعددة ، فان من بين أسباب هذه الجرائم كون الاحداث لا يلازمون المنزل مع عائلاتهم • ولو بقى الاحداث فى المنزل يتفرجون على برامج التليفيزيون لما خطر فى بالهم أن يرتكبوا جرائم سرقة السيارات ، مثلا •

لا توجد احصاءات بشأن تشتت الاسرة ولكن تدهور حالة وجبة العشاء أمـــر محقق ، فان الشبان يخرجون مع رفقائهم ليلتهموا لقمة فى أحد المقاهى دون أن يكترثوا بوجبة العشاء المنزلى • ونظرة عابرة فى المساء على مقهى مكدونالد الذى يقدم الشطائر بين السادسة والثامنة مساء ترينا أن معظم الزبائن من جماعات اليافعين ، ومن الكبار الذين لا عائلة لهم • ونحن نتحدث عن وجبة العشاء . ولكن وجبة الفطور العائلى أكثر تدهورا •

ونحن نعرف ، على كل حال ، بفضل دراسة العالمين جانينج ، ونيامى ، أن موقـف اليافعين نحو السياسة يعتريه التغيير • فقد كان المصدران الذى يستقى الشبان منهما معلوماتهم السياسية فى الماضى ، هما الآباء . والى حد أقل المدرسة • فان تصويت الانسان للحزب الديمقراطى أو الحزب الجمهورى أو للفاشيين انما يحدده انتماء الابوين لاحد هذه الاحزاب ، أما الآن ، فقد تناقص نفوذ الابوين ونفوذ المدرسـة فى توجيـه الشاب سياسيا الى حد كبير ، وحل محل هذين المصدرين نفوذ الرفقاء وتأثير أجهزة الاعـــلام •

والاحصاءات المستقاة من الاحصاء العام للسكان الذى أجرى مؤخرا فى الولايات المتحدة ، تشير الى أن زيادة هائلة فى النسبة المئوية للشان ( تحت سن 19 ) الذين يعيشون خارج منزل الاسرة . وعلى العكس ما تدعى الباحثة مارى بانز ، وغيرها ، فان بقاء الشبان فى المنزل العائلى استجابة لنداء الواجب حتى الزواج أو دخول الكليـــة أو الحصول على وظيفة لم يعد كما كان من قبل . واحصاءات سنة 1974 ( وهى آخر احصاءات متوفرة ) تدل على رغبة متزايدة فى التحرر المادى من قيود العائلة . ولكنه حتى بالنسبة الى أغلبية الشبان الذين يبقون فى منزل العائلة وقتا أطول ، فان تحررهم من القيود العاطفية نحو آبائهم يبدأ فى وقت مبكر ولا يلبث أن يصبح كاملا . فان الشبان يصعب عليهم مع مرور الايام تذكر أسماء أقاربهم البعيدين . واهتمامهـــم بالاجتماعات واللقاءات العائلية يقل تدريجيا . ويوم الاحد يقضونه فى كل اتجاه ، وأما حمل باقة من الزهور لوضعها على ضريح الجدة ، فهو أمر لا يخطر ببال الآباء ، أنفسهم فضلا عن الاحفاد . فهؤلاء اليافعون يهربون لا من مراقبة الآباء ، بل من جميع فروع الشجرة العائلية . ونحن نعرف أن جزءا مهما من الفكرة التى نكونها عن أنفسنا فى الاسرة الحديثة انما يأتينا من الاجداد . أما الآن ، فان فكرتنا عن أنفسنا انمـــا يحددها النمط الذى تتطور به شخصيتنا .

وهكذا ، فان انطلاق الابوين وتحررهم من الارتباطات يترك مشكلة كبيرة ، وهى مشكلة الاطفال البالغين . هل التغير الذى طرأ على موقف الآباء من أبنائهم ، هو الذى دفع بالابناء الى المقاهى والحانات والملاهى، أم ان هذه المغريات هى التى أثرت ، خصوصا على جيل الستينات والسبعينات هى التى تجذبهم بعنف من منزل الاسرة ؟ ذلك سؤال يذكرنا بالجدل الذى قام حول قضية من هو الاسبق : البيضة ، أم الدجاجة . والشىء الواضح الآن تماما هو قلة عدد الآباء الذين يرتبون أمورهم لكى يعيشوا ليستجيبوا لحاجات أبنائهم . فالمال الذى يدخره الزوجان لشراء منازل فى انتظار وقت الاحالة على المعاش ، بدلا من أن يودع فى حساب الوصاية فى مصرف . وانما المحافظة على منزل الاسرة جميلا ليستقبل زيارة الاحفاد ، فهى فكرة لم تعد ترد فى أذهان الناس . فان الابوين يعملان للتخلص من ذلك المنزل للانتقال الى شقة .

تلك هي النقطة الاولى التي أريد أن أسجلها عن الزيجات الجديدة :ان الاطفال اليافعين لم يعودوا مصدرا للغبطة والسرور للابوين كما كانوا في عهد الاسرة الحديثة . انه لم تعد هناك أسباب عائلية تستحق الاهتمام ، والزوجان يريدان أن يبقيا زوجين ولا شيء أكثر من ذلك . والزوجان لم يعودا يعتقدان أنهما يمثلان حلقة من سلسلة الاسرة التي تمتد على اجيال عديدة . فاذا كان الشبان يبتعدون عن الاسرة ليعيشوا في عالمهم الخاص فما الفائدة ، فما الفائدة من تلقينهم تقاليد الاسرة ؟ ان الحيوانات لا تؤمن بالشجرة العائلية ، والشبان أيضا لا يوجد سبب يحملهم على ذلك .

ولكن العاقبة الكأداء التي يواجهها استمرار العائلة هي ما تقرره الاحصاءات من أن نسبة تتراوح بين 35 و 45٪من الزيجات تنتهي بالطلاق ، فاذا كان من المنتظر أن ينتهي زواجك بالفراق بعد سبع سنوات من عقده ( وهذا هو متوسط أعمار الزيجات التي تنتهي بالطلاق ) ، فاية أهمية لان تعلق صورة الجدة في مكان ملائم في قاعة الجلوس - ان تشيجفارا ورفقاءه يدلون الناس على طريق للحياة أفضل من ذلك .

والفرق الاساسي الثاني بين العائلة الحديثة والزيجات الجديدة هو : عدم الاستقرار . فان فرص افتراق الزوجين لسبب أو لغير سبب فرص كبيرة . وحينئذ يتوزع أعضاء العائلة وكل في اتجاهه ليشكل زوجا جديدا . لقد أصبح الناس مثل عربات القطار ، يرتبط كل منهم بالآخر ثم ينحل ارتباطه ، ليرتبط بعربة أخرى ، وهكذا دواليك . ان الزواج يحتاج الى شجاعة ، والعزوبة كذلك والخوف من مشاكل الزواج هو السبب في ازدياد عدد المواليد غير الشرعيين في غضون العشرين سنة الاخيرة . وفرص انهيار العلاقات الزوجية غير الشرعية فرص كبيرة مثل التي تواجهها العلاقات الزوجية الشرعية . والمشكلة التي نتحدث عنها ليست مشكلة العلاقات الزوجية وحدها ، بل هي أزمة عدم الاستقرار في العلاقات البشرية كلها . وهذه الازمة تشمل أمورا مثل الثقة والولاء والحب الخ . ، وقد عمت الآن مجتمعنا بأسره . ترى ما هي الاسباب التي تتصل بحياتنا والتي تجعل الكثيرين منا غير قادرين على المحافظة على علاقات ودية مخلصة لمدة طويلة ؟ ترى ماهي الميزة التي خص الله بها سنة 1977 م والتي تسلخنا بدون أسف

عن الاشخاص الذين نحبهم ، والذين كنا نحبهم ؟ وأية عوامل نفسية تجعل طاقتنا على الحب محدودة ومن نوع غير جيد ؟

ان أزمة خلية الاسرة الحديثة هى أزمة مجتمعنا كله • فان الجرس الذى ينعى الاسرة التى تجتمع حول مائدة العشاء ، ربما كان نذيرا بزوال بعض المثل العليا العاطفيـــة التى كنا نحرص عليها أكثر من أى شىء آخر فى المجتمع الغربى فى غضون قرن ونصف من الزمن : مثال حب الغير والتضحية من أجله •

لماذا وقع هذا التطور ؟ لدى بعض الافكار لتفسيره ـ أعتقد أن أحد الاسباب التى أدت الى هذا الانفجار الهائل فى الاسرة ، هو الثورة التى شهدتها السنوات الخمس عشرة فى العلاقات الجنسية • ان الكبار لا يستطيعون تصديق ما يشاهدونه بأعينهم الآن : انك تستطيع أن تشاهد فى أحد المتاجر الكبيرة صورا للناس وهم يمارسون علاقات جنسية مع الكلاب •

ان شركة النشر « ماكيلان » قد ظلت تنشر يوميا منذ وقت واعلانا كبيرا وباهظ التكاليف حول كتاب بعنوان « ذى هايت ريبورت » وهو كتاب يأخذ بالانفاس ووثيقة تعتبر بحق مساهمة كبيرة فى البحث العلمى حول السلوك الجنسى • انه يعالج الطريقة التى تحقق بها المرأة شهوتها ، ما تفعله لنفسها وما يفعله الآخرون بها • وهكـــذا نعرف الآن أن هناك عدة طرق لتحريك البظر كما نعرف أمورا أخرى • وهذا الكتاب قد نال جائزة أدبية من النوع الذى حصل عليه كتاب « ذهب مع الريح » •

ان ثقافتنا كلها تتعرض للسوس ـ سوس العلاقات الجنسية التى تغير بصورة لا رجعة فيها ديناميكيه الحياة الزوجية • فان الاسمنت التى تقوم عليه العائلة ويربط بين أفرادها . هو حياتها فى السرير ، وليس العناية بالاطفال أو الشعور بالانتماء الى شجرة نسب طويلة أو الرغبة فى العمل والكدح والادخار لشراء زورق للتنزه فى البحر • ولكى نتحقق من ذلك يكفى أن نتذكر ما تعرفه الكتب التى تعالج المسائل الجنسية من النجاح • فان كتابا واحدا يفسر التمتع بالحياة الجنسية قد وزع مؤخرا ثلاث ملايين ونصف مليون نسخة • والازواج أكثر الناس تسابقا لاقتناء مثل هذه الكتب لانهم

بدأوا يعتقدون أن العلاقة المنطقية الوحيدة التى تجمع كل واحد منهم بزوجه هى العلاقات الجنسية · ومن هنا فما عليه الآن الا أ نيتقن مبادىء الفن ويتخلى عن الزواج ·

واتخاذ الزواج طابعا من العلاقات الجنسية أمر يظهر فى الاحصاءات · لقد كانت فرص اختلاط امرأة متزوجة برجل آخر فى عهد كينسكى واحدة على عشرة · أما الآن فقد أصبحت واحدة على أربع ·

لقد أجرى مورطن هانت منذ سنتين دراسة فى موضوع العلاقات الجنسية بين المتزوجين ، فاكتشف أنواعا لا تحصى من الطرق التى لم يكن الفريد كينسكى يعير معظمها منذ 25 سنة أى انتباه لقلتها · ولكن هانت وجد أن واحدة من أربع زيجات من الذين تقل أعمارهم عن 35 سنة يستعملون هذه الطرق بين الحين والحين ·

اننى لا أريد أن أظهر بمظهر من يتكلف الاحتشام ، فان العلاقات الجنسية لها مكانها بالتأكيد · والمسألة هى أن الانجذاب الجنسى أمر لا يمكن التنبؤ به ، فان الغريزة الجنسية بعيدة الجذور فى النفس البشرية ، ونحن عاجزون عن فهم هذه الغريزة بمنطق عقلانى · وهذا الهوى وهذه الرغائب غير مستقرة · فأنت اليوم تشعر بانجذاب الى شخص ما وغدا تشعر بنفس الانجذاب لشخص آخر · وهكذا · ومتى قام الزواج على قواعد الجنس غير الثابتة ، فسوف ينهار حتما ، حيث أن الرغبة الجنسية تزول أو تتحول الى شخص آخر ، ان اعطاء الاهمية القصوى للجنس فى الحياة الزوجية هو أشبه ما يكون بوضع قنبلة زمنية على السرير · انها ستنفجر ويتحطم بانفجارها الزواج نفسه ·

وفى رأيى أن ما حدث هو أن ثورة العلاقات الجنسية قد تملقت الطاقة الجنسية فى كل شخص · فان أجهزة الاعلام تضع أمام أعيننا كل يوم صورا صارخة لمختلف الاوضاع والحالات فى العلاقات الجنسية ولا يستطيع سوى القليلون القول بأن حياتهم كاملة اذا لم يخوضوا فى مغامرات الشهوة والاثم · ونحن متى حاولنا تطبيق المثل الشهوانية الجديدة اصطدمنا بصورة الواقع ، وماذا يمكن أن ينتظره المرء بعدما يشاهد هذه الصورة الجنسية ويمارس العلاقات مع زوجة عاش معها سبع سنوات ليستيقظ فى اليوم التالى على هموم الشؤون المنزلية · ؟

اننا ضحايا الثورة الجنسية التى تقدم لنا صورا عليا للحياة الجنسية وراء ما تسمح الامكانيات بتحقيقه • انها ثورة أخرى من هذه الثورات التى تبعث فى النفس آمالا لا سبيل الى تحقيقها • ونحن نعرف ماذا يحدث لشخص تندفع به الآمال والاحلام ويتجاوز مقدرته على ارضائها • ستخيب آماله ويحز الفشل فى نفسه ويصبح عدوانيا • ان آمالنا وأحلامنا الجنسية تتجاوز مقدرة العائلة الحديثة على تحقيقها ـ ونحن متى حولنا العلاقات بين الزوجين الى قاعدة للاستكشاف الجنسى ، فقد بذرنا البذور التى تدمر كيانهـــا •

انه لمن حسن الحظ أن الذين يطلقون ( أو على الاقل الرجال ) يتزوجون من جديد ، ولكن العملية تبدأ من جديد •

وهكذا فان الثورة الجنسية هى التى خلقت الظروف المواتية لانتشار الطلاق • والامر الذى جعل ذلك ممكنا فعلا ، هو تلك الزيادة الكبيرة فى عدد النساء المتزوجات اللائى يمارسن العمل • ولقد أثبتت ايزوبل شاول احصائيا وجود علاقة واضحة بين كون المرأة تمارس عملا وبين الطلاق • والشىء الذى يحدث عادة ، هو أن المرأة تدرك عندما تزاول العمل فى استطاعتها الاعتماد على نفسها متى دعت الحاجة الى ذلك • وفى وقت من الاوقات ستظهر الحاجة الى ذلك فعلا الى الاستقلال ، وعند ذلك تنحل العلاقات الزوجية ـ وأنا أرى أن عدم الانسجام الجنسى يعتبر فى مقدمة الاسباب المؤدية الى هذا الانحلال ـ وكذلك تنفصل المرأة عن زوجها بسبب عدم رضاها بالعلاقات الجنسيـــة وبطريقة لم تكن لتجرؤ عليها فى الماضى فى المجتمع الغربى •

وهكذا خلقنا الظروف التى تسمح بانحلال العلاقات الزوجية ، وهى :

1 ـ اليافعون الذين لم يعودوا فى حاجة الى العناية بهم أو الذين لا يمكن العناية بهـــم •

2 ـ أسباب الانفصال : العلاقات الجنسية التى أفلتت من كل سيطرة للتطور •

3 ـ امكانيات اقتصادية للمرأة تجعلها تستغنى عن الظروف المادية التى كانت توفرها لها العائلة الحديثة •

وأنا أستطيع أن أمنع نفسي عن تسجيل كلمة بشأن عدم تقديم السوسيولوجيا للعائلة أية مساهمة تذكر في سبيل فهم هذه التغييرات ـ فالمرء يتصفح عبثا المجلات العلمية مثل Journal of Maraige بحثا عن أي تحليل يلقى ضوءا على الاسباب التي أدت الى هذه الحالة . واذا استثنينا الابحاث التي تعالج النمو الديموغرافي فان البحث في هذا المجال لا يكاد يخرج عن دائرة المسائل التي لا قيمة أو التي لا صلة لها بالموضوع ، مثل « الامور التي تحدد توزيع السلطة » في الاسرة ( ونحن لا نريد أن نعرف لماذا يسعى كل من الزوجين للسلطة وانما نريد أن نعرف لماذا لا يستطيع أحدهما أن يحب الآخر ) . ان الامر المهم حقا هو لماذا كان الازواج سعداء في الماضي ثم يقررون فجأة أن الوقت قد حان للانفصال ! ان البحث المنظم قليل بشأن توضيح الاسباب التي تؤدي الى انحلال العلاقات الزوجية وعن كيفية تأقلم الاسرة في شجرة النسب وعن مدى قوة العلاقات بين الابوين والابناء البالغين ( وأما تلك الشعارات الفارغة ، مثل « فجوة الجيلين » فان أحدا لم يعد يهتم بها الآن ) وعن تأثير اشباع الغريزة الجنسية في مجموع العلاقات العائلية ، وبدلا من كل ذلك ، فان المجلات والكتب تمطرنا وابلا من النتائج التي لا قيمة لها والثقيلة على النفس ، لانها تكتب في عبارات ومصطلحات من الغرابة والصعوبة بحيث أن المتخصصين أنفسهم يعجزون عن فهمها .

ان الناس لا يفتأون يتساءلون حول هذا التحول في حياة العائلة : أهو شيء حسن أو قبيح ؟ ان المسألة ذات وجهين .

فمن جهة نجد جميع العواطف المرضية التي رافقت العائلة الحديثة في الماضي : ثقة قوية أو ضعيفة بالمكانة التي يحتلها الفرد في سلسلة الاجيال ( وهذا يصدق على الرجل خصوصا . لان شجرة نسبه هي المحفوظة والمعتبرة ) ، ملجأ عاطفي في المساء ومهرب من عويل الرياح ومن ضجيج الاعمال في النهار ، الاطفال الذين لا تقلقهم الواجبات العائلية الثقيلة ويتفرغون لالعابهم .

ولكن خلية الاسرة كانت تقوم على أساس حل وسط عاطفي لا يساهم بعض أعضائها بموجبه الا بالقليل نسبيا ، بينما يقدم الآخرون شيئا كثيرا نسبيا . فان الاطفال والرجل

لا يقدمون الا القليل ، وفى مقابل ذلك ، تدفع المهر الزوجة والام التى تطبخ الطعام وتغسل الثيـــاب ٠

وكثير من النساء كن يشعرن بالغبن والاجحاف فى هذه الصفقة التاريخية ٠ وبالطبع، فهن يحصلن على تأمين اقتصادى ، ولكن ثمن ذلك هو تنازل المرأة عن حاجاتها العاطفية وعن آمالها فى ممارسة مهنة . لصالح الزوج والاطفال ٠ والبنات البالغات هن أيضـا مغبونات ، اذ أنه فى الوقت الذى لا يتوقعفيه منهن ممارسة العلاقات الجنسية الا مع الرجل الذى يخترنه للحياة كلها ، يجد اخوتهن الذكور أنفسهم أحرارا للتمتع هنـــا وهنـــاك ٠

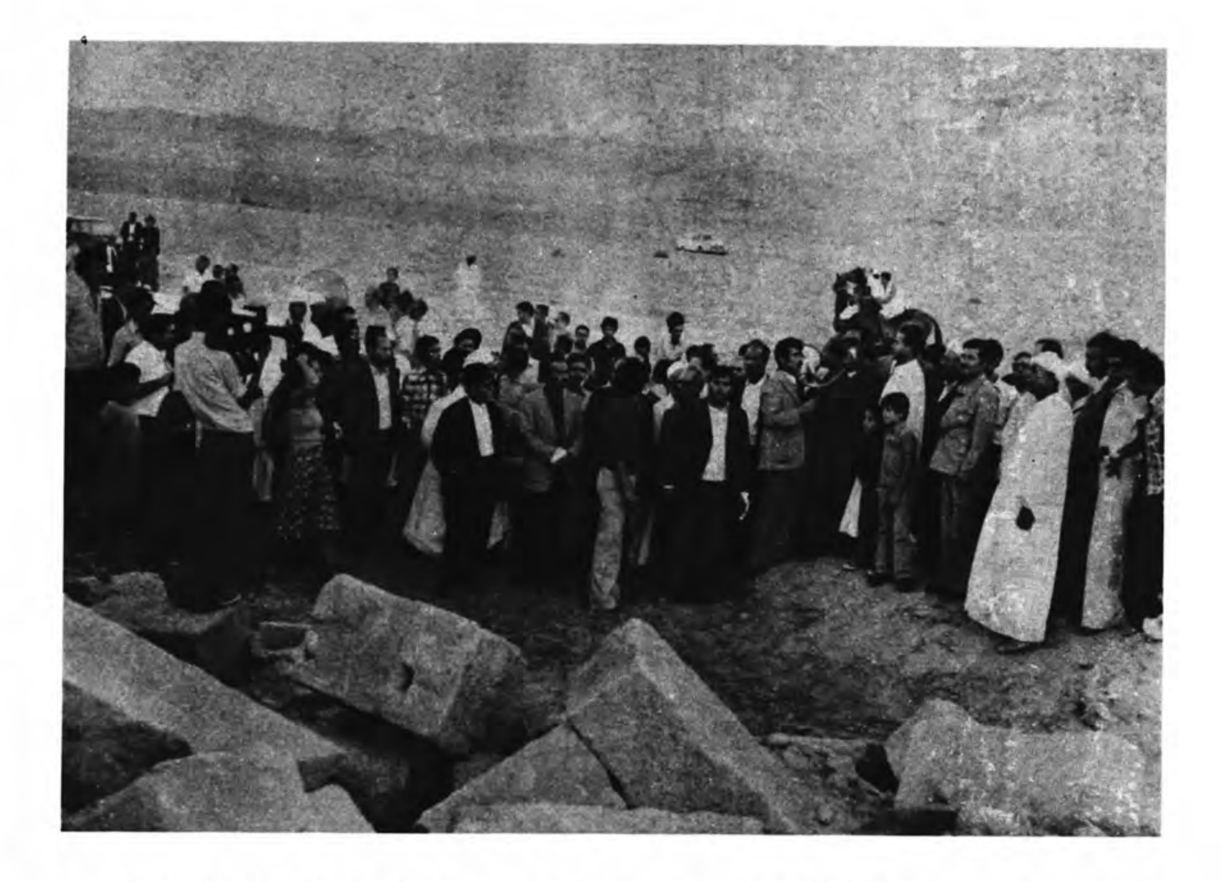
والزيجات الحديثة ليست فى صالح كثير من هؤلاء الرجال ٠ فالمرأة التى تمارس مهنة كثيرا ما ترفض القيام بأعمال فى المنزل ، ومطالبهن فى العلاقات الجنسية لا تقل عن مطالب الرجل فى العهد السابق ( وفى هذه الاثناء نزلت بالرجل هذه الموجة من العجز الجنسى التى شملت ضفتى المحيط الاطلسى ) ٠ والفتاة البالغة أصبحت الآن حرة فيما يتعلق بممارسة العلاقات الجنسية ، تماما مثل شقيقها اذا صدقنا الاحصاءات التى تتعلق بسن الفتاة عندما مارست هذه العلاقات لأول مرة وبمتوسط عدد الرجال الذين مارستها معهم ٠

وهكذا نرى أن الزواج الجديد يساير عن كثب حركة تحرير المرأة ٠

ونحن نتساءل : ترى هل هذا الاتجاه حسن أم قبيح ؟

ولكن السؤال المعقول هو : من ذا الذى تتضرر مصالحه ؟

عندما غادرت شارع ماركهم لاحضر الى هنا ، كانت الشمس ساطعة وتلقى بأضوائها على الشوارع التى يسير فيها أزواج يتأبط أحدهم ذراع الآخر فى ظلال الاشجار ٠ انه لمنظر جميل وكأنه منظر مسرحى ٠ ولكنك اذا أتيح لك أن ترى هؤلاء الازواج والزوجات بعد عشر سنوات من الآن ، فسترى أن أكثرهم يتأبط ذراع شخص آخر ٠



الملتقون فى مشاهدة لآثار طبنة مع شرح من الدكتور موسى لقبال ، أستاذ التاريخ بجامعة الجزائـــر

## لجنـــة النقطـــة الثـالثـة

## الى م تيسر فى العالم الاسرة ؟ الى اليسرى أم العسرى ؟

**أعضاء اللجنة :**

الرئيس :

- **الدكتور عبد الله عبد الغنى**
نائب الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان ـ طشقنـــد ـ

المقرر :

- **الاستاذ محمد الطاهر فضلاء**
أستاذ اللغة العربية ، وقائم بمهمة فى رئاسة الجمهورية ـ الجزائـر ٠

الاعضاء :

- **الدكتور عبد الكريم سايتوح**
أستاذ الاقتصاد بجامعة تاكاشوكو ـ طوكيو
- **الدكتور ايمرى كونغر**
أستاذ علم الاجتماع بجامعة هاكتب ـ أنقرة
- **الدكتور عبد الحليم عويس**
أستاذ مساعد بجامعةالامام محمد بن سعود ـ الرياض

- **الدكتورة فاطمة الجامعي الحبابي**

أستاذة بجامعة محمد الخامس - الرباط -

- **الدكتور حكيم بن عطية**

مدير المعهد البلدي للموسيقى والفنون المسرحية - الجزائر -

- **الاستاذ مصطفى عسلاوي**

مستشار بالمجلس القضائي الاعلى ، ومسؤول التكوين بوزارة العدل ، وأستاذ محاضر بالمدرسة الوطنية للادارة - الجزائر .

- **السيد حميدة بويفرو**

نائب مدير المعهد البلدي للموسيقى والفنون المسرحية - الجزائر .

- **الآنسة صابرينة بقطاش**

طالبة بكلية الحقوق جامعة الجزائر .

- **السيد محمد عاشور**

طالب ومدرس بمدرسة محمد بن العابد الجلالي - ولاية بسكرة

ان اللجنة الثالثة ، وقد اجتمعت بكامل أعضائها - بعد النظر في المحاضرات والمناقشات التي دارت حول موضوع هذه النقطة الثالثة من برنامج الملتقى الثاني عشر للفكر الاسلامي -وقد اتجهت بالاتفاق التام والاجماع الكامل الى الاقتناع بأن الاسرة ، المكونة من الاب والام والاولاد والوالدين - هي اللبنة الاساسية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي كله .

وأن أي خلل في هذا البناء أو تركه دون رعاية مادية ومعنوية كاملة ، سوف يؤدي الى انهياره ، وتقع المسؤولية بذلك على الفرد وعلى المجتمع .

وبالمقارنة التي تعرفت عليها اللجنة بين وضعية الاسرة المسلمة والوضعية العامة التي أشار اليها بعض المحاضرين منهم الدكتور عبد الكريم سايتوح من جامعة طوكيو ، والدكتور ادوارد شورتر من جامعة تورنتو بكندا ، والتي تشير الى اهمال الضوابط الاخلاقية المتسببة في تدهور وضعية الاسرة ، توصي اللجنة بما يلي :

أولا : على النطاق العالمي :

أ ـ العمل على وضع القوانين التى تكفل ثبات واستقرار النظام الاسرى بصفة عامة على أساس العدل فى الحقوق والواجبات طبقا لاجماع الرأى العام الصالح لكل مكان ولكل زمان ووفقا لما أوصت به جمعية الامم المتحدة فى هذا الموضوع •

ب ـ اتخاذ جميع التدابير الضرورية اللازمة التى من شأنها أن تساعد على توطيد دعائم الاسرة ، وتحافظ على كيانها ، لمواجهة التيارات المتطرفة التى أصبحت تشكل خطرا كبيرا على سلامة الاسرة •

ثانيـــا : على مستوى العالم الاسلامى :

أ ـ الاعتراف للمرأة بحقوقها الطبيعية ، وفقا لتعاليم الشريعة الاسلامية •

ب ـ اعتبار الزوج هو المسؤول الاول عن الاسرة وعليه يقع عبء قيادتها وحمايتها ماديا ومعنويا ، من غير استبداد أو تعسف •

ج ـ بما أن مهمة البيت هى رسالة المرأة الاولى ، فان على الزوجة أن تتكفل بشؤونه، ورعاية كل أفراد الاسرة فيه •

5) تشجيع الزواج وتيسيره وتوفير كل الظروف الملائمة له ، طبقا لاحكام الشريعة الاسلامية فى بساطتها •

6) على الدول الاسلامية أن تحمى الاسرة ماديا ، سواء فى مرحلة النشأة أو فى مرحلة النمو •

7) كما أن على الدول الاسلامية أن تصون الاسرة خلقيا ، بمراعاة القيم العائلية الاسلامية ، ويكون ذلك بكل وسائل الاعلام ، والتربية والتثقيف •

8) ضرورة الاخذ بقواعد الشريعة الاسلامية عند التقنين للاسرة الاسلامية •

9) توفير كل الوسائل الفعالة لحماية الاسرة ، والفتاة المسلمة بصفة خاصة ، من كل التيارات الدخيلة على المجتمع الاسلامى •

10) دعم الاسرة بمفهومها الكبير ، عن طريق توثيق صلات القربى بين ذوى الارحام أصولا وفروعا وذلك بطرق التوعية والتوجيه المختلفة ·

11) تكوين جمعيات لحماية الاسرة وتشجيعها للقيام بكل المهام التى من شأنها أن تعالج مشاكل الاسرة ، وترفع من مستواها ·

**خاتمـــة :**

وأخيرا فان اللجنة فى ضوء ما تقدم ـ ترى ضرورة العمل على تحقيق وجود نموذج عائلى اسلامى يحافظ على الترابط والتوازن فى الحقوق والواجبات بين كل أفرادها ، بحيث يكون هذا النموذج تعبيرا صحيحا على قدرة النظام الاسلامى الاجتماعى عـــلى هداية البشرية وتحقيق سعادتها ·

# فضـــل العـــرب عـــلى أوروبـــا في ميـــدان نشـــأة وتطـــور النظـــام الجـــامعي في العصـــور الـــوسطى

د٠ رفعت ي٠ عبيـد
استاذ بقسم الدراسات السامية
جامعة ليدز ـ بريطانيا العظمى ـ



**ان أنظمة المستشفيات والمراصد والجامعات فى عصرنا الحديث هى امتداد لتلك الانظمة التى كانت سائدة فى العصور الوسطى ، ومما لا خلاف فيه أن المستشفيات والمراصد هى انجازات حضارية أنتجتها الحضارة الاسلامية العربية ٠ وعلى الرغم من أن الفضل فى اختراع بعض المعدات والآلات الفلكية يرجع الى اليونانيين الا أن المراصد كمؤسسات لها أنظمتها الدقيقة برزت وتطورت نتيجة للعناية التى أولاها لها الحكام المسلمون ٠ ولعل أول مرصد له ذكر فيما لدينا من مصادر هو ذلك الذى أسسه الخليفة المأمون ( 813 833 م ) عام 830 م فى بغداد عاصمة الدولة الاسلامية آنذاك ٠**

أما فيما يتعلق بالطب فان تأسيس وادارة الكثير من المستشفيات كان من أهم ما قدمه العرب فى هذا المجال الى حضارة العصور الوسطى ٠ ولو سلمنا جدلا بأن العرب لم يؤسسوا المستشفيات كما نعرفها فانه مما لا شك فيه أنهم قد أولوها أهمية

بالغة فيما يختص بتنظيمها وتمويلها وصيانتها ، وأرسوا فى ذلك الكثير من الملامح التى ما تزال حتى الآن من الصفات المميزة للمستشفيات الحديثة •

أما بالنسبة للجامعات فهناك دليل استنتاجى واضح يشير الى أن الجامعة كانت الى حد كبير احدى ابتكارات الحضارة الاسلامية • ومما لا خلاف فيه أن الجامعات الاوروبية القديمة كانت لها خصائص وملامح بارزة تشبه الى حد كبير خصائص وملامح مراكز التعليم الاسلامى التى سبقتها (والتى اسست خلال القرن العاشر والحادى عشر م ) . الا أن المؤرخين الغربيين ما يزالون يترددون فى الاعتراف بأن هذا التشابه بين مراكز التعليم العالى الاسلامية والمسيحية كان أكثر من مجرد « صدفة » • وعدم الاعتراف هذا ربما يعود الى عدم توافر المستندات والوثائق التى تدل بوضوح على أن هذا التشابه لم يكن مجرد سلسلة من المصادفات العريضة فقط . على الرغم من أنه ليس هناك أى خلاف فى أن معظم كتب الدراسة الجامعية التى كانت تستخدم فى مراكز التعليم المسيحية الجديدة فى العصور الوسطى كانت مترجمة من العربية الى اللاتينية • ومن بين مؤلفى هذه الكتب العلمية والطبية والفلسفية تألق كثير من العلماء المسلمين مثل ابن سينا وابن رشد والفارابى وابن زهر وأبو القاسم الزهراوى وغيرهم • واذا لم يكن هناك أى دليل آخر على تأثير الحضارة الاسلامية على المسيحية فى مجال التعليم العالى ، فان هذه الاسماء بمفردها كفيلة بترجيح الاعتقاد السائد بأن الجامعات الاوروبية التى استخدمت مؤلفاتهم فى برامجها الدراسية لابد وأن تكون قد تأثرت بالحضارة الاسلامية التى أنتجت مثل هذه الكتب •

وهناك دليل واضح يشير الى أن « الجامعة » فى العصور الوسطى نشأت وتطورت تحت لواء الاسلام • ولنبدأ بالحقيقة المسلم بها ، وهى أن بعض مراكز التعليم العالى الاسلامية كانت قد تأسست قبل تأسيس أول جامعة فى أوروبا بأكثر من مائة عام فى الاقل • فقد أنشئت كلية جامع القرويين فى فاس بمراكش عام 859 م ، وكلية قرطبة فى النصف الاول من القرن العاشر ، وكلية جامع الازهر فى القاهرة عام 972 ، ودار الحكمة بالقاهرة فى أوائل القرن الحادى عشر ••• الخ • أما فى أوروبا فان انشاء أول مراكز للتعليم العالى جاء متأخرا ، فان جامعات بولونيا وباريس ومونبيلييه لم

تتواجد بالتأكيد قبل القرن الثانى عشر • (1) وعلى اثر نشأة هذه الجامعات فى أوروبا المسيحية كانت هناك أوجه تشابه عديدة بينها وبين مثيلاتها من الجامعات الاسلامية التى سبقتها بقرون • فان تنظيم الطلاب على سبيل المثال كان يتم وفقا لجنسياتهم (nations) بحيث كانوا يقسمون الى مجموعات سكنية طبقا للبلاد التى وفدوا منها (2) . وهذا على نمط ما كان يحدث فى جامعة الازهر بالقاهرة حيث كانت هناك مساكن مستقلة خاصة بالطلبة الوافدين من مراكش أو الصعيد أو العراق ... الخ • ففى جامعة باريس مثلا كان الطلاب يقسمون الى جماعات أو « أمم » مثل « الامة الانجليزية » و « الامة الفلمنكية » وغيرهما • وقد بقيت آثار هذا التقسيم الجغرافى للطلاب فى بعض أسماء الكليات بجامعة اكسفورد مثل لنكولن وورشستر وهارتفورد وغيرها •

ومن ملامح التشابه أيضا بين تنظيم الجامعات الاوروبية والاسلامية هو أن مدرسى الجامعة كانوا يرتدون زيا خاصا مميزا وهو ما يعرف بالروب الجامعى أثناء المحاضرات والمناسبات الرسمية • ومما يذكر أن ارتداء مثل هذا الارواب الفضفاضة كان ممارسا منذ وقت مبكر فى مراكز التعليم الاسلامية خلال العصور الوسطى • وهناك ناحية أخرى من نواحى التشابه ، وهى أن بعض المصطلحات الاكاديمية المستعملة فى جامعات أوروبا تشبه الى حد كبير تلك التى كانت تستعمل قبلها فى الجامعات الاسلامية • فاللفظ الاوروبى الاصلى للجامعة (studium generale) (3) من المحتمل أن يكون ترجمة مباشرة للتعبير العلمى العربى « مجلس عام » أو الدروس المنتظمة •

هذا علاوة على عادة التدريس المجانى للطلبة . وفى ذلك تشابه كامل بما كان يحدث فى الجامعات الاسلامية •

ومما يجدر ذكره ونحن بصدد تعداد أوجه التشابه بين مراكز التعليم المسيحية وسابقاتها من المراكز الاسلامية أن حصول ما نسميه « الرحلة فى طلب العلم » كان تقليدا معروفا فى النظام التربوى الاسلامى قبل أن يصبح من ملامح الحياة العلميـــة فى البلاد المسيحية بزمن طويل ، فلم يكن الطلاب المسلمون ينخرطون فى معاهد معينة لاكمال تحصيلهم ، أو يفترضون أن هناك أستاذا واحدا يلم الماما كاملا بمجال دراسى

معين . ولذلك أصبحت الهجرة من مركز دراسى لآخر احدى الملامح المعترف بها فى الحياة الثقافية فى البلاد الاسلامية . (4)

وربما كانت هجرة طلبة العلم من مدينة لأخرى هى التى أدت الى قيام أهم التقاليد التعليمية فى النظام التربوى عند المسلمين ، والتى كانت تنتهى دائما بالحصول على الاجازة العلمية ، وهى عبارة عن اذن ورخصة تتضمنها وثيقة تجيز للطالب رواية ما أخذ عن أساتذة . فكان الشيوخ يمنحون مثل هذه الاجازة لمن يبيحون له الرواية عنهم أو تدريس الآخرين الموضوعات التى تعلموها منهم . ويعود تاريخ هذا التقليد التعليمى الاسلامى الى القرن الثانى للهجرة . (5) ولو فحصنا تاريخ تطور الجامعات المسيحية لوجدنا أن أقدم صيغة للشهادة أو الدرجة التى كانت تمنحها هذه الجامعات تعرف بـ (Licencia docendi) 6 أى « اجازة التدريس » .

وهكذا تمتعت الجامعات الاسلامية فى العصور الوسطى بحرية أكثر فى « الدراسة » و « التدريس » وبقدر أوفر مما حظيت به مثيلاتها من الجامعات المسيحية . فليس من الغريب ، اذن ، أن كل أستاذ فى الجامعات الاسلامية كان من حقه أن يمنح تلامذته اجازته ، الشفهية أو التحريرية ، للتدريس بينما فى أوروبا كان هذا الحق مقصورا على رئيس الجامعة .

ويبدو مما سبق أن « الاجازة العلمية » والتعبير اللاتينى : (Licencia docendi) كانا أداتين متطابقتين تستعملان للدلالة على الاذن والترخيص بالتدريس بغض النظر عن اختلاف الجهة التى تصدره .

واذا تذكرنا الدور الهام الذى لعبته اسبانيا فى خلال العصور الوسطى فى تمرير ونقل المعارف الاسلامية الى أوروبا ، فان أهمية هذا التشابه بين التنظيمات العلمية الاسلامية والمسيحية تزداد الى حد كبير . فقد كانت اسبانيا الاسلامية أعظم مراكز الثقافة والتعليم القريبة من أوروبا فى العصور الوسطى ، فبعد سقوط طليطلة على أيدى المسحيين عام 1085 م أصبحت اسبانيا منفذا رئيسيا تسرب خلاله الانتاج العلمى للعلماء المسلمين ليصل الى أوروبا المسيحية . وفى طليطلة أسس الاسقف ريموند

( الذى توفى عام 1251 م ) مدرسة خاصة بترجمة الكتب العربية الى اللغة اللاتينية · (7) وهكذا نقلت ذخائر الكتب العربية فى علوم الفلسفة والطب وغيرها الى اللاتينية ليسهل على الطلبة والاساتذة الاوروبيين استعمالها فى الجامعات المسيحية · وليس من الغريب اذن أن يكون الاساتذة المسيحيون قد جلبوا معهم من اسبانيا بعض أوجه تنظيم الجامعات الاسلامية بالاضافة الى الكتب الدراسية · السؤال الذى يتردد على أذهاننا هو : كيف يمكن اثبات هذا الاحتمال ؟ أو بعبارة أخرى كيف يمكن اثبات أن ما استبعد حتى الآن على أنه مجرد سلسلة من الاحداث التى وقعت بطريق الصدفة أنه سلسلة من الاستعارات الثقافية التى حدثت بالفعل ؟

ومن الجائز أن نفترض أن بعض هذه الاسباب القديمة فى النظام التربوى الاسلامى كانت قد نقلت الى أوروبا المسيحية عن طريق الطلبة المسيحيين العائدين الى باريس واكسفورد ··· الخ ، بعد اكمال تحصيلهم ، أمثال
Adelard of Bath, Michael Scot, Robert of Ketton, etc.
ولكن لسوء الحظ لم يترك هؤلاء الطلبة أية وثيقة أو أى سجل خاص بنظام التعليم الاسلامى (8) ، وذلك لانهم ركزوا جهودهم فى كتاباتهم على مضمون المادة التى درسوها فى صيغة الترجمات اللاتينية للكتب العربية ·

لقد اقترح الفريد جيوم ، المستشرق الانجليزى المشهور ، فى مقال له نشر فى كتاب « تراث الاسلام » (The Legacy of Islam) المطبوع فى اكسفورد عام 1931 أنه يمكننا التوصل الى حل لمشكلة العلاقات بين الجامعات الاسلامية والمسيحية اذا أمكن تفسير أصل الاصطلاح (baccalareus) ( أو (baccalaureus) المستعمل فى العصور الوسطى للدلالة على الشخص الحامل للدرجة الجامعية العلمية « بكالوريا » تفسيرا مرضيا · (9) وجدير بالذكر أن هذا الاصطلاح بهذا المعنى استعمل لأول مرة فى جامعة باريس فى القرن الثالث عشر وذلك فى « نظام » الدرجات العلمية الذى ظهر عام 1231 م فى المرسوم البابوى (Parens scientiarum) الذى أصدره البابا جريجوريوس التاسع ، (10) الا أنه من الجائز أن نفس الاصطلاح كان مستعملا فى اللهجة العامية قبل هذا التاريخ ·

وأشار جيوم فى مقاله أيضا الى اشتقاق هذه الكلمة الوارد فى قاموس اكسفورد الانجليزى (Oxford English Dictionary) لا يمكن أخذه أو قبوله بصورة جدية . ففى محاولة يائسة لاثبات انه مشتق من تعبير لاتينى اقترح مؤلف المقال فى هذا القاموس أن اصطلاح « البكالوريا » ربما يكون مشتقا من كلمة vaca) اللاتينية التى تعنى « البقــرة » !

واستطرد جيوم مشيرا الى أن كلمة « البكالوريوس » من المحتمل أن تكون فى الاصل اصطلاحا عربيا صرفا كان قد حرف نتيجة لكتابته بالحروف اللاتينية مثل « بحــق الرواية » بمعنى « الحق فى التدريس المخول من شخص آخر » ، باعتباره تعبيرا مناسبا للاصطلاح اللاتينى من ناحية المعنى ومشابها له أيضا من ناحية النطق . الا أن جيوم بادر بالاعتراف بأنه لم يسبق له أن رأى مثل هذا التعبير مستخدما فى أى مستنــد عربى ، وعلى ذلك ظل اقتراح جيوم هذا حتى الآن مجرد تخمين شيق . والمعروف أن كثيرا من الكلمات العربية المحرفة دخلت فى اللغة اللاتينية واللهجات الاوروبية الدارجة فى العصور الوسطى ومازال عدد كبير من هذه الكلمات المألوفة يستعمل فى أيامنا هذه فى هذه اللغات ، منها :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ( أمير البحر ) | a miral | ( صــك ) | cheque |
| ( دار الصناعــة ) | arsenal | ( تعريــف ) | tariff |
| | | ( طــرح ) | |

ويمكننا الآن أن نبين فيما يلى أن اصطلاحا عربيا مطابقا للفظ « البكالوريا » كان مستخدما منذ منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ( فى الاقل ) وخلال فترة من الزمن لا تقل عن ستة قرون فى الوثائق العربية ، الاجازات العلمية ، التى يحمل المجاز بمقتضاها الاذن برواية ( أو تدريس ) الكتب التى صدر التسويغ فى روايتها عن المجيز اجمالا أو تفصيلا . فلقد عثرنا أثناء دراستنا للنماذج المختلفة للاجازات العلمية القديمة والحديثة ، بالاشتراك مع زميل لنا ( د. مايكل يونج ) ، على تعبير « بحق الرواية » الذى كان قد اقترحه جيوم كأصل للفظ « البكالوريا » ، وذلك فى اجازة يرجع تاريخها الى

عام 542 هـ ( = 1147 م ) ملحقة بنص كتاب سقط الزند لابى العلاء المعرى فى مخطوطة محفوظة بخزانة جامعة كمبردج · (11) واليك نص الاجازة المشار اليها آنفا :

« (سمع) الكتاب الموسوم بسقط الزند لابى العلاء المعرى على الشريف الاجل الامام الاوحد العالم أبى المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر الانصارى **بحق روايته** عن أبى زكرياء يحيى بن على الخطيب التبريزى عن أبى العلاء بقراءة الشيخ الاجل الامام الاوحد السيد العالم أبى محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد الخشاب النحوى أولى الله عزه صاحبه الامير الاجل العالم أبو المرهف نصر بن المنصور بن الحسن بن جوشن النميرى نفعه الله بالعلم . والرئيس الاجل أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد ابن محمد بن ميمون ، ومثبت السماع على بن يوسف بن الحسن بن على بن يوسف ابن المحولى ، وذلك فى مجالس آخرها السبت خامس عشر ذى القعدة من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وسلامه · هذا صحيح وكتب المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر الانصارى فى التاريخ » ·

ولقد ورد ذكر تعبير « بحق الرواية » مرتين فى اجازة متضمنة فى مخطوطة أخرى محفوظة فى استامبول (12) تحتوى على كتاب سقط الزند أيضا ثم نسخها فى سنة 542 هـ ( = 1147 م ) · وفيما يلى نص هذه الاجازة :

« كنت سمعت سقط الزند أجمع على شيخنا الامام العالم ظهير الدين أبى غالب محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون قديما من على هذه النسخة بقراءة

. . . . . أبى القسم على بن محمد بن ابراهيم الكاتب فى شهر رجب سنة . . . . . . . .

وخمس مائة **بحق روايته** عن الشريف ابى المعمر بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر الانصارى عن أبى زكرياء يحيى بن على التبريزى عن أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمن المعرى · ونقلت طبقة سماع شيخنا ظهير الدين أبى غالب محمد بن مبارك بن محمد بن محمد بن ميمون من على نسخة القاضى بهاء الدين أبى ابراهيم بن أبى اليسر ما نسخته · سمع جميع سقط الزند على الشريف أبى المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر الانصارى **بحق روايته** عن أبى زكرياء يحيى بن على التبريزى بقراءة الاجل الامام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب الاجل أبو

المرهف نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن النميرى والاجل أبو غالب محمد بن محمد ابن محمد بن ميمون ، ومثبت السماع على بن يوسف بن الحسن بن على بن يوسف المحولى فى عدة مجالس آخرها السبت خامس عشر ذى القعدة سنة اثنتين واربعين وخمس مائة • كتب ذلك أجمع محمد بن الحسن بن محمد ابراهيم بن محمد الكاتب صاحب هذه النسخة المعروف بابن الكريم البغدادى ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا نبيه وعلى آله وسلم كثيرا » •

وتحتوى مخطوطة كتاب سيبويه المحفوظة فى المكتبة الاهلية بباريس (13) والتى نسخها زيد بن الحسن بن زيد الكندى فى عام 595 هـ ( = 1198 م ) على اجازة ورد فيها تعبير « بحق روايتى » • واليك نص هذه الاجازة :

« بسم الله الرحمن الرحيم • سمع جميع كتاب سيبويه ، فقرأ على الشيخ العفيف الفاضل أبو الحسن محمد وأخوه الولد النجيب أبو الحسين اسماعيل ابنا الشيخ الامام العالم الورع أبى جعفر أحمد بن على بن اسماعيل القرطبى ، وفقهم الله لمرضاته ، وسمع والدهما معهما الا قدرا يسيرا أجزته له • وهو مذكور فى طبقة السماع فى آخر الكتاب، وذلك **بحق روايتى** أياه عن شيخى الامام الحبر أبى محمد عبد الله بن على النحوى المقرى بالاسناد المذكور فى طبقة السماع متصلا الى سيبويه • وكنت سمعته عليه مرتين احداهما قبل التاريخ المذكور • وكتب زيد بن الحسن بن زيد الكندى فى سنة خمس وسبعين وخمس مائة ، والحمد لله كما هو أهله ، وصلاته على أكرم خلقه المصطفى وسلامه » •

وتشتمل مخطوطة كتاب معالم السنن لحمد الخطابى المحفوظة فى مكتبة فيض الله باستانبول (14) على اجازة مؤرخة فى 556 هـ ( = 1160 ) ورد فيها تعبير « بحق روايته » مرتين كما يلى :

« ••• بقراءة أبى الفضل أحمد بن صالح الجيلى سنة ست وخمسين وخمس مائة ببغداد بحق اجازته من الرويانى المذكور **بحق روايته** من البلخى المذكور **بحق روايته** عن المصنف ••• » •

وتتضمـــن المخطوطـــة رقم 591 المحفوظـــة بمكتبة غازى خسرو بك بسراجيفـو ( يوغوسلافيا ) (15) اجازة بن همات الدمشقى التى منحها له الفقيه المصرى بن الميت فى 10 رمضان سنة 1134 هـ ( = 1721 م ) وفيها يرد تعبير « بحق روايته » كما يلى :

« ... انى أرويها من مشايخى ولا سيما عن علامة زمانه وفريد أوانه خاتمـــة المحققين على بن محمد الشبراملسى عن قطب زمانه سيدى الاجهورى المالكى **بحق روايته** اجازة عن النور على القرافى عن الجلال السيوطى ... »

يتضح مما سبق أن أقدم اجازة معروفة لدينا والتى ورد فيها تعبير « بحق الرواية » يرجع تاريخها الى عام 1147 م ( مخطوطة كمبردج ) فى حين أن مصطلح « بكالوريوس » الذى يدل على حامل الشهادة الجامعية لم يبدأ استعماله فى أوروبا كما ذكرنا آنفا قبل عام 1231 م . ومن المحتمل اذن أن لفظ « البكالوريا » المستعمل فى الجامعات الاوروبية يرجع اشتقاقه الى التعبير العربى « بحق الرواية » الذى استخدم فى الاجازات العلمية الاسلامية منذ عام 1147 م فى الاقل . واذا أخذنا هذا الاحتمال فى الاعتبار الى جانب غيره من ملامح التشابه الاخرى الهامة والتى سبق أن أشرنا اليها فان ذلك يشير بوضوح الى أن الجامعات الاوروبية كانت قد أسست على غرار سابقاتها من الجامعات الاسلامية .

ان الكتاب الاوروبيين لم يعنوا كثيرا بدراسة الاجازات العلمية عند المسلمين ولـــم يولوها ما تستحقه من العناية والاهتمام . (16) ومن المحتمل أن التعمق فى دراســـة هذا النوع الهام من الوثائق يلقى ضوءا على العلاقة بين معاهد التعليم العالى الاسلامية القديمة ومثيلاتها فى أوروبا المسيحية فى العصور الوسطى ، كما انه يثبت أن مراكز التعليم الاسلامية لم تسبق معاهد التعليم فى أوروبا فقط وانما كانت نموذجا أصليا خططت على غراره الجامعات الاوروبية المسيحية .

وفى الختام نود أن نعترف بأننا لا ندعى الكمال لبحثنا هذا ، وانما نرجو ان يكون بداية ومساعدا على حل بعض مشكلات موضوع العلاقات بين معاهد ونظم التعليم العالى الاسلامية والمسيحية فى العصور الوسطى .

(1) أنظـــر : H. Rashdall, *The Universities of Europe in the Midle Ages*, ed F.M. Powicke and A.B. Emden vol., I (Oxford, 1936) ;

A.B. Cabham, *The Medieval Universities* (London, 1975).

(2) راجـــع :
P. Kibre, *The Nations in the Medieval Universities* (Cambridge, Mass., 1948).

(3) أى الاسم الذى كانت تعرف به الجامعات الاوروبية قبل أن تسمى « جامعات » . أنظر : راشدال ، الجامعات الاوروبية فى العصور الوسطى ( المصدر المذكور فى الهامش رقم 1 ) ، ج 1 ، ص 6 .

(4) عبد الله فياض ، الاجازات العلمية عند المسلمين ( بغداد ، 1967 ) ، ص 37 . 105 ـ 110 .

(5) أنظر المصدر السابق ، ص 21 ـ 23 .

(6) قارن راشدال ، الجامعات الاوروبية فى العصور الوسطى ( المصدر المذكور فى

(7) راشدال ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 353 .

(8) أنظـــر :
A. Guillaume, "Philosophy and Theology" in The Legacy of Islam (Ist. edition), ed. T. Arnold and A. Guillaume (Oxford, 1931), p. 244.

(9) جيوم ، المصدر السابق ، ص 244 ، التعليق رقم 1 .

(10) راجـــع : L. Halphen, *A travers l'histoire du Moyen-Age* (Paris, 1950), p. 304 ; Encyclopaedia Britnnica (111 th edition, 1910), s. v. "Bachelor".

(11) خزانة مكتبة جامعة كمبرد ، مخطوطة رقم (QQ 115)

(12) المكتبة السليمانية ، مجموعة لاليلى ، مخطوطة رقم 1765 .

(13) المكتبة الاهلية ، مخطوطة رقم 5068 . راجع مقال صلاح الدين المنجد « اجازات السماع فى المخطوطات القديمة » المنشور فى مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج 1 (1955)، ص 245 .

أنظر أيضـا :
G. Vajda, *Certificats de Lecture et de transmission dans les manuscrits de la B.N. de Paris* (Paris, 1956), p. 48.

(14) المكتبة السليمانية ، مجموعة فيض الله ، مخطوطة رقم 543 . ولقد نشر هـ. ريتر نص هذه الاجازة فى مقاله :

"Autographs in Turkish Libraries" in *Oriens*, VI (1953), pp. 84-86.

(15) أنظر مقالتى ( بالاشتراك مع زميلى م. ج. ل. يونج ) التى تتضمن النص الكامل لهذه الاجازة مع ترجمته الى اللغة الانجليزية :

"An Early Eighteenth-century Ijàzah issued in Damietta" in *Le Muséon*, vil. 87 (1974), pp. 445-465.

(16) صلاح الدين المنجد ، « اجازات السماع فى المخطوطات القديمة » ( المصدر المذكور فى الهامش رقم 13 ) . ص 232 . قارن أيضا :

G. Vajda, *The Encyclopaedia of Islam* (2 nd edition), s.v. "Idjàza".

## لجنة النقطة الرابعة

## نظرة جامعة على الجامعة

**الرئيس :**

**معالى الدكتور فاضل الجمالى** ـ العراق ـ أستاذ بالجامعة التونسية ·

**المقرر :**

**شهاب الدين يلس** ـ باحث بالوثائق الوطنية برئاسة الجمهورية ـ **الجزائر** ·

**الاعضاء**

ـ **الاستاذ أحمد حمانى** ـ رئيس المجلس الاسلامى الاعلى ـ **الجزائر** ·

ـ **الشيخ محمد الشاذلى النيفر** ـ عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ـ تونس ·

ـ **الاستاذ محمد عبد الله عنان** ـ مؤرخ وعضو مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ مصر ·

ـ **الدكتور رفعت · ى · عبيد** ـ الاستاذ بقسم الدراسات السامية جامعة ليدز ـ بريطانيا العظمى ·

ـ **الدكتورة وداد القاضي** ـ الاستاذة بالجامعة الامريكية ـ بيروت ٠

ـ **الاستاذ يونس آرو** ـ أستاذ اللغات والآداب الشرقية بجامعة هلسنكى ـ فنلنده ٠

ـ **الدكتور ينس قليب موللر** ـ أستاذ الفلسفة بجامعة روشلد ـ الدانمارك

ـ **الدكتور داود كاون** ـ الاستاذ بقسم الشرق ألادنى والاوسط بمعهد الدراسات ألشرقية والافريقية بجامعة لندن ٠

ـ **الدكتور غريب الجمال** ـ المستشار الفنى للامين العام للشؤون الثقافية لمنظمة المؤتمر الاسلامى ـ جدة ٠

ـ **الدكتور محمد العزيز الحبابى** ـ أستاذ بجامعة الرباط ـ المغرب ٠

ـ **الاستاذ عبد الرحمن شيبان** ـ مفتش عام بوزارة التربية ـ الجزائر ٠

ـ **الاستاذ محمد صلاح الدين المستاوى** ـ صحفى ومدير ورئيس تحرير مجلة جوهر الاسلام ٠

ـ **الاستاذ أحمد درار** ـ المدير السابق للتعليم الاصلى ونائب المجلس الشعبى الوطنى ـ الجزائر ٠

ـ **الاستاذ محمد شبوكى** ـ أستاذ وعضو المجلس الشعبى الولائى بولاية تبسة ـ الجزائر ٠

ـ **الاستاذ محمد أمزيان الثعالبى** ـ أستاذ بالمعهد التكنولوجى بابن عكنون ـ الجزائر ٠

ـ **الآنسة خناثة بن هاشم** ـ الطالبة فى معهد اللغة والثقافة العربية بجامعة تلمسان ـ الجزائر ٠

ـ **السيد حسن عجايلية** ـ طالب بمعهد الحقوق والعلوم الادارية بجامعة الجزائر ـ ابن عكنون ٠

اجتمع أعضاء هذه اللجنة في جلسات عديدة ، واستعرضوا ما ألقى فى جلسات الملتقى من محاضرات ومناقشات المعقبين والطلبة فى موضوع النقطة الرابعة ( نظرة جامعة على الجامعة ) واستخلصوا من ذلك ما يأتى :

ان البلاد الاسلامية كان لها فضل السبق فى انشاء النظام الجامعى فى العالم ، اذ كان المسجد النواة الاولى لنشأتها ، فكانت شاملة ، قائمة على أسس من العلم والايمان والفضيلة والعمل الصالح ، والدراسة المجانية ، وتوفير الامور المعاشية لطلابها ، واتصالها اتصالا وثيقا بالمجتمع ، تعالج مشكلات الناس وتحلها • وتعين على صقـــل مواهب الفرد وتطويره ، وتعنى بشتى العلوم والمعارف ، وتمد الانسانية بكبار العلماء الذين كان لهم أثر عظيم فى تطور ورقى الحضارة العالمية • وقد كانت الجامعة ـ وماتزال ـ ذات أثر فعال فى دفع عجلة التقدم، فمنها انطلقت الحركات العلمية والفكرية والاصلاحية فى مختلف البلاد الاسلامية • وتسربت الى غيرها من أقطار العالم • ولئن قامت بمهمتها أحسن قيام فى عهود الدول الاسلامية الزاهرة • فقد أصابها ـ من بعد ـ جمود وخمود فى عهد الانحطاط التى أعقبها عهد الاستعمار ، والتدخل الاجنبى وهيمنته على مصائر الثقافة الاسلامية ـ وبعـــد انحسار عهد الهيمنة الاستعمارية وبعد استقلال معظم بلاد الاسلام ـ أخذت الجامعة تمضى من جديد ـ وتعد بالعشرات فى مختلـف البـلاد الاسلامية ، كما أخذت المشاكل العويصة تقف أمامها • وتعرقل سيرها ، وقد أصبح من الواجب التفكير والعمل الجدى لتسهيل سيرها حتى تقوم بمهامها وتحقيق أهدافها على أكمل وجه • ومن هذه المشاكل :

أنها أصبحت تتأرجح بين الاصالة والمعاصرة من جراء هبوب تيارات فكرية متناقضة متضاربة مما هددها بالشلل والانحراف وبالعجز عن تلاؤم برامجها الدراسية مع حاجات المجتمع الحديث • ومن أزماتها أن العديد من الجامعات الناشئة لم تتوفر لها الامكانيات المادية والادبيه الضرورية لجعلها فى المستوى المطلوب ، من ذلك الاطارات من الاساتذة الاكفاءوالتجهيزات الضرورية من مكتبات ، ومختبرات ، ومن ضعف المستوى فى بعض الملتحقين بها من الطلبة ، ومن هضم حق اللغة العربية فى السيادة بكل كليات الجامعة

ومعاهدها أو محاولة حصرها فى كليات الآداب والعلوم النظرية ، وطردها من كليات العلوم الكونية ، ومن ذلك اضعاف دور العقيدة الاسلامية والاخلاق القومية مما أعطى صورة باهتة عن دور الجامعة فى اخراج رجال يقودون أمتهم نحو الرقى والنهوض ، ملائمين مع واقع أمتهم . مرتبطين بماضيهم وتاريخهم كحلقة رابطة بين الماضى والحاضر والمستقبـــل .

وبعد هذا الاستعراض المجمل لهذا الواقع المر الذى تعيشه اليوم جامعاتنا فى البلاد العربية والاسلامية ، اتفق أعضاء اللجنة على التقدم للدول الاسلامية ، ووزارات التعليم، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الاسلامى وغيرها من المنظمات الاسلامية ، بالتوصيات الآتية :

**الاولى** : مهمة الجامعة الاولى أن تحافظ على الاصالة والمعاصرة ، وقبل انشائها يجب أن يكون التصور الواضح لمهمتها ، مستلهمة التراث الجامعى الاسلامى العريق ، مستفيدة من التجارب الجامعية المعاصرة لدى الامم الراقية . وبذلك تجمع بين الاصالة والتفتح .

**الثانيـــة** : لما كانت العروة الوثقى بين أعضاء الامة الاسلامية هى الاسلام . والقرآن الكريم كتاب أنزله الله بلسان عربى مبين ، فان اللجنة تؤكد على الجامعات فى كل أنحاء العالم الاسلامى أن تبنى برامجها على أمرين .

أ ـ أن تكون الثقافة الاسلامية الصحيحة مادة أساسية فى جميع جامعات الدول الاسلامية ، وكذلك الجامعات الاسلامية التى تنشأ فى دول الاقليات الاسلامية .

ب ـ أن تكون اللغة العربية لغة التدريس الاساسية فى جامعات الدول الاسلامية الناطقة باللغة العربية ، وأن تعطى لها الاهمية الكبرى فى جامعات الدول الاسلاميــة غير الناطقة باللغة العربية ، بالاضافة الى اللغة القومية لهذه الدول الاخيرة ، ودول الاقليات الاسلامية .

**الثالثـــة** : أن يوفر لكل جامعة المناخ الضرورى لضمان الاستقرار والازدهار .

**الرابعـــة** : أن تلبى الجامعات كل المتطلبات الضرورية للتنمية فى جميع المجالات : ثقافية واقتصادية . واجتماعيــة وذلك بدعــم الدراسات النظرية والمخبرية بالاعمال الميدانيـــة .

**الخامسة** : الاستجابه لمتطلبات الجامعات بتوفير كل ما يلزمها من تجهيزات الجامعة العصرية من مبان ومكتبات ومختبرات ·

**السادسة** : لما كان يجب أن يوفر للجامعة اطار من الاساتذة الاكفاء المثاليين في عملهم وسلوكهم · فيجب أن يوفر لهم ما يستحقونه من احترام وتقدير ومستوى لائق في المعاش ·

**السابعة** : قيام تعاون وثيق بين مختلف الجامعات في البلاد الاسلامية في جميع الميادين · بحيث تستفيد كل جامعة من خبرات الجامعات الاخرى :

أ ـ بالاكثار من اللقاءات المفيدة بين العاملين فيها ، وعقد المؤتمرات الدورية ·

ب ـ بتبادل الاساتذة والمعلومات والرسائل والاطروحات والمجلات ·

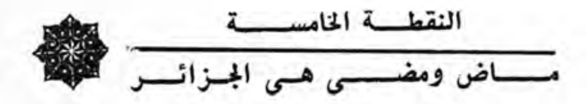
ج ـ بتبادل الوثائق والكتب والمخطوطات والقوائم والفهارس ·

**الثامنة** : الاهتمام بالطلبة ماديا وأدبيا ، وذلك بتوفير المناخ الملائم لتلقى دروسهم، واقامتهم ومعيشتهم وحفظ كرامتهم ، وصون أخلاقهم ، وبمراعاة مواهبهم ورغائبهم ، والتوفيق بين ذلك ، وبين حاجيات البلاد بمختلف اختصاصاتهم التقنية والاقتصادية والعلمية والثقافية ·

**التاسعة** : مع وجوب العناية بالدين والتربية الاسلامية في كل جامعة ومعهد وكلية ـ يتحتم انشاء جامعة اسلامية في كل دولة اسلامية يكون اختصاصها دراسة الشريعة الاسلامية وعلومها النقلية والعقلية واللسانية، وتعلم اللغات الاسلامية المختلفة، والدراسات المقارنة بين الاديان والملل والنحل ، وذلك بقصد تخريج علماء مختصين ، ودعاة مقتدرين ، وعلى هذه الجامعات أن تقبل الطلاب من جميع الاقطار الاسلامية، وتسهل الالتحاق بها على أبناء الاقليات من الدول غير الاسلامية ·

**العـــاشرة** : اعداد مؤلفات محكمة باللغة العربية من علماء أكفاء مختصين فى مختلف العلوم والفنون التى تفقد مثل هذه الكتب ، وخصوصا الاقتصاد الاسلامى والرياضيات والصنائع حتى يسد حاجة التعليم العالى والثانوى ، وتثرى المكتبة العربية ، وتغنى عن استيرادها من الخارج ، وتبطل احدى الحجج القوية لخصوم العربية فى بقاء جامعاتنا وثانوياتنا مستعمرة استعمارا فكريا وروحيا خطيرا ٠

**الحادية عشر** : قيام نخبة من علماء من ذوى اختصاص بتأليف كتب تتناول تاريخ جامعاتنا الاسلامية القديمة فى مختلف بلادنا الاسلامية وتطويرها وتدرس بالتفاصيل ما قامت به كل جامعة من أعمال وما خرجت من رجال ، وما حققت من نتائج واكتشافات ، حتى تكون ناشئتنا على بينة بماضيها العريق ٠




# سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الثورة الجزائرية

**د· شارل ل· ڤينز**
مدير المعهد الامريكى للدراسات الاسلامية
جامعة دنفر ـ كولورادو ـ
( الولايات المتحدة الامريكية )



**ربما كانت أهم خاصية مميزة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية هو تناقضها ، وهذا التناقض ملحوظ بصفة خاصة فى سياستها تجاه بلدان افريقيا والشرق الاوسط وشعوبها ·**

**وكذلك نعرف عن طريق معلومات صدرت بصفة غير رسمية أن الولايات المتحدة كانت قد انغمست فى مساندة ثورة جمعية الضباط الاحرار فى مصر فى سنة 1952 م ، ولكنها بعد ذلك بست سنوات رفضت الاعتراف بمبدا تقرير المصير للشعب الجزائرى · واذا اعتبرنا أن الولايات المتحدة قد قامت نتيجة لثورة ضد حكم استعمارى ، فسيبدو من الغريب أنها لم تقبل نفس المبدا فى نضال الجزائر ضد السيطرة الاجنبية · والهدف من هذه المحاضرة هو بحث هذا الموقف ·**

لقد كان اهتمامى خلال سنوات عديدة ينصب على التحول الذى يطرأ على موقف الولايات المتحدة وسياستها تجاه بلدان الشرق الاوسط ( وأنا أعنى بالسياسة هنا السياسة الرسمية للدولة ) • والفقرة التى وردت فى جدول أعمال ملتقى الفكر الاسلامى فى هذه السنة والتى هى العلاقات بين الجزائر وبقية بلدان العالم قبل سنة 1962 » قد حملتنى على بحث السياسة الامريكية تجاه الثورة الجزائرية •

ولكنه قبل الخوض فى الموضوع أود أن أنبه الى أنه نظرا للقاعدة التى تقضى بسرية الوثائق مدة خمس وعشرين سنة ، فان بحثى هذا قد استند على الوثائق التى أصدرتها وزارة الخارجية الامريكية ونشرت فى مجلات الكونجرس اليومية • وبالتالى ، فان الملاحظات التى أسجلها تقوم على وثائق غير كاملة ، ولو أننى لا أعتقد أن الوثائق الاخرى سوف تعارض ، متى نشرت ما أقوله اليوم •

عندما قامت الثورة الجزائرية لم تكن هناك معلومات متوفرة فى الولايات المتحدة عن الجزائر . كما ان الشعب الامريكى لم يكن يفهم الوضعية الجزائرية • وهذا يصدق بصفة خاصة على كبار الموظفين والمسؤولين فى حكومة الولايات المتحدة وذلك على صعيد السلطة التنفيذية وعلى صعيد الكونجرس معا • وأنا أعزو عدم الفهم وقلة الاكتراث بالقضية الجزائرية ( وهذا مع كثير من التبسيط ) الى عاملين أساسيين : أولهما أن الولايات المتحدة كانت قبل الحرب العالمية الثانية تنتهج سياسة العزلة فلم تكن تهتم الا قليلا بالحوادث التى تقع خارج المحيط الغربى ولم تكن ترغب فى الانهماك فى السياسة الخارجية • وثانيا أن الجزائر كانت تشكل جزءا لا يتجزأ من فرنسا وأمبراطوريتها خلال نيف وقرن من الزمن ، والولايات المتحدة لم تكن تهتم بشؤون مستعمرات الدول الصديقة لها •

ولكنها بدخولها الحرب فى سنة 1941 ، اضطرت الى الدخول فى وضع دولة تهتم بالشؤون الدولية بل وتتزعم دول الحلفاء ، وهو دور لم تكن تتمتع بمؤهلات للقيام به •

عند اندلاع نيران حرب الاستقلال الوطنى الجزائرى ، لم يكن يوجد سوى عدد صغير من المواطنين الامركيين الذين كانوا يؤمنون بسبب قناعتهم بحق الشعوب المظلومة فى الثورة على الحكم الاستعمارى ، بضرورة منح الجزائريين الحق فى تقرير مصيرهم

بأنفسهم · ولكن عددا آخر من الامريكيين كانوا يستنكرون أعمال القمع التى كان يقوم بها المعمرون والقوات الفرنسية المسلحة فى محاولة لقمع الوطنية الجزائرية · وأما تأثير هذه العناصر وما تذيعه من التقارير ، على الشعب الامريكى فهو أمر من المستحيل تحديده · على أنه من الممكن التصريح بدون تردد بأن هذه العناصر لم يكن لها أى تأثير على الاطلاق على كبار القادة الامريكيين ·

ففى سنة 1952 ، انتخب الجنرال دوايت ايزنهاور ، القائد الاعلى سابقا لقوات الحلفاء أثناء الحرب وأحد أبطال الحرب العالمية الثانية ، رئيسا للولايات المتحدة · وفى غضون معظم مدة رئاسة ايزنهاور ، كان وزير الخارجية الامريكية هو فوستر دالس ، وهو رجل ذكى جدا ولكنه قصير النظر · وبسبب عدم ميله الى الشؤون الخارجية وبسبب مرضه أيضا ، ترك ايزنهاور هذه الشؤون فى يد وزير خارجيته ، دالس ليس من شك فى أن الرجلين كانا متفقين فى قرارة نفسيهما على أنه ينبغى أن تؤيد الولايات المتحدة فرنسا لتعود الى شغل مركز قوى كدولة عظمى ، بقدر ما كانا مقتنعين بأهمية وقف تقدم الاتحاد السوفييتى والشيوعية الدولية · وسياسة منع تقدم الشيوعية كانت هى محور السياسة الخارجية الامريكية فى غضون الخمسينات ، وكانت ، بدون شك ، عاملا حاسما فى علاقات الولايات المتحدة مع شعوب الشرق الاوسط وشمال افريقية ·

واذا حملنا فى أذهاننا هذه الحقائق نستطيع أن نبحث باختصار عن الاسباب الخمسة الرئيسية التى كانت وراء تأييد الحكومة الامريكية لفرنسا فى محاولاتها لقمع النضال الجزائرى ولاسترجاع زمام الامور فى ذلك البلد ·

أولا ، بسبب تأييد بريطانيا والولايات المتحدة لها أصبحت فرنسا من أشد أنصار منظمة معاهدة الحلف الاطلسى ، وهى منظمة أسست لحماية أوروبا الغربية من توغل الشيوعية ومن مخططات الاتحاد السوفييتى · وقد كان الاعتقاد السائد هو أن تأييد الولايات المتحدة وتشجيعها للوطنية الجزائرية سيعتبر اهانة لفرنسا وقد يكون من نتائجه ، تبعا لذلك اضعاف الحلف الاطلسى ·

ثانيا ، لقد صرح ممثلو الولايات المتحدة فى الامم المتحدة وفى فرنسا مرارا وتكرارا : بأن النزاع الجزائرى الفرنسى انما هو نزاع داخلى، حيث أن الجزائر قد ابتلعت وأصبحت

جزءا من فرنسا . وفى هذا السياق قامت مشكلتان : احداهما أن أى بلد ينبغى أن يتجنب التدخل فى شؤون بلد آخر الداخلية ( ولا سيما متى كان ذلك بلدا صديقا ) . وثانيهما أن فرنسا أكدت أن الجزائر مهمة لاسباب اقتصادية واستراتيجية . وتبعا لذلك ، فلو اضطرت فرنسا الى الخروج من الجزائر على يد الجزائريين أنفسهم أو بواسطة ضغط خارجى ، ستصبح بلدا ضعيفا ماديا وبذلك يضعف الحلف الاطلسى .

ثالثا، كان كبار الموظفين والمسؤولين الامريكيين يشعرون بقلق عميق بأنه اذا اضطرت فرنسا للخروج من الجزائر ، فان ذلك البلد سوف يكون عاجزا عن حماية نفسه عسكريا وسيكولوجيا ، وبذلك يقع تحت نفوذ الاتحاد السوفييتى أو تحت سيطرة الـــدول الشيوعية مجتمعة . واعتبارا لاهمية الجزائر الستراتيجية فى البحر الابيض المتوسط ، لم يكن من الممكن السماح بهذا التطور فى نطاق سياسة منع توغل الشيوعية .

رابعا ، كان يسود قلق حقيقى ، ولو أنه خاطىء ، حول مصير المليون والنصف من المسيحيين الفرنسيين الذين كانوا يقيمون فى الجزائر بين الاغلبية من المسلمين . وعلى الرغم من أن هذا العامل لم ينص عليه صراحة فى الوثائق المتوفرة حاليا ، فهو يمثل انحرافا وتحيزا دينيا مؤسفا ، على أساس اعتقاد خاطىء بأنه لا يمكن للمسلمـــين والمسيحيين أن يعيشوا ويعملوا جنبا الى جنب بطريقة ودية .

خامسا وأخيرا ، يوجد ادراك بأن فرنسا هى أقدم أصدقاء الولايات المتحـدة ، حيث أنها هى التى ساعدت ثورتنا التحريرية ، وتبعا لذلك ينبغى ألا نقوم بعمل من شأنه أن يعكر هذه الصداقة الطويلة الامد بالاختلاف معها فى اصرارها على رفض منح الاستقلال للجزائر .

والجدير بالملاحظة أن الولايات المتحدة كانت دائما ، على الصعيد الرسمى وغـــير الرسمى تعارض فى اراقة الدماء وأعمال الثار التى كانت سمة مميزة للثورة الجزائرية ، وقد نادى الممثلون الرسميون الامريكيون مرارا وتكرارا بوضع حد للحرب حتى يمكن ايجاد حـل سلمى للنزاع بـين الحكومة الفرنسية والممثلين الذين ينتخبهم الشعـب الجزائرى .

وعلى نقيض السياسة الرسمية التى انتهجتها الادارة الامريكيه ، كان هناك عدد من أعضاء مجلس الشيوخ يعارضون موقف كل من الولايات المتحدة وفرنسا • وأحد هؤلاء المعارضين المشهورين ، هو عضو مجلس الشيوخ سابقا ، ثم رئيس الولايات المتحدة فيما بعد ، الرئيس جون كيندى • ففى 2 يوليو 1957 ، أى قبل عيد استقلالنا بيومين فقط ، تقدم كيندى أمام مجلس الشيوخ بمشروع قرار يدعو الى احداث تغيير فى سياسة الولايات المتحدة تجاه الثورة الجزائرية ، وبذلك فتح بابا لمناقشة طويلة وهامة فى مجلس الشيوخ • ففى الخطاب الذى ألقاه بهذه المناسبة والذى أشعر بأسف لاننى لا أستطيع قراءته عليكم اليوم ، صرح عضو الشيوخ كندى أنه بالنظر الى أن الولايات المتحدة نفسها انما نالت استقلالها بوسائل ثورية ينبغى أن تكون سياستنا سياسة تأييد لاستقلال الجزائر بدلا من عرقلة الشعب الجزائرى ، وذلك حتى لو أدى الامر الى فقد صداقة فرنسا • وقال ان فرنسا قد جردت جيشا يتكون من 400000 مقاتل فى الجزائر وتنفق مبالغ طائلة من المال وتتلف كثيرا من العتاد الحربى فى محاولة اخضاع الثورة الجزائرية تتسبب فى ضعف نفسها وفى ضعف الحلف الاطلسى أيضا ، وبالتالى ، فان تأييد الولايات المتحدة للثورة الجزائرية لا يمكن أن يحدث ضررا أكبر بمنظمة الحلف الاطلســـى •

وبتأييد من عدد من أعضاء مجلس الشيوخ قدم كيندى مشروع قرار جاء فيه :

« يصرح لرئيس الولايات المتحدة ولوزير الخارجية بموجب هذا القرار ، ويشجعان على وضع نفوذ الولايات المتحدة وراء جهود تهدف : اما فى نطاق منظمة الحلف الاطلسى، او بواسطة مساع حميدة يقوم بها رئيس وزراء تونس وسلطان المغرب للوصول الى حل ينظم شخصيـــة مستقلـــة للجـــزائر ويقيم أسسا لتسوية مستقلة مع فرنســـا والامم المجاورة »•• وعلى الرغم من التأييد الكبير الذى لقيه المشروع فقد أحيل الى لجنـــة الشؤون الخارجية حيث أقبر بالاهمال • وأهمية هذه المناقشة والمشروع الذى جرت حوله ليس فى أنها أحدثت تغييرا فى سياسة الولايات المتحدة الرسمية ، بل فى اعتراف كثير من ممثلى الشعب الامريكى بأنه يجب أن تتجه سياسة الولايات المتحدة الى تاييـــد استقلال الجزائر وجميع شعوب العالم من السيطرة الاستعمارية •

وفى هذا السياق يجب أن نتذكر أن حكومتنا ليست حكومة وزارية يمكن للكونجرس أن يغير سياستها أو يقيلها • ومن ثم ، فان مشروع القرار الذى تقدم به كيندى لم يكن ليؤثر تاثيرا مباشرا ـ لو صادق عليه الكونجرس ـ فى سياسة الرئيس ايزنهاور وجون فوستر دالس • ومع ذلك ، نحن نلاحظ تغييرا طفيفا فى نغمة الوثائق التى صدرت عقب المناقشة لانه ظهر موقف متصلب تجاه فرنسا • وكذلك تحمل هذه الوثائق طابعا من الموافقة على موقف الجنرال دوغول وجهوده لايجاد حل للوضعية الجزائرية ، ولا سيما اذا أدت الى استقلال الجزائر •

ليس من شك فى أن كيندي كان يشعر بالرضى والغبطة ، حيث أنه كان يشغل منصب الرئاسة حينما نالت الجزائر استقلالها فى 5 يوليو 1962 • وبوصفه مؤيدا منذ أمد طويل لاستقلال الجزائر ، فقد اعترف على الفور بالدولة الجديدة وبحكومتها •

## لجنــــة النقطـــــة الخامســـة

# مـــــاض ومضـــى هى الجـــزائـــــر

**أعضاء اللجنـــة**

- **الاستاذ اسماعيل العربى** مؤرخ ومدير الدراسات بالمركز الوطنى للدراســـات التاريخية ـ الجزائر ـ **رئيسا**
- **الشيخ عبد الرحمن الجيلالى** مؤرخ ـ الجزائر ـ **مقـــررا**
- **د. يحيى بوعزيز** أستاذ التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية جامعة وهران ـ الجزائر ـ **عضــوا**
- **د. شارل ڤيلـز** مدير المعهد الامريكى للدراسات الاسلامية ، جامعة دنفر ـ كولورادو ـ **عضــوا**
- **د. آمال ايسين** عضوة معهد البحوث الثقافية والتربية ـ اسطنبول ـ **عضــوة**
- **د. جوردن بييف** أستاذ التاريخ بجامعة صوفيا ـ بلغاريا ـ **عضــوا**
- **الشيخ المهدى البوعبدلى** عضو المجلس الاسلامى الاعلى والمركز الوطنى للدراسات التاريخية ـ الجزائر ـ **عضــوا**

| | | |
|---|---|---|
| ـ د٠ سلفاتوري بونو | أستاذ التاريخ بجامعة بروجيا ـ ايطاليا ـ | عضـوا |
| ـ الاستاذ احمد توفيق المدني | مؤرخ ـ الجـزائـر ـ | عضـوا |
| ـ د٠ أرجمند كوران | أستاذ التاريخ بجامعة هكتب ـ أنقرة ـ | عضـوا |
| ـ د٠ أورال سنـدر | أستاذ مساعد بجامعة أنقرة | عضـوا |

1) نظرت اللجنة الخامسة فى مسالة العلاقات بين الجزائر وبين مختلف البلدان فى القديم والحديث حتى سنة 1962 ٠

2) لاحظت اللجنة الخامسة على ضوء العروض التى قدمها المساهمون فى الملتقى أن لهذا الجانب من تاريخ الجزائر أهمية خاصة ، حيث انه يرمز الى استقرار ادارة البلد والى قوته العسكرية والبحرية التى كانت تشكل قاعدة وسندا للمكانة الدبلوماسية التى أحرز عليها واحتفظ بها عدة قرون ، ولا سيما فى حوض البحر الابيض الغربى ٠

3) رأت اللجنة أن الأبحاث والدراسات التى قدمت فى هذا الملتقى حول النقطـة الخامسة يمكن أن تشكل نموذجا لنوع الدراسات التى يمكن القيام بها فى المستقبل فى هذا المجال على مختلف المستويات وفى مختلف الاطارات للتعريف بماضى الجزائر ، بوصفها دولة مستقلة كانت تلعب دورا حيويا فى المجتمع الدولى ٠

ولذلك قررت أن تتقدم بالتوصيات التالية :

1) القيام بمسح تمهيدى عن طريق المركز الوطنى للدراسات التاريخية لمظان الوثائق فى أرشيفات البلدان الاجنبية ولاسيما فى الولايات المتحدة واسبانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا وتركيا ٠

2) العناية بجميع الوثائق التى تتصل بهذا الموضوع من الكتب المطبوعة والمخطوطات ووضعها تحت تصرف الباحثين الذين يهتمون بتاريخ السياسة الخارجية للجزائر ٠

3) تنظيم ندوة خاصة بتعاون بين الوزارة والمركز الوطنى للدراسات التاريخية بقصـد وضـع مخطط عام للبحث ومنهج عملى للعمل فى هذا الحقل على أساس توزيع المهام بينهم لوضع دراسات ثنائية الطابع ( مثل علاقات الجزائر بفرنسا وباسبانيا وعلاقاتها بالولايات المتحدة وتركيا الخ ٠ ) ٠

4) ألعمل بجميع الوسائل الممكنة للحصول على الآثار الكتابية والصوتية التى تركتها الثورة الجزائرية فى مختلف بلدان العالم ( مثل الكتب والمحاضرات والاشرطة الاذاعية والسنمائية وقصاصات الصحف الخ ٠ ) ٠ وذلك للمحافظة عليها حتى تكون مستندا يرجع أليه الباحثون الذين يتناولون الجانب الدولى من الثورة الجزائرية فى المستقبل ٠

5) تكليف جماعة من الباحثين لوضع ببيليوغرافيا شاملة لتاريخ العلاقات الجزائرية مع الخارج فى مختلف العصور ٠

6) وضع بحث على ضوء المعلومات المطبوعة والخطية المتوفرة عن الاسطول الجزائرى فى مختلف العهود يتناول أمورا مثل تنظيمه وبناء قطعه وتجهيزه وقواده ودوره فى الدفاع والهجوم فى البحر الابيض والمحيط الاطلسى ٠

7) العمل لادخال موضوع العلاقات الخارجية الجزائرية بوصفه موضوعا مستقلا فى برنامج التعليم الثانوى ، والتوسع فى التعليم العالى بصفة خاصة ٠

8) الاهتمام بابراز دور الجزائر في الدفاع عن منطقة المغرب العربى فى العصر الحديث ودفع كل المغالطات وألوصمات التى حاول الاوروبيون الحاقها بالبحرية الجزائرية ، وذلك بالاستناد الى الوثائق التى تزخر بها المكاتب والارشيفات الفرنسية والتركية والايطالية والاسبانية ٠

9) وضع برنامج فى اطار يجمع بين الوزارة والمركز الوطنى للدراسات التاريخية لترجمة ما يمكن من الكتب الكثيرة التى وضعها العلماء الاجانب عن تاريخ العلاقات بين الجزائر والدول الاوروبية والولايات المتحدة ٠

# فليـــدق اذن جـرس الخطـر والحيطـة ،
# بالطبـــل والمزمـــار والغيطـــة ! (1)


مولود قاسم نايت بلقاسم
الوزير لدى رئاسة الجمهورية
المكلف بالشؤون الدينية
ـ الجـزائر ـ

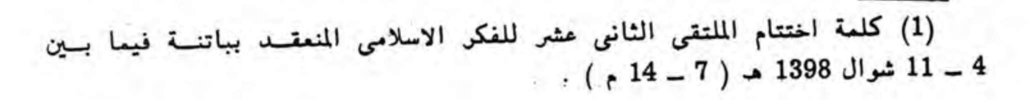

بســم اللــه الرحمن الرحيــم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلــين

حضرات الاساتذة الافاضل ،

ها أنتم فى نهاية السعى ، وقد أحسنتم الرعايـــة والرعى ، وجهدتم ولم تفقدوا الوعى ، وانشدتم الحياة وتركتم النعى !

1) لقد أبنتم للأوراس من تاريخه ماضيه ، وأنرتم له من سجله غاضيه ، ولم يعد فيه فصل قد يعتبر فاضيه .

وقلتم ان له فى الكتاب صفحاته ، أودع فيه خالـــد نفحاته ، التـى تصبح عند الحاجة لفحاته !



(1) كلمة اختتام الملتقى الثانى عشر للفكر الاسلامى المنعقـد بباتنـة فيما بـين 4 ـ 11 شوال 1398 هـ ( 7 ـ 14 م ) .

2) وقلتم ان العلم يؤيد الدين ، اذ الاول للثانى خدين ، لا من هزيل ولا من بدين ، وكل منهما للآخر ناصر ، وبدونه ناقص قاصر ، بل هو له ملازم محاصر ، اذ بينهما وثيق الأواصر ، فالعلم بلا الدين ضلالة مسطورة ، والدين بلا علم خرافة أسطورة !

3) ونظرتم فى موضوع العائلة ، هل تسلم أم تنتظرها الغائلة ؟ هل ستبقى أم هى زائلة؟ وما من خير أو شر نائلة، وما هى اليه آئلة مائلة، نفسها فى قلق دوما سائلة، وليس فى ذلك طائل ولا طائلة .

وقلتم انها على نفسها جانية ، وقبرها حافرة بانية ، بسلبية تجعلها محتضرة فانية ، ونهايتها مقتربة دانية !

أليست للأمة هى النواة الخلية ؟ أليست هذه قضية جلية ؟ أليست الحافظة للنشإ والعجوز الولية ؟ ألن يكون تخريبها عين البلية ؟ أم هناك حيلة منطليـــة ، كالمؤامرة بالأمس على الدولة العلية ؟ انها ضمان استمرار صالح الذرية ، وموتها كالقنبلة الذرية ، يدعون له باسم مبدا الحرية ، يغالطون بذلك البرية ، التى هى باليقظة الحرية ، سامية ، حامية ، آرية !

4) والجامعة تعليم تكوين تربية ، وليست تجهيلا تبليدا تغبية ، معدن النظام ضد الفوضى ، التى تكاد تصبح المعيار والموضى ، وقد أصبحت من جذورها مبتورة ، ولم تعد عيوبها اليوم مستورة !

لقد تتبعتموها حتى بابل ، بل الى هابل وقابل ، واختلط عليكم الحابل بالنابل ، اذ أصبح علمها كالزهر الذابل ، الذى افتقد الرذاذ والوابل !

حاربوا فيها كل لعب ولهو ، وكل تسكع وسبهللة وسهو ، واقضوا فيها على كـل انحلال وزهو ، فى كل مدرج ومكتبة وبهو ، بكل حرص وجد وحزم ، وشديد صرامـة وعزم، بسلطة وروح ونظام وجزم ، وأرجعوا الجامعة للدراسة، للقلم والكتاب والكراسة، للبناء والتصنيع والغراسة !

فليدق اذن جرس الخطر والحيطة ، بالطبل والمزمار والغيطة ، ولو أحدث ذلك فى البدء الضجيج والزيطة !

لتعد في الجامعة الأمور حسب النواميس ، بالمخابر والمراجع والقواميس ، ولتستبعد منها الثيران والجواميس !

لتعد الجامعة في العالم هي القائدة ، هي الرائدة هي السائدة ! ولتعد عن القيم هي الذائدة ، باطراد وعناية زائدة ، لتصبح للجميع هي المائدة ، ومن جديد فيها الفائدة ، ولتختف منها المساوئ البائدة !

5) واستعرضتم علاقات الجزائر والكون ، وما بين الحق والزيف من بون ، واستمددتم في ذلك من الله العون ، وتبين لكم ان مكانتها في التاريخ مكينة ، وأثبتم الحقيقة بطمأنينة سكينة ، بموضوعية ومنهجية ركينة .

فشكرا لكم وللسيد والي الولاية ، على ما أولى الجميع من حسن الرعاية ، وللسيد المحافظ والخلايا ، وأبعد الله عن الجميع البلايا .

إيه بلدة وسكان آريس ، ذكرنا لديكم باريس ، والشهداء والقنابل والمتاريس ، والفرق بين الأسود والعتاريس ، وحي الله الشعب والتضاريس !

ومنك الى اشمول وبريكة ، وجهاد الزوج والشريكة ، وتلك الروح كانت من الاسلاف التريكة ، كنا على المحرك أو الاريكة .

إيه أولاد موسى ومدغاسن وطبنة ، فزيارتكم حقا حجة وحقنة ، صدقا لازعم كليلة ودمنـــة !

وأحذر الطلبة من التأخر في البهو والفوضى ، لئلا يجعلوا من ذلك عادة وموضى ، اياكـم ورمّان الغوفي ، وكم منكم هناك البطني الجوفي[1] ، ويدعي انه المسلم الصوفي ، فاحذركم بالبصري والكوفي ، ليتبعنكم السوط للواد السوفي !

لنستعملن سوطا ودرة (2) ، في كل فوضى من أي هر أو هرة ، بعد التنبيه لا عن غفلة وغـــرة !

---

(1) تسلل عدد قليل من الطلبة الى حديقة في الغوفي وسرقوا منها الرمان .

(2) العصـــا

سلاما والى اللقاء فى قلب المهارق (2) . فى الهوادج وعلى الزرابى النمارق ، على طريق وحدة الافارق ، الماحية للحواجز الفوارق ، عند الملثمين ذوى الرسوم الشوارق ، والمهارى الخاطفة البوارق ٠

الى أصحاب المعجزات الخوارق ، الى الصخور الصلدة للغزاة دوما حوارق ، الى السمح الا مع ذوى الدعاوى الموارق ، الى تمنغست (3) الهقار عاصمة الطوارق !

والسلام عليكم ورحمة الله ٠

---

(2) الصحـــارى .
(3) تمنغست : هو الاسم هناك لتمنراست الذى هو الصيغة المفرنسة للاسم .

## أبعاد ثقافية وتربوية (1)

**السؤال 1 :**

**سيدى الوزير ، هل من الممكن ان تتفضلوا باخبارنا، على ضوء المحاضرات العديدة المقدمة حول النقاط المختلفة التى تضمنها جدول أعمال الملتقى الثانى عشر للفكر الاسلامى ، عما اذا كانت أعماله قد لبت الرغبات المنتظرة منها ، وبلغت الهدف المرسوم لهذه التظاهرة ؟**

**الجواب :**

**نعم ، يمكن لنا أن نقول، من خلال المحاضرات المختلفة التى تم القاؤها ، بأن المحاضرين ، بصفة عامة ، كانوا ، الى حد بعيد ، عند حسن ظننا ، فيما يخص جميع النقاط المدرجة فى جدول أعمال الملتقى الثانى عشر .**

فقد أعرب البعض عن وجهات نظرهم ، وقدموا مساهمتهم بوضوح ومنهجية . وأما البعض الآخر ، فانهم ربما لم يراعوا هذه المقتضيات الشكلية ، ولكنهم أدلوا بمعلومات مفيدة وقيمة ، فى غالب الاحيان .

(1) ترجمة حديث مع السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، الوزير لدى رئاسة الجمهورية ، المكلف بالشؤون الدينية ـ أجراه معه السيد مولود عاشور ، مندوب جريدة المجاهد اليومية ونشر بتاريخ 20 سبتمبر 1978 .

غير أنه مما تنبغي ملاحظته ، في هذا الصدد ، أنه ، رغم ما جاء ، في نص الدعوة وفي برنامج الملتقى ، من تفصيل مدقق في ذكر النقاط المطلوب التطرق الى احداها ، فيبدو أن بعض المحاضرين لم يعنوا أصلا بقراءة هذه النقاط ٠ وهذه الملاحظة تتعلق ، بصفة خاصة ، بنقطة « الدين والعلم » ٠ فقد أطال الجميع وأطنبوا في شرح العلم ، مع سرد الكثير من أقوال العلماء ، سردا كأنه حفظ عن ظهر قلب !

وكان غرضنا ، بصفة خاصة ، أن يدرس موقف الدين ، ـ أيا كان ، وخصوصا الاسلام،والقرآن ، كتابه المنزل ـ والدين عند الله الاسلام ! ـ أمام التطور المعاصر ، ولكن أيضا موقف العلم الحديث من الدين والاديان ٠ ولم تتعمق أبحاث بعض المحاضرين في هذا المجال ، كما يظهر ذلك بوضوح ، لا من خلال نصهم فحسب ، بل أيضا من خلال أجوبتهم على الاسئلة المطروحة عليهم من طرف الطلبة ٠

وعلى كل ، فلا ريب انه حتى هؤلاء المحاضرون ، الذين لم يسلكوا منهجية دقيقة ، قد قدموا مساهمة ايجابية ، بما أدلوا به من معلومات قد تشكل المادة الخام التي يتسنى للباحثين المنهجيين أن يستفيدوا منها بشكل دقيق وعلمي ٠



**السؤال 2 :**

فيما يخص النقطة الاولى ، وكذلك النقاط المدرجة في نفس الباب في الملتقيات السابقة ، يبدو أن مساهمة كل محاضر قد تتماشى مع سعي الجزائر حاليا الى تحقيق اعادة كتابة التاريخ الوطني ٠ فهل يمكن معرفة رأيكم حول المساهمة الحقيقية التي قدمتها أعمال الملتقى من هذه الحيثية بالذات ؟

**الجواب :**

نعم ، ان هذه الاعمال تندرج ، كما قلتم ، في ذلك الاطار ٠ فلقد دأبنا على أن ندرج على رأس برنامج كل ملتقى نقطة تختص بالمدينة بل والناحية كلها التي تستقبل تلك التظاهرة ، أو تعم أرجاء الوطن ، كما كان الامر بالنسبة لدراسة تاريخ بعض الدول ،

مثل الرستمية ، والحمادية ، والزيانية ، فى الملتقيات السابقة . فبالنسبة لهذه النقطة الاولى ، وكذلك بالنسبة للنقطة الاخيرة ، (1) نوجه اهتمامنا الى منح الفرصة للجميع لتوسيع وتعميق معرفة تاريخ بلادنا . ويحصل هذا سواء عن طريق المحاضرات التى يلقيها الاساتذة المدعوون ، القادمون من القارات الخمس ، والمنتمون الى أديان ، وثقافات، وايديولوجيات مختلفة ، أو عن طريق المناقشات التى تتلوها ، والجولات الدراسية . وهذه الاخيرة تعتبر تطبيقا لما يقال فى قاعة الملتقى ، اذ أننا نزور آثارا تاريخية ـ فيما يتعلق بالماضى ـ ، ونشاهد انجازات حديثة فى شتى ميادين النشاط الوطنى ـ بالنسبة للحاضر ـ .

وقد قام ، من بين المحاضرين ، أساتذة جامعيون مختصون فى التاريخ بعرض تاريخ بلادنا فى فترات مختلفة من عصر ما قبل الاسلام الى يومنا هذا .

وعلاوة على معرفة العناصر المتعلقة بالموضوع ، فهناك أيضا الشكل ، أى المنهجية ، التى تنحصر فى معرفة طرق البحث المختلفة ، والمراجع ، والمصادر ... كل هذا يهمنا أيضا جميعا ، لانه يزودنا بعناصر يعتمد عليها للحكم ، ووسائل للمقارنة .

ومن جهة أخرى ، فان الاساتذة أنفسهم يقولون لنا انهم يستفيدون كثيرا بعضهم من بعض ؛ وقد يضطرون الى تصحيح العديد من الآراء المسبقة والمتحيزة ، سواء حول بلادنا ( ماضيها وحاضرها ) ، أو حول الحضارة العربية الاسلامية عموما . وأرى أن هذا يساعد على التفاهم بين الناس .

هذا ، وانكم لتذكرون لا شك أننا تناولنا بالدراسة سنة 1392 ( 1972 ) فى العاصمة نقطة اعادة كتابة تاريخ بلادنا منذ الملتقى السادس ، حيث كان هذا الموضوع عنوانا لاحدى نقاط جدول الاعمال . واعتقد شخصيا أن هذا من شأنه أيضا أن يثير

---

(1) النقطتان الاولى والاخيرة من الملتقى الثانى عشر بباتنة هما ، على التوالى :
ـ الاوراس : أمجاد وأنجاد .
ـ العلاقات بين الجزائر وبقية العالم قبل 1962 .

انتباه كل من يهتمون بذلك ، ـ أو ينبغي عليهم أن يهتموا بذلك ـ ، في بلادنا ، من بين الاساتذة ، والمؤرخين ، الجامعيين وغير الجامعيين ، الامر الذى يفتح أمامهم آفاقا جديدة ، ويحثهم على مضاعفة الجهود من أجل البحث ، وبمزيد من الجدية ٠

أضف الى ذلك أن هذه النقطة لم تفتأ ، منذ الملتقى السادس ، تحظى بالدراسة عبر منطقة البحر الابيض المتوسط وخارجها ، من تونس الى مالطة ، الى بغداد ، الى فرنسا ، وغيرها من الاقطار العربية والاوروبية وغير العربية والاوروبية ٠ واذا كنا ، حسب علمنا ، أول من تناول هذا الموضوع ، فذلك يرجع الى أن بلادنا قد منيت أكثر من غيرها بتزييف تاريخها ، سواء من طرف أعداء الامس ، أو من طرف اخوة الامس والغد ، وكما يقول الشاعر العربى القديم :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ٠٠٠

وفيما يخص المساهمة الحقيقية التى قدمتها أعمال الملتقى لعملية اعادة كتابة تاريخنا ، أرى شخصيا أنها هامة جدا ، لكونها صادرة من آفاق مختلفة ، حاملة روايات عديدة ، مستعملة لكثير من المصادر والمنهجيات ٠ وأعتقد أن أساتذتنا وباحثينا وطلبتنا ، ـ وأنا شخصيا ، على كل حال ، مما لا شك فيه ـ ، قد استفادوا كثيرا من ذلك ، وعليهم أن يستخلصوا منه العبرة الكافية للقيام بعملية اعادة كتابة تاريخنا الوطنى وتحقيقها على أكمل وجه ٠

* * *

**السؤال 3 :**

يرى الملاحظ ، من خلال الملتقيات المتتالية ـ ونعتقد انه محق فى ذلك ـ ، أن التعرف على الفكر الاسلامى أصبح لا يشكل الا جانبا من الملتقى ٠ فهذا التطور ( اذ أن ذلك تطور حقا ) ، هل هو نتيجة لادارة واعية ترمى الى توسيع اهتمام هذه الملتقيات الى الفكر العالمى عامة ، ومن شانها أن تدرج فى المستقبل مجالات مختلفة ، كالفلسفة ، وعلم النفس ، وعلوم أخرى ؟

**الجـــواب :**

نعم ، الفكر الاسلامى ، اذا فهم جيدا ، وطبق تطبيقا سليما ، فهو مثل الاسلام ، يشمل سائر مجالات الحياة ، ولا يختص بالآخرة ، بل يمتد الى الدنيا • أضف الى ذلك أن الدنيا والآخرة مقترنتان فى الآيات القرآنية ، فى أغلب الاحيان ، مع تقديم الدنيا على الآخرة لاسباب زمانية ومنطقية معا • وقد جاء فى الحديث مرات عديدة ، وفى روايات مختلفة ، أن العمل عبادة ، وأن افضل الاعمال هو العلم •

هذا ، وقد كنا دائما ، منذ الملتقى الرابع، نربط بين الموضوعات الثقافية (أو الدينية بمدلولها الضيق ) ومجالات الحياة الوطنية والعالمية عموما ، حاضرا ومستقبلا •

وهكذا تحدثنا عن نشاطنا فى مختلف المجالات ، عن الاسرة ، وعن الشبـــاب ، وعن المغتربين، وعن الفلاحة ، والصناعة ، والطاقة ، وعن التعليم والتربية ، وعن الثقافة عامة ، كما تناولنا بالـــدراسة ، فى كل مرة ، مختلف فترات تاريخنا ، وتاريـــخ الحضارة العربية الاسلامية، وكذلك مساهمة التراث العالمى بشكل عام وفلسفة الحضارات والامم ، وفى الشريعة طبعا •

وقد شارك فى كل من تلك الملتقيات مؤرخون ، وفلاسفة ، واختصاصيون فى علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والاقتصاد ، والشريعة ، والفلسفة ، وفلسفة التاريخ خاصة ، فدرست موضوعات فلسفية ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، وفقهية طبعا ، وقضايا تاريخية ، وجميع مناحى الحياة فى أغلب الملتقيات • حتى أن هناك نقطة خصصت لدور المفكر في الحياة الوطنية والدولية ، يعنى أمام المشاكل التى تواجهها الانسانية بصفة عامة •

ولذا ، فيمكن أن نستخلص من هذا كله أن الاهتمامات العالمية لم تغب عن انتباهنا، منذ الملتقى الرابع ، وأنها أدرجت بشكل من الاشكال فى كل الملتقيات التالية •

لقد تحدثنا عن فلسفة الانسان ، وعن فلسفة الحضارات ، كما وصفهما كبار فلاسفة التاريخ ، منذ المفكرين اليونان ، الى ابن خلدون ، وطوينبى ، ( انجلترا ) ، وخوسى

أورتيڤا إى ڤاسيت ( اسبانيا ) ، وفوستال دى كولانج ( فرنسا ) ، وممسن ( ألمانيا ) ، وسنتابع هذه الطريقة فى المستقبل ، اذ الحضارة حصيلة جهود الانسانية كلها ، تشارك فيها كل حضارة وكل قطر ، كما سنتمادى فى استخلاص العبرة ، فى اطار مسيرتنا الجديدة ، تماشيا مع مسيرة الدول المتقدمة ٠



**السـؤال 4 :**

سيدى الوزير ، لقد ذكرتم مرارا أن المحاضرات لا تشكل بالنسبة للطلبة الا حافزا للتفكير الشخصى ، ونقطة انطلاق للبحث ، معربين بذلك عن المقصد التربوى لهـذه الملتقيات ٠ فهل يمكن لكم أن تتفضلوا بشرح هذه الفكرة ؟

**الجـواب :**

نعم ٠ ولهذا الغرض فقد ذكرنا ، فى نص الدعوة ، أن الرجاء من الاساتذة ألا تتجاوز المحاضرة ثلاثين دقيقة على الاقصى ٠ وقد وضع خط تحت عبارة « على الاقصى » ثلاث مرات ٠ ثم اننا أضفنا ، فى نص الدعوة نفسه ، أن المحاضرين يستطيعون أن يتداركوا كل ما لم يمكن ادراجه ضمن نص محاضراتهم فى المناقشة ، التي يهتم بها الطلبة أكثر ، ويكون انتفاعهم منها أكبر ، لان المناقشات أشد حيوية من المحاضرات ، وأجلب لانتباه الطلبة ٠

وفعلا ، فنحن نرى ، ـ وأعتقد أن ذلك عين القاعدة التى ينبغى اتباعها ـ ، أن المحاضرة ليست الا مجرد حافز ، وأنها نقطة انطلاق كما ذكرتم ، لمناقشة مثمرة ، وحوار حى ومباشر ، مما يكون له لدى المستمع مزيد من التأثير ، وحتى لدى المحاضر ، فيما أعتقد ، الامر الذى يحث على التعمق فى البحث فى نفس الموضوع ٠

وتستند وجهة النظر هذه الى رغبة الطلبة والطالبات ، اذ علينا ألا ننسى أن هذه الملتقيات تنظم لاجل هؤلاء الطلبة ٠ ومما يدل على تعطشهم الى هذه المناقشات الحاحهم

على مواصلتها مع الاساتذة خارج جلسات الملتقى الرسمى ، فى الداخليات والاحيـــاء الجامعية ، الى ساعات متأخرة من الليل ، كما انهم يواصلونها حتى أثناء الجولات .
ويطيب لى أن أذكر فى هذا الصدد أن كثيرا من أولئك الاساتذة يسرون كثيرا بذلك الاهتمام الذى يبديه الطلبة ، ويشكرونهم عليه ، وعلى سبيل المثال ، أذكر مثالا مــؤثرا، هو المؤرخ التونسى الشهير ، المرحوم عثمان الكعاك ، الذى كان أثناء الرحلة الى القالة ، أيام الملتقى العاشر الذى انعقد فى عنابة ، فى شدة حرارة شهر جويلية ، يقضى الاوقات المخصصة للاستراحة واقفا والطلبة محيطون به ، يوجهون اليه العديد من الاسئلـة ، وهذا قبل وفاته ببضع ساعات . وعندما دعاه مواطنه وزميله وتلميذه أستاذنا محمـد الصادق بسيس (1) الى أن يستريح قليلا، أجابه قائلا : « الراحة فى القبر يا سيدى !»

والحقيقة أن المحاضرات والمناقشات لا تشكل الا الاساس ، والمنطلق ، والباعث على التفكير المعمق ، والبحث الشخصى ، والتنقيب فى المكتبات وغيرها من مراكز الابحاث ، ولتوسيع حقل المعلومات ، وبصفة خاصة للاطلاع على المناهج ، وتنويع المصادر ، وجمع وسائل المقارنة والحكم .

★ ★ ★

**السـؤال 5 :**

سيدى الوزير ، هل يمكن القول اليوم ان البحث العلمى ، وما يمكن أن نسميه التحرر الفكرى ، قد تم تحقيقه ، أو هو لا يزال بصدد التحقيق ، فى العالم الاسلامى ؟

**الجـواب :**

ليقع اختيارنا على الثانى من هذين الاحتمالين ، بل فى هذه النقطة بالذات ، علينا أن نحكم على أنفسنا بشىء من الشدة ، ونقول : اننا بصدد الاهتمام بذلك ، ولم نصل بعد الى التحقيق ! ولتلمسوا ذلك ، فما عليكم الا أن تقارنوا ــ من دون مازوخية أو اغتياب ذاتى ــ ، بين المحاضرين الذين سبق لكم أن استمعتم الى محاضراتهم فى باتنة

---

(1) وقد توفى هو بدوره أخيرا ، رحمه الله .

أو فى ملتقيات أخرى ، ممن ينتسبون الى العالـم الاسلامى ، وأولئك الذين ينتمون الى الاقطار الاخرى من القارات الخمس ، من حيث المنهجية ، ومن حيث نوع من الدقة العلمية ؛ أقول : « نوع من الدقة » ، لان الدقة العلمية ، والامانة الفكرية الشهيرة ، أى التى يتحدث الناس كثيرا عنها ، والموضوعية التى لا تقل عنها شهرة ، كلها مفاهيم نسبية جدا ، ذات مستويات مختلفة فى تلك النسبية ، وذلك فى جميع البلدان ، وفى سائر فترات الوجود الانسانى ، الى عهدنا هذا على كل حال ٠

لكن ، ـ ومن دون أن نقع ، على عكس ذلك ، فى التفاؤل الساذج ـ ، ينبغى أن نقول ، مع مراعاة تقلبات الماضى وفترات الجمود ، والخمود ، والهمود،التى أصابت كل حضارة ، ان العالم الاسلامى قد خطا خطوات لا يستهان بها فى مستهل هذه المسيرة نحو التحرر الفكرى ، واستئناف المحاولة الذاتية ، المستقلة ، نحو مساهمة أصيلة ومثمرة من أجل تقدم الانسانية ٠

ولسنا نرجو الا مزيدا من السرعة والثبات فى هذه المحاولة ، وذلك هو المقصـــد الذى نسعى اليه بتنظيم هذه الملتقيات ، وباللجوء أحيانا الى الاثارة ، عن قصد ، لاحداث التأثير والصدمة النفسية ، والحث ، والتحفيز ، والتحريك ، صوب ذلك الاتجاه ٠



**الســؤال 6 :**

يبدو لنا أن هناك جوا ملائما لتجديد طرق البحث فى مجال الدراسات الاسلامية ٠ هل تعتقدون أننا على وشك نبذ التحليل والشرح التقليديين ، المعتمدين خاصة على التحليل واستعمال البلاغة ؟

**الجــواب :**

انى أوافق على تقدير هذا الشعاع التجديدى ، فيما عدا النسبية التى تخص دقة المناهج فى العلوم الانسانية أو غير الدقيقة ، وهذا رغم ما حقق من تقدم فى بعض هذه العلوم ٠ غير ان هذه الطرق جديرة بأ نتصبو الى درجة علوم ، وأن تقوم بكل

المحاولات التى تكفل لها هذه الدرجة وهذه المشروعية · وميدان الاسلاميات هو أحد تلك الميادين · وعليه ، فهذه الطريقة المنعشة محبذة من وجهة نظرنا ، ولو أدى ذلك الى ازعاج بعض « التقليديين » ، الذين لا نتردد فى وضعهم فى نفس مستوى أولئك المعجبين بكل ما هو تغيير ، سواء كان حسنا أو قبيحا · ويطابق هذا ذلك المثل الواضح الذى ضربناه مرارا ، وهو أننا أنصار الأصالة مع التفتح ، أى من أجل الاكسجين والنور ، مع الحفاظ على أسس البناية ، ضد الجامدين المتزمتين ، الذين لا يفتأون يمجون أسماعنا بنداءاتهم الى سد الابواب بل والنوافد ، معرضين الجميع للاختناق ، من جراء انعدام الاكسجين ، وللعمى باستمرار الظلام ، باسم المحافظة والتقاليد ··· ، كما هو موقفنا أيضا ضد المعجبين بكل تغيير ، الذين لا تهمهم طبيعة ذلك التغيير وغائيته ، بل يهمهم التغيير فقط ، صالحا أو طالحا ، وهم الذين يصمون آذاننا بشعاراتهم الجوفاء باسم القرن العشرين ··· والتقدم ، والانفتاح ، الذى يؤدى الى الانبطاح ··· وهم يساوون فى نظرنا فى الضرر والسلبية مخالفيهم من الطرف الآخر ، المذكور آنفا ، بنداءاتهم الى التغيير بأى ثمن ، الى فتح الابواب والنوافذ ، لكن أيضا الى هدم السقوف والرفوف ، ونسف الاسس ، مما يعرضنا لخطر تقلبات الجوء وخراب الدار ، والزوابع ، ولانهيار البناية · لنعد الى القسم الاخير من سؤالكم لنلخص كلامنا ، فنقول : ان البلاغة شىء هام ، غير أنها مجرد شكل ووعاء فى حاجة الى محتوى ، وهذا المحتوى هو الغاية · فالافضل اذن هو الجمع بين الشكل والمحتوى · ولذا ، فنحن نؤيد كل منهج جديد ، كل اختراع ، كل بحث ، وكل تنقيب يخدم هذا الهدف ، ونوصى بذلك بكل ما لدينا من قوة وحماس وبكل الحاح · كما لا يسعنا الا تقديم شكرنا لاصحابه ، وتشجيعهم على مواصلة محاولاتهم الجريئة ، مع اتخاذ المحاذير ودقة التمييز بين المنهج والهدف ·

★ ★ ★

**السـؤال ٧ :**

سيدى الوزير ، أقل ما يقال عن هذه الملتقيات ، أنها أصبحت من أهم المظاهرات الثقافية الوطنية · فيا ترى ، هل كان لها صيت على المستوى العالمى ؟

**الجـــواب :**

أنا أكتفى بتقديركم فيما يخص المستوى الوطنى ، وأشكركم على تشجيعكم ، أما على المستوى العالمى ، فسأقتصر ، ربما ، على ذكر ثلاثة أو اربعة آراء ، أو مقارنات ، وردت من العالم الاسلامى.ومن غيره •

سئل الدكتور محمد الفحام ، شيخ جامعة الازهر سابقا ، من طرف رجال صحافتنا، اثر انعقاد الملتقى السادس ، سنة 1972 ، حول قيمة هذه الملتقيات ، فكان جوابه عبارة عن مقارنة ، أجراها من تلقاء نفسه ، بين مختلف الندوات والملتقيات المنعقدة عبر العالم الاسلامى ، والملتقيات الاسلامية بالجزائر ، فأشار الى تفوق هذه ، لانهـا تنفرد بميـزة خاصة ، هى أن الجمهـور المشارك فيها يتكـون من عناصر الشباب ، فى كل ما تمثل من استمرارية للمستقبل ، بينما تدور المظاهرات الاخرى ، المنظمة عبر العالم ، الاسلامى خاصة ، وغيره ، فى جلسات سرية ، أو فى اطارات ضيقة ، وتختص بجماعة ضئيلة من الاختصاصيين ، ينهمك كل واحد من أعضائها فى مناجاة نفسه ، بدل اجراء الحوار مع غيره من المشاركين ، بينما يصبح عنصر الشباب أشد ما تحتاج اليه هذه المظاهرات لاجراء حوار حى ، مفتوح ، موسع ، خصب •

وكتب باحثون آخرون من ألمانيا الغربية ، فى صحافتهم • أن هذه الملتقيات تكتسى طابعا فريدا ، بما تمتاز به من دقة فى التنظيم ، وتنوع الآفاق التى ينتمى اليهـا الباحثون ، وحضور عنصر الشباب ، كما انها تحمل طابع الشمولية ، من حيث النقاط المطروقة والاقطار الممثلة •

أما الاستاذ الدكتور سالفاتورى بونو (Salvatore Bono) من جامعة بروجيا (Perrugia) بايطاليا ، فانه كتب بعد ملتقى ورجـلان،فى السنة الماضية ، مقالا أخذ صفحة كاملة من جريدة « الاوسرفاطورى رومانو »، اللسان الرسمى للفاتيكان، تناول فيه عرضا شاملا للملتقى الحادى عشر ؛ وذكر فى آخره البرامج الخاصة لفائـدة الولايات فى الجزائر ، منطلقا من أن أول هذه البرامج الخاصة كان مخصصا لورقلة بالذات

كما خصص الاستاذ فهمى هويدى ، رئيس تحرير مجلة العربى الكويتية حاليـا والمسؤول عن الصفحة الدينية فى جريدة الاهرام سابقا،مقالا فى هذه أخذ صفحـة

كاملة أيضا لخص فيه الملتقى العاشر فى عنابة وتكلم عن ميزة هذه الملتقيات وخصائصها بالنسبة لغيرها وعن صداها ومفعولها ·

وحتى فى اليابان ، فان جريدة « يوميورى سنبون » (Yomiori Sinbun) التى هى أوسع الجرائد انتشارا فى البلاد ( 7 ملايين نسخة يوميا )،قد نشرت مقالا وصفته بأنه ذو مغزى خاص حول الفتوى الصادرة بعنابة فى شأن عمال الافران العالية والذين يعملون فى مثل ظروفهم · وصدور هذا التقدير من بلد بلغ شأوا بعيدا فى التصنيع، مثل اليابان ، ينبئ عن مدى الاهتمام الذى تحظى به هذه الملتقيات ·

ويضاف الى هذا أن المراسل الدائم السابق لجريدة « لوموند » (Le Monde) فى الجزائر ، السيد بالطا ، الذى حضر ملتقي بجاية ، قد أشار هو أيضا ، اثر انعقاد الملتقى الثامن، الى « الصدى العالمى لهذه الملتقيات »، كما نشر الكاتب والصحافى المصرى المعروف الاستاذ أنور الجندى عدة مقالات فى جرائد ومجلات عدة ، ومنها فى مجلة دعوة الحق المغربية ··· ، والصحافى المصرى الكبير صبرى أبو المجد فى المصور ، والمرحوم صالح جودت فى المصور أيضا وعدة مجلات أخرى ، وغيرهم كثيرون فى عدة بلدان عربية واسلامية ، من علال الفاسى فى جريدة الرأى العام فى المغرب الى السيد عمر عبيد حسنة فى مجلة « حضارة الاسلام » فى سوريا ، والشيخ المجاهد الشماحى فى صحف يمنية ، والدكتور صفوان القدسى ، وزير الاعلام والثقافة فى سوريا،فى مجلة « المعرفة » السورية ، وغيرهم كثيرون ، وليس هذا بحصر ولا حتى شمول ·

وأخيرا ، أذكر أن طلبات عديدة تصل الى الوزارة من جامعات، وحتى من شخصيات، من أوروبا وأمريكا ، علاوة على العالم العربى والاسلامى عامة ، معربة عن رغبتها فى الحصول على الوثائق الكاملة لاعمال الملتقيات · وقد أبلغنا أن هناك دكتوراه دولة قد سجلت فى جامعة السوربون حول هذه الملتقيات ، ولم يجر الى الآن تحقيق صحة هذا النبإ · على أننا ندرك،ونقدر بطبيعة الحال ، نقاط الضعف المرتبطة بكل جهد انسانى ؛ وسنسعى دائبين للتغلب عليها ، من ملتقى الى آخر ، فذلك ما ينبغى أن تسعى اليه كل محاولة واعية وجدية ، وذلك ما تطمح اليه هذه الملتقيات ·

أجرى الحديث : **مولود عاشور**

## استــــــدراك



الدكتور عثمان أمين



الاستاذ محمد الصادق بسيس

جاء فى الكلمة التى كتبها السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، الوزير لدى رئاسة الجمهورية ، المكلف بالشؤون الدينية ، عن المرحوم الدكتور عثمان أمين ان الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور هو أمين عام مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والواقع انه رئيسه .

وقد تداركنا هذا عندما نقلت جريدة الشعب عن الأصالة المقال المذكور - ونؤكد مرة أخرى هذا التصحيح ونعتذر لكل من الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ، رئيس مجمع اللغة العربية ، والقراء الكرام .

## البقـــاء للـــه

وبالمناسبة أقامت وزارة الشؤون الدينية بالمركز الثقافى الاسلامى بالجزائر العاصمة يوم الاربعاء 15 نوفمبر 1978 م حفلة تابين للفقيد الدكتور عثمان أمين ، فيلسوف وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بمناسبة مرور ستة أشهر على وفاته .

كما أقامت حفل الاربعينية للمرحوم الشيخ الصادق بسيس ، الاستاذ بكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس ، يوم الاثنين 20 نوفمبر 1978 م ، بنفس المركز .

# بــــــلاغ
## حــــول الملتــقى الثــالث عشر للفكـــر الاســلامى

تعلن وزارة الشؤون الدينية أن الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامى سينعقد فى **عاصمة الهوقار تمنغست ( تامنراست ) من التاسع الى الخامس عشر شــــــوال 1399 ( الفاتح الى السابع سبتمبر 1979 ) للطلبة ( الجامعيين ) من الجزائر وغيرها .**

وقد دعى الى هذا الملتقى أساتذة جامعيون وبحاثة من القارات الخمس ، اى من العالم الاسلامى وغيره .

وستتحمل الوزارة ، فى اطار الملتقى ، نفقات الاقامة والنقل داخل التراب الوطنى .

ويطلب من المشاركين اسهام رمزى قدره خمسة وسبعون دينارا ، ويعفى منه الطلبة الآتون من خارج الجزائر ، جزائريين كانوا أو غيرهم ، والساكنون فى تمنغست .

وترسل طلبات المشاركة الى وزارة الشؤون الدينية ، مديرية البحوث الاسلاميــــة والملتقيات ، المديرية الفرعية للملتقيات ، 4 ، نهج تيمڤاد ، حيدرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية الغلاف .

وعلى كل مترشح أن يبعث مع طلبه شهادتين : دراسية وطبيــة وظرفــا ذا مقياس ( 16×21 ) يحمل عنوانه وطابع بريد .

وآخر أجل لقبول طلبات المشاركة هو 01 صفر 1399 ( 31 ديسمبر 1978 ) ، ويكون ختم البريد شاهدا على ذلك .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالآتى :

1) أهڤــــار تاسيـــل : أنجاد أمجاد .
2) هل افريقيا منطلق أو مجرد ملتقى لهجرات ، وحضارات ، وثقافات ؟
3) على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى : تقييم وآفاق .
4) الطفل فى عام الطفــــل .

منشــورات

وزارة التعليـم الاصــلى والشؤون الدينيــة



منشورات

وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية

صدر كتاب :

**الملتقى الثامن للفكر الاسلامي**

بالعربية في ثلاثة أجزاء

ويشمل سائر المحاضرات ، والتعقيبات ، والمناقشات

كما صدر كتاب :

**الملتقى السادس للفكر الاسلامي**

بالفرنسية في خمسة أجزاء

ويشمل أيضا سائر المحاضرات ، والتعقيبات ، والمناقشات


1393 22.10
1973 22.10

# COMMUNIQUE

## XIII[e] SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

Le Ministère des Affaires Religieuses organise à Tamanghast (Tamanrasset), capitale du Hoggar, du 09 - 15 chawal 1399 ( 1 - 7 septembre 1979 ) le XIII[e] Séminaire sur la Pensée Islamique, à l'intention des étudiants (d'Université) aussi bien d'Algérie que d'ailleurs.

Des professeurs (d'Université) et chercheurs des cinq continents, donc du monde musulman et d'ailleurs, y sont invités.

Les frais de séjour et de déplacement, à l'intérieur du territoire national, dans le cadre du Séminaire, seront pris en charge par le Ministère. Une contribution symbolique de soixante quinze dinars sera demandée aux participants. En sont dispensés ceux venant de l'extérieur du pays, algériens ou autres, ou résidant à Tamanghast.

Les candidats devront joindre à leur demande un certificat de scolarité ainsi qu'un certificat médical et une enveloppe (16 x 21) timbrée portant leur adresse.

Les demandes de participation doivent être adressées au Ministère des Affaires Religieuses, Direction de la Recherche Islamique et des Séminaires, Sous-Direction des Séminaires, 4, rue Timgad - Hydra — ALGER.

En prenant soin de préciser sur un coin de l'enveloppe la mention : «SEMINAIRE».

Le dernier délai d'envoi des demandes de participation sera le 01 safar 1399 (31 décembre 1978), le cachet de la poste faisant foi.

L'ordre du jour du Séminaire sera comme suit :

1) Ahaggar (Hoggar) Tassili : hauts faits et hauts lieux.
2) L'Afrique est-elle un point de départ ou un simple lieu de rencontre d'émigrations (respectivement : d'immigrations), de civilisations et de cultures ?
3) A la veille de l'avènement du XV[e] siècle de l'Hégire : bilan et perspectives.
4) L'enfant en « l'Année de l'Enfant »...

monde se confinaient dans le huis-clos, l'auditoire étant réduit à quelques spécialistes qui mènent des monologues plutôt que des dialogues, l'élément jeunesse étant ce qui leur manque le plus.

D'autres chercheurs ouest-allemands ont écrit dans la presse de la R.F.A. que ces séminaires, par la rigueur de l'organisation, la diversité des horizons dont viennent les chercheurs, et la présence de l'élément jeunesse, revêtent un cachet unique et en même temps une universalité, de par les thèmes qui y sont traités et les pays représentés.

Le professeur Salvatore Bono, de l'Université Perrugia, d'Italie, a consacré l'année dernière, après le séminaire de Ouargla, une page entière du célèbre « Osservatore Romano », organe officiel du Vatican, à un article de synthèse du 11e Séminaire, terminant par un compte rendu sur les programmes spéciaux des wilayas en Algérie, dont le premier avait été précisément celui de Ouargla.

Jusqu'au Japon où le journal au plus fort tirage du pays, le « Yomiori Sinbun », a publié une dépêche hautement significative de son point de vue sur la Fetwa faite à Annaba pour les ouvriers des hauts fourneaux et ceux qui travaillent dans des conditions semblables. Ceci, venant d'un pays hautement industrialisé, comme le Japon, donne toute la mesure de l'attention portée à ces assises.

Par ailleurs, l'ex-correspondant permanent du journal « Le Monde » à Alger, après le séminaire de Bidjaïa, auquel il a assisté, n'a pas manqué lui non plus de signaler la portée internationale de ces sémniaires (1).

Je noterai enfin que des demandes parviennent au Ministère, d'Universités et aussi de personnalités d'Europe et d'Amérique, en plus du monde arabo-musulman, qui désirent recevoir les actes intégraux des séminaires. Il y aurait même, nous a-t-on signalé, une thèse de doctorat d'Etat qui se préparerait en Sorbonne, sur ces séminaires, information qui n'a pas encore été vérifiée.

Nous sommes conscients naturellement des lacunes inhérentes à chaque effort humain et nous nous efforçons de les réduire de séminaire en séminaire. Ce doit être le propre de toute entreprise consciente et sérieuse et c'est là l'ambition de ces séminaires.

*(Entretien réalisé par Mouloud* ACHOUR)

(1) Paul Balta, in Le Monde du 18 avril 1974.

Je partage l'appréciation de ce rayon de renouveau, abstraction faite de la relativité quant à la rigueur des méthodes dans les «sciences humaines» ou non exactes et ce, malgré tous les progrès réalisés dans certaines de ces «sciences». Néanmoins, dans ce domaine, ces disciplines ont le droit légitime d'aspirer au rang de sciences et d'accomplir toutes les démarches leur conférant ce titre et cette légitimité. Et le domaine de l'islamologie en est un. Donc cette méthode revivifiante serait la bienvenue de notre point de vue, même si l'on risque de choquer par là certains « traditionnalistes » que nous mettons volontiers sur le même pied que les snobistes de tout changement, bon ou mauvais, et ce, selon notre fameuse image que nous avons répétée à maintes reprises : nous sommes partisans de l'authenticité dans l'ouverture, donc pour l'oxygène et la lumière, tout en gardant les assises de l'édifice contre les conservateurs immuables qui ne cessent de nous rebattre les oreilles par leurs appels à fermer portes et fenêtres au risque de nous étouffer et même nous aveugler, par le manque d'oxygène et l'obscurité permanente. Comme nous sommes contre les snobistes invétérés du changement surtout à contresens qui, au nom du 20e siècle, nous assomment, à l'instar de leurs opposés, par leurs appels au changement à tout prix non seulement à ouvrir portes et fenêtres mais aussi à faire sauter les toitures et les assises, nous exposant ainsi aux intempéries et à l'effondrement de l'édifice.

Donc, revenons à la dernière partie de votre question pour nous résumer et disons que la rhétorique est une bonne chose, mais n'est qu'une forme à laquelle il faut un contenu, lequel est l'essentiel. L'idéal serait par conséquent de réunir forme et contenu et toute méthode nouvelle, toute innovation, toute recherche ou investigation servant ce but ne peuvent être que bien vues par nous et recommandées vivement. Leurs auteurs ne peuvent qu'en être remerciés et encouragés à poursuivre leur démarche.

*Le moins qu'on puisse dire de ces séminaires est qu'ils sont l'une des plus importantes manifestations culturelles nationales. Qu'en est-il au plan international ?*

Sur le plan national, je m'en tiens à votre appréciation et je vous remercie pour l'encouragement. Sur le plan international, il me suffirait peut-être de rappeler trois ou quatre appréciations ou comparaisons du monde musulman et d'ailleurs.

L'ex-recteur de l'Université d'Al-Azhar, le docteur Fahham, répondant à une question de nos mass-media, après le 6e Séminaire tenu en 1972, sur la valeur de ces manifestations, fit de lui-même la comparaison entre les diverses réunions ou séminaires organisés dans le monde musulman et ces séminaires organisés par l'Algérie, disant à l'avantage de ces derniers qu'ils avaient quelque chose d'unique qui consiste à avoir comme auditoire la jeunesse dans tout ce qu'elle incarne de continuité pour l'avenir, alors que les autres manifestations organisées à travers le

aux étudiants pour cet intérêt. A titre d'exemple, je citerai celui, émouvant, du célèbre historien tunisien, le regretté Othmane el-Kaâk. Lors de l'excursion à El-Qala, au séminaire de Annaba, en pleine canicule de juillet, le maître devait passer les quelques moments réservés au repos debout entouré d'étudiants qui le harcelaient de questions, et ce, quelques heures seulement avant sa mort. Répondant à son compatriote et collègue le professeur Sadek Bessyès, qui l'invitait à prendre un peu de répit, il disait : « Le repos est pour la tombe ».(1)

Conférences et débats ne sont en réalité que la base, le stimulant à la réflexion approfondie, à la recherche personnelle, à l'investigation dans les bibliothèques et autres centres de recherches, pour élargir le champ de connaissances et surtout acquérir les méthodes, varier les sources et accumuler les moyens de comparaison et de jugement.

*Peut-on dire actuellement, Monsieur le Ministre, que la recherche scientifique et ce qu'on pourrait appeler la libération intellectuelle, soit réalisée ou en voie de l'être dans le monde islamique ?*

Optons plutôt pour le deuxième volet de l'alternative et, même pour ce point, être brutal avec nous-mêmes et dire que nous sommes en voie de nous y intéresser. Vous n'avez d'ailleurs pour cela qu'à comparer — sans pour autant tomber dans le masochisme ou l'auto-dénigrement — les conférenciers que vous avez entendus à Batna ou à d'autres séminaires, venant du monde musulman et ceux venant d'autres pays des cinq continents, quant à la méthodologie, quant à une certaine rigueur scientifique, je dis une certaine rigueur, parce que la rigueur scientifique, la fameuse probité intellectuelle et la non moins fameuse objectivité ne sont que très relatives, à des degrés divers dans cette relativité, et ce, dans tous les pays et à toutes les périodes de l'existence humaine, du moins jusqu'ici.

Toutefois, sans tomber à l'inverse dans l'optimisme béat, il faut dire que, compte tenu des vicissitudes du passé et des stagnations et régressions intervenues à chaque civilisation, on peut dire que le monde musulman a fait des pas non négligeables au début de cette voie vers la libération intellectuelle, la reprise de la démarche autonome vers une contribution originale et fructueuse à la progression de l'humanité.

Nous souhaiterions seulement un peu plus de célérité et de suivi dans cette démarche. Et c'est ce à quoi nous œuvrons par ces séminaires, même en provoquant parfois à dessein pour produire l'effet, le choc psychologique, dans ce sens.

*Nous avons cru déceler une atmosphère favorable au renouvellement des méthodes de recherche en islamologie. Croyez-vous qu'on soit sur le point de rompre avec l'analyse et l'exégèse traditionnelles, fondées surtout sur le commentaire et le recours à la rhétorique ?*

(1) "الراحة فى القبر".

Des philosophes, des psychologues, des sociologues ont été associés à chacun de ces séminaires et des sujets surtout philosophiques et sociologiques ont été étudiés à maints séminaires. Il y a eu même un point consacré exclusivement au rôle du penseur dans la vie nationale et internationale, c'est-à-dire face aux problèmes qu'affronte l'humanité dans son ensemble.

On peut en conclure par conséquent que les préoccupations universelles n'ont jamais échappé à notre attention depuis le 4e Séminaire et qu'elles ont figuré sous une forme ou une autre dans tous les séminaires suivants.

Nous avons parlé de philosophie tout court, de la philosophie des civilisations, vues par d'éminents philosophes de l'histoire, depuis les penseurs grecs jusqu'à Ibn Khaldoun, Toynbee (Angleterre), José Ortéga y Gasset (Espagne), Fustel de Coulange (France) et Mommsen (Allemagne). Nous continuerons à le faire dans l'avenir, la civilisation étant une œuvre humaine, chaque civilisation et chaque pays y apportant sa contribution, et à en tirer les leçons dans le cadre de notre reprise de la marche, en symbiose avec celle des nations avancées.

*En répétant volontiers que l'audition des conférences ne constitue pour les étudiants qu'une amorce à la réflexion personnelle et un point de départ pour l'effort de recherche, vous avez en quelque sorte exprimé la portée pédagogique de ces séminaires. Pourriez-vous nous développer cette idée ?*

En effet. Nous avons même précisé dans le texte d'invitation qu'il était demandé aux professeurs de ne pas dépasser un maximum de 30 minutes pour la présentation de leur communication. Le mot maximum y est même souligné trois fois. Dans le même texte d'invitation nous avons précisé qu'ils auraient toute latitude pour se rattraper pendant le débat de ce qu'ils n'ont pas pu inclure dans le texte de la conférence, les étudiants apportant infiniment plus d'attention aux débats qu'aux conférences, et tirant moins de profit de ces dernières qu'ils n'en tirent des débats, plus vifs et vivants, captant davantage leur attention.

Nous pensons, en fait, et je pense que ce devrait être la règle, que la conférence ne devrait servir que de stimulant et de point de départ, comme vous le dites, pour un débat fructueux, un échange vivant et direct qui laisse plus d'impact sur l'auditeur et, je pense, même sur le conférencier, ce qui incite à une recherche plus poussée sur le sujet en question.

Cette conception se fonde sur la demande des étudiants et étudiantes, et n'oublions pas que ces séminaires sont organisés à l'intention de ces derniers. Et leur soif de ces débats s'exprime par leur insistance à les poursuivre avec les professeurs en dehors des travaux, dans les internats et les cités universitaires, jusqu'à des heures avancées de la nuit, comme ils les poursuivent du reste même pendant les excursions. Je dois dire que beaucoup parmi ces professeurs sont très sensibles et reconnaissants

pays parmi les professeurs, les historiens, universitaires ou non, auxquels sont ouverts ainsi des horizons nouveaux, qui sont incités à se livrer à davantage de recherches et surtout avec plus de célérité.

Ce thème, du reste, depuis le 6e Séminaire, n'a cessé d'être abordé dans la région méditerranéenne et même en dehors. C'est ainsi qu'il a été traité en Tunisie, à Malte, à Baghdad, en France et dans d'autres pays européens ou extra-européens. Si nous avons été les premiers, pensons-nous, à aborder ce sujet, on peut à cela trouver l'explication dans le fait que notre pays a subi plus que tout autre les atteintes de falsification de l'histoire et ce, aussi bien de la part des adversaires d'hier que de celle des frères d'hier et de demain. Et, comme dit le poète arabe : « L'animosité des frères est celle qui fait le plus souffrir ».

Concernant la contribution réelle de ces travaux à l'entreprise de réécriture de notre histoire, j'estime personnellement qu'elle est de la plus haute importance, venant de divers horizons, apportant plusieurs versions, indiquant plusieurs sources et démarches méthodologiques. Je pense que nos professeurs, chercheurs et étudiants — moi-même en tout cas, ce dont je suis sûr — en ont tous profité et doivent en tirer le maximum d'enseignements pour entreprendre et mener à bonne fin ce que nous avons appelé l'entreprise de réécriture de notre histoire nationale.

*Au fil des séminaires successifs, l'observateur est amené à penser — à juste titre croyons-nous — que la connaissance de la Pensée Islamique ne constitue qu'un volet de la manifestation. Cette évolution (car ç'en est une) est-elle le fait d'une volonté délibérée d'élargir ces assises à la pensée humaine en général, susceptible d'intégrer dans l'avenir des domaines comme la philosophie, la psychologie et autres disciplines ?*

Effectivement, la Pensée Islamique est comme l'Islam bien compris et bien appliqué. Elle porte sur tous les domaines de la vie. Pas seulement l'au-delà, mais également l'ici-bas. Du reste, l'ici-bas et l'au-delà sont presque toujours liés dans les versets du Coran, en commençant naturellement par l'ici-bas, pour des raisons chronologiques et logiques. Dans le hadith, d'ailleurs, il est dit plusieurs fois en diverses versions que l'action et surtout l'acte de savoir est un culte.

Ceci dit, depuis le 4e Séminaire, nous n'avons cessé de lier les sujets proprement culturels ou religieux (au sens restreint du mot) avec ceux de la vie nationale et internationale dans son ensemble, dans le présent et l'avenir.

Ainsi, nous avons parlé de notre action en divers plans : de l'enseignement, de l'éducation ; des divers domaines économiques : de l'agriculture, de l'industrie, de l'énergie ; de domaines sociaux : de la famille, de la jeunesse, de notre émigration, comme nous avons étudié à chaque fois les diverses périodes de notre histoire, de l'histoire de la civilisation arabo-islamique et même de l'apport du patrimoine universel en général.

*S'agissant du premier thème, ainsi que des thèmes placés sous le même chapitre dans les précédentes rencontres, il y a lieu de penser que les apports de chaque conférencier peuvent répondre au souci actuel de l'Algérie de procéder à la réécriture de son histoire nationale. Peut-on connaître votre opinion sur la contribution réelle de ces travaux dans cette perspective précise ?*

Comme vous le dites, ceci s'inscrit effectivement dans ce contexte. Notre souci en incluant à la tête du programme de chaque séminaire un point se limitant à la région qui accueille la manifestation ou débordant à l'échelle nationale, comme ce fut le cas pour l'étude de certaines dynasties : rostomide, hammadite, zianide, lors de séminaires précédents, sur ce premier point, comme du reste en ce qui concerne le dernier (1), notre souci par conséquent est de donner la possibilité à tous d'élargir et d'approfondir la connaissance de l'histoire de notre pays. Cela se fait aussi bien par le biais des conférences données par les éminents professeurs invités, originaires des cinq continents, de religion, de culture et d'idéologie différentes, que par celui des débats qui s'ensuivent et des excursions d'études. Celles-ci sont en quelque sorte l'illustration de ce qui se dit dans la salle du séminaire, puisque nous visitons des vestiges historiques — ceci pour le passé — et des réalisations dans divers domaines de l'activité nationale — pour le présent.

Parmi les conférenciers, des professeurs d'universités spécialisés en histoire ont abordé l'étude de l'histoire de notre pays en diverses périodes depuis l'antéislam jusqu'à nos jours.

En plus de cette connaissance des éléments portant sur le fond, il y a aussi la forme, la méthodologie, qui consiste à connaître diverses démarches de recherche, les références bibliographiques, les sources de documentation... Tout ceci est aussi important pour nous tous, car cela nous donne des éléments de jugement et des moyens de comparaison.

Par ailleurs, les professeurs eux-mêmes nous disent qu'ils apprennent beaucoup les uns des autres et qu'ils sont surtout amenés à rectifier maints préjugés et idées préconçues aussi bien sur notre pays (son passé et son présent) que sur l'ensemble de la civilisation arabo-islamique. Je pense que cela sert la compréhension entre les hommes.

Ceci dit, vous vous souvenez bien que nous avons abordé ce thème de la réécriture critique de l'histoire de notre pays dans chaque séminaire, depuis le sixième où ce sujet figurait comme intitulé même de l'un des points de l'ordre du jour. J'estime que cela est valable également pour susciter l'attention de l'ensemble de ceux qui s'y intéressent ou devraient s'y intéresser dans notre

(1) Les premier et dernier points sont respectivement, pour le 12e Séminaire de Batna : « Aurès, hauts faits et hauts lieux... » et « Les relations de l'Algérie avec le reste du monde avant 1962... ».

## " UNE PORTEE CULTURELLE ET PEDAGOGIQUE " (1)

*Monsieur le Ministre, à la lumière des nombreuses communications présentées sur les différents titres composant l'ordre du jour de ce 12e Séminaire sur la Pensée Islamique, pourriez-vous nous dire si les assises qui viennent de s'achever ont répondu aux attentes et atteint l'objectif assigné à cette manifestation ?*

On peut dire, en effet, que dans l'ensemble, à travers les diverses communications, les conférenciers ont répondu dans une large mesure à ce que nous attendions d'eux, se rapportant à tous les points inscrits à l'ordre du jour du 12e Séminaire. Les uns ont exprimé leur point de vue et apporté leur contribution avec clarté et méthode, d'autres, même s'ils n'ont pas satisfait à ces exigences formelles, ont fourni des éléments d'information utiles et souvent très valables.

Toutefois, il y a lieu de signaler que, malgré une formulation détaillée à l'extrême (aussi bien dans le texte d'invitation que dans le programme) des points de l'ordre du jour, certains conférenciers ont semblé nettement n'avoir pas examiné ces thèmes. Cela concerne surtout le point relatif à la science et à la religion ; ils se sont épuisés à nous expliquer la science, avec force citations successives, énoncées dans un débit rapide. Or, notre intention était surtout d'examiner la position de la religion — n'importe quelle religion et notamment l'Islam et son Livre, le Coran — face à l'évolution d'aujourd'hui. Ceci n'a pas été suffisamment approfondi par certains orateurs, ce que révélait clairement non seulement leur texte, mais également leurs réponses aux questions posées par les étudiants.

Il n'en demeure pas moins que même ces derniers, qui ne se sont pas conformés à une méthode rigoureuse, ont apporté une contribution positive sous la forme de connaissnaces, un matériau à mettre entre les mains des méthodologistes qui sauront en tirer profit de façon rigoureuse et scientifique.

(1) Titre donné par le quotidien El-Moudjahid à l'entretien avec Monsieur Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM qu'il a publié dans sa livraison du 20 septembre 1978.

5°) Charger une équipe de chercheurs de dresser une bibliographie générale portant sur l'histoire des relations de l'Algérie avec tous les pays étrangers, à toute époque.

6°) Elaborer une étude portant sur la marine algérienne en s'appuyant sur la documentation éditée ou manuscrite pour éclaircir des questions telles que son organisation, sa construction, son équipement, son commandement et le rôle joué par cette marine en Méditerranée et dans l'Océan Atlantique.

7°) Introduire les relations extérieures de l'Algérie en tant que matière à part entière dans le programme de l'enseignement secondaire en l'approfondissant au niveau de l'enseignement supérieur.

8°) Mettre en relief le rôle de l'Algérie dans la défense du Maghreb-Arabe à l'époque moderne, refuter tous les mensonges et les calomnies dont a fait l'objet la marine algérienne de la part de certains Européens en s'appuyant sur les nombreux documents qui se trouvent dans les bibliothèques et archives en France, en Turquie, en Italie et en Espagne.

9°) Elaborer un programme d'activités communes entre le Ministère et le Centre National des Etudes Historiques à l'effet de traduire certains des nombreux ouvrages écrits par des historiens étrangers portant sur les relations de l'Algérie avec des pays européens et les Etats-Unis d'Amérique.

10 - Docteur Ercümend Kuran, *professeur d'Histoire à l'Université de Hacettepe - Ankara (Turquie)* »

11 - Docteur Oral Sander, *professeur-assistant à l'Université d'Ankara (Turquie)* »

1°) La Commission s'est penchée sur la question des relations de l'Algérie avec les autres pays à travers l'histoire, jusqu'en 1962.

2°) Elle considère, à la lumière des communications faites au Séminaire, que cet aspect de l'histoire de l'Algérie revêt une importance particulière, car il s'agit de l'instauration de l'administration du pays et de sa force militaire, terrestre et navale qui constitua un solide appui à la place qu'elle occupe sur le plan diplomatique et s'y maintint pendant des siècles surtout à l'ouest du bassin méditerranéen.

3°) Elle estime que les exposés et les études qui ont été présentés au Séminaire autour du cinquième ponit peuvent servir de modèles aux études qui seront menées ultérieurement sur ce sujet, à tous les niveaux et dans tous les cadres, pour faire connaître le passé de l'Algérie en tant qu'Etat indépendant jouant un rôle vital au sein de la Communauté internationale.

Aussi, a-t-elle convenu de formuler les recommandations suivantes :

1°) Procéder à un recensement préliminaire, au niveau du Centre National des Etudes Historiques, des documents et références existant dans les archives des pays étrangers et notamment les Etats-Unis, l'Espagne, la France, l'Italie, la Turquie et la Hollande.

2°) Entreprendre la collecte des documents relatifs au sujet à partir des ouvrages imprimés et manuscrits et les mettre à la portée des chercheurs qui s'intéressent à la politique extérieure de l'Algérie.

3°) Organiser au niveau du Ministère, en collaboration avec le Centre National de Recherches Historiques, un colloque spécial en vue d'élaborer un plan global et une méthode scientifique de travail dans ce domaine basés sur une répartition des tâches entre les deux organismes afin d'effectuer des études à caractère bilatéral telles que les relations Algérie-France, Algérie-Espagne, Algérie-Etats-Unis, Algérie-Turquie, etc...

4°) Réunir les moyens nécessaires pour collecter les échos écrits et sonores qu'a eu la Révolution Algérienne dans le Monde (livres, conférences, émissions radiophoniques, films, articles de presse, etc...) en vue de les conserver afin qu'ils servent de référence aux chercheurs qui étudieront l'histoire de la Révolution Algérienne sur le plan international.

## RECOMMANDATIONS

## DU XII[e] SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

(Cinquième Point)

## CINQUIEME COMMISSION

La cinquième Commission, réunissant les conférenciers ayant apporté une contribution au cinquième point de l'ordre du jour du XII[e] Séminaire sur la Pensée Islamique tenu à Batna du 04 au 11 chawal 1398 (07 au 14 septembre 1978) a tenu une séance de travail à laquelle ont participé :

| | |
|---|---|
| 1 - Monsieur Ismaïl Al-Arabi, *historien, directeur des études au Centre National des Etudes Historiques* (*Algérie*) | Président |
| 2 - Cheïkh Abderrahmane Djilali, *Historien* (*Algérie*) | Rapporteur |
| 3 - Docteur Yahia Bouaziz, *professeur d'Histoire à l'Université d'Oran* (*Algérie*) | Membre |
| 4 - Docteur Charles L. Geddes, *directeur de l'Institut Américain des Etudes Islamiques - Université de Denvers* (*U.S.A.*) | » |
| 5 - Docteur Emel Esin, *membre de l'Institut des Recherches Culturelles Turques - Istanbul* (*Turquie*) | » |
| 6 - Docteur Jordan Peev, *professeur d'Histoire à l'Université de Sofia* (*Bulgarie*) | » |
| 7 - Cheikh Mehdi Bouabdelli, *membre du Conseil Supérieur Islamique et du Centre National de Recherches Historiques* (*Algérie*) | » |
| 8 - Docteur Salvatore Bono, *professeur d'Histoire à l'Université de Perugia* (*Italie*) | » |
| 9 - Monsieur Ahmed Tawfiq Al-Madani, *Historien* (*Algérie*) | » |

enseigneront par ailleurs des différentes langues des peuples musulmans et assurant des études comparées entre différentes religions et doctrines philosophiques, et ce, dans le but de former des savants spécialistes et des missionnaires compétents. Elles devront admettre des étudiants de tous les pays musulmans et faciliter l'inscription des jeunes appartenant aux minorités musulmanes en pays non-musulmans.

*Dixièmement :* faire élaborer par des savants spécialistes des ouvrages bien conçus en langue arabe pour toutes les disciplines qui manquent de manuels dans cette langue telles l'économie islamique, les mathématiques et les techniques afin de répondre aux besoins de l'enseignement supérieur et secondaire, enrichir la bibliothèque arabe et permettre de nous passer des importations de l'étranger. Par sa réalisation, ce projet fera taire les adversaires de la langue arabe qui prétendent que nos universités et nos lycées sont colonisés intellectuellement et idéologiquement.

*Onzièmement :* faire élaborer par des spécialistes des ouvrages portant sur l'histoire de toutes les anciennes universités musulmanes, relatant leur évolution, l'action menée par chacune d'elles et signalant les savants qu'elles ont formés et les découvertes atteintes afin d'informer notre jeunesse de notre prestigieux passé.

a) La culture islamique authentique, doit constituer une matière fondamentale dans toutes les Universités des pays musulmans ainsi que dans les Universités musulmanes existant dans les pays à minorité musulmane.

b) La langue arabe doit constituer la langue d'enseignement fondamentale dans les Universités des pays musulmans d'expression arabe. Une grande importance doit lui être accordée par les pays musulmans d'expression non arabe et par ceux, à minorité musulmane, parallèlement à leurs langues nationales.

*Troisièmement :* chaque Université doit trouver le climat propice à sa stabilité et à son épanouissement.

*Quatrièmement :* l'Université doit répondre à toutes les exigences du développement dans les différents domaines culturel, économique et social et ce, en appuyant les études théoriques et de laboratoires par des travaux opérationnels.

*Cinquièmement :* l'Université doit disposer de tous les équipements nécessaires à l'université moderne, tels que, amphithéâtres, librairie et laboratoires.

*Sixièmement :* les professeurs doivent faire l'objet de respect, de considération et bénéficier d'un niveau de vie décent, afin que l'Université puisse disposer de cadres universitaires compétents ayant une conduite exemplaire.

*Septièmement :* un échange étroit doit être établi entre les différentes Universités des pavs musulmans, pour échanger leurs expériences dans tous les domaines et ce, par :

a) La multiplication de rencontres entre les cadres universitaires et la tenue de réunions périodiques.

b) L'échange de professeurs, d'informations, de correspondance, de thèses et de revues.

c) L'échange de documents, d'ouvrages, de manuscrits et de listes bibliographiques

*Huitièmement :* accorder aux problèmes matériels et moraux des étudiants toute l'attention qu'ils exigent en créant le climat propice aux études, en améliorant les conditions d'hébergement et de vie, en sauvegardant leur dignité et leur moralité, enfin en tenant compte de leurs aptitudes et de leurs vœux, tout en conciliant ces vœux avec les besoins du pays dans les domaines technique, économique, scientifique et culturel.

*Neuvièmement :* outre la nécessité de veiller à l'éducation religieuse dans toute université, institut ou faculté, il est impérieux de créer une Université Islamique dans chaque Etat musulman destinée à dispenser un enseignement spécialisé englobant la théologie et la législation musulmanes, les sciences de la tradition, les sciences spéculatives ainsi que les disciplines linguistiques. Ces universités

scientifiques intellectuels et réformateurs dans les pays islamiques d'où ils se propagèrent dans le monde. Après avoir assumé dignement sa mission à l'époque du rayonnement de la civilisation islamique, elle fut atteinte par l'inaction au cours des siècles de la décadence, suivis par l'époque coloniale et l'intervention étrangère visant à contrôler les destinées de la civilisation islamique. Avec la fin de cette dernière époque et l'avènement de l'ère de l'indépendance dans la plupart des pays musulmans, l'Université islamique reprend son chemin. Les universités se comptent par dizaines dans les différents pays musulmans ; cependant elles affrontent des difficultés inextricables qui entravent leur marche. Il s'avère nécessaire de penser et d'œuvrer pour leur faciliter la tâche afin qu'elles s'acquittent dignement de leur mission et qu'elles atteignent leurs objectifs.

Car à l'heure actuelle, elles oscillent entre l'authenticité et la modernité par la faute des courants intellectuels contradictoires qui les menacent d'atrophie, de déviations et de manque d'adaptation des programmes d'enseignement aux nécessités de la société moderne. Les universités nouvelles souffrent du manque de moyens matériels et moraux nécessaires pour la hisser au niveau idéal, tels que : cadres, professeurs qualifiés, bibliothèques, laboratoires et autres équipements nécessaires, de la faiblesse du niveau de certains étudiants, de la non-imposition de la langue arabe comme langue dominante dans toutes les facultés et institutions, de la tentative de l'isoler dans les facultés de lettres et des sciences spéculatives et son exclusion des facultés des sciences universelles. Ceci conduit à l'affaiblissement de l'idéologie islamique et des bonnes mœurs, et c'est ce qui donne une image étonnante du rôle de l'Université dans la formation d'hommes qui conduiront leurs nations à l'épanouissement et au renouveau, prenant en considération les réalités de leurs nations, liés à leur passé et à leur histoire en tant que trait d'union entre le présent et l'avenir.

Après ce bref aperçu concernant la dure réalité que vit aujourd'hui notre Université dans les pays arabes et musulmans, la Commission recommande aux pays musulmans, aux Ministères de l'Enseignement, à la Ligue arabe, à l'organisation de la Conférence Islamique et autres organisations musulmanes,

*Premièrement :* que l'Université s'attache à sa mission première qui consiste à préserver l'authenticité et la modernité. Avant sa création, l'idée de sa tâche doit s'inspirer du patrimoine universitaire islamique traditionnel et de l'expérience universitaire contemporaine des pays avancés. Ainsi, l'Université sera à même de sauvegarder son authenticité, tout en gardant son ouverture.

*Deuxièmement :* considérant que l'Islam et le Saint Coran qui a été révélé dans une langue arabe éloquente, constituent le bien sacré entre les différentes composantes de la nation musulmane, la Commission insiste auprès des Universités du monde musulman pour que leurs programmes soient basés sur deux points à savoir :

— Docteur Gharib Al-Djammal, *conseiller technique du Secrétaire Général, chargé des Affaires culturelles. Organisation des pays islamiques - Djeddah* »

— Docteur Mohamed Al-Aziz Lahbabi, *professeur à l'Université de Rabat - Maroc* »

— Monsieur Abderrahmane Chibane, *Inspecteur général au Ministère de l'Education Nationale - Alger* »

— Monsieur Mohamed Salah-Eddine Al-Mistawi, *journaliste, directeur et rédacteur en chef de « Majallat Al-Islam »* »

— Monsieur Ahmed Derrar, *ancien directeur de l'Enseignement Originel et député à l'Assemblée Populaire Nationale* »

— Monsieur Mohamed Chebouki, *professeur et membre de l'Assemblée Populaire de la wilaya de Tébessa - Algérie* »

— Monsieur Mohamed Ameziane Thaâlibi, *professeur à l'Institut de Technologie de Ben Aknoun - Alger* »

— Mademoiselle Khannatha bent Hachemi, *étudiante à l'Institut de la Langue et de la Culture Arabes de l'Université de Tlemcen Algérie* »

— Monsieur Hassan Adjailia, *étudiant à l'Institut du Droit et des Sciences Administratives de l'Université d'Alger - Ben Aknoun Alger* »

Les membres de cette commission ont tenu plusieurs séances et passé en revue toutes les conférences, débats et commentaires de tous les séminaristes concernant le point (4) : « Vue d'ensemble sur l'Université ». Ils sont arrivés à la conclusion suivante :

Les pays islamiques ont eu le mérite d'être les fondateurs du système universitaire dans le monde. La mosquée fut à l'origine de sa naissance. L'Université Islamique dispensait un enseignement total. Elle avait comme fondements : la Science, la Foi, la vertu, la bonne action gratuite de l'enseignement et la prise en charge de ses étudiants. Elle était en liaison étroite avec la société et s'occupait des problèmes de cette dernière et de leur résolution. Son rôle consistait également à mettre en valeur et développer les aptitudes de l'individu, se consacrant aux différentes disciplines de la science et de la connaissance.

Elle donna à l'humanité de grands savants qui avaient profondément marqué le développement de la civilisation mondiale. L'Université exerce toujours une influence sur le processus du progrès. Elle était le point de départ des mouvements

## RECOMMANDATIONS

## DU XII[e] SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

(Quatrième Point)

### QUATRIEME COMMISSION

— Son Excellence le docteur Fadhel Al-Djammali - Irak, *Professeur à l'Université de Tunis.* — Président

— M[r] Chehab-Eddine Yelles, *chercheur, Documentation Nationale. Présidence de la République - Alger* — Rapporteur

— Professeur Ahmed Hamani, *Président du Conseil Supérieur Islamique - Alger* — Membre

— Cheikh Mohamed Chedli Nayfer, *doyen de la Faculté de la Théologie « Zeïtouna » Tunis* — »

— Docteur Abdallah Inan, *historien et membre de l'Académie de la Langue arabe - Le Caire* — »

— Docteur Rifaât Il-Abid, *professeur à l'Institut des Etudes Sémitiques, Université de Leeds - Grande-Bretagne* — »

— Docteur Widad Al-Kadi, *professeur à l'Université Américaine Beyrouth* — »

— Docteur Jussi Aro, *professeur des Langues et Lettres Orientales Université de Helsinki - Finlande* — »

— Docteur Jens Philip Muller, *professeur de philosophie, Université Roskilde - Danemark* — »

— Docteur David Cowon, *professeur à la Section des Proche et Moyen-Orient, Institut des Etudes Orientales et Africaines, Université de Londres* — »

d) D'encourager le mariage, de le faciliter et de réunir toutes les conditions propices, conformément aux prescriptions de la législation musulmane dans sa simplicité.

e) Lance un appel aux pays musulmans afin de protéger matériellement la famille, dès sa constitution et au cours de son développement.

f) Demande également aux pays musulmans de protéger moralement la famille, en inculquant le respect des valeurs familiales, musulmanes, en employant tous les mass-média et les moyens d'éducation.

g) De prendre en considération les règles de la législation musulmane en élaborant les lois de la famille musulmane.

h) De réunir tous les moyens efficaces pour protéger la famille musulmane et notamment la jeune fille musulmane de tous les courants étrangers à la société musulmane.

i) De soutenir la famille, dans son sens le plus large, en renforçant les liens entre tous ses membres, ascendants et descendants, grâce à différentes actions de sensibilisation et d'orientation.

j) D'encourager la création d'associations, destinées à la protection de la famille, de les aider à régler les problèmes de la famille et ce, afin d'améliorer sa condition.

En conclusion, la commission considère à la lumière de ce qui précède, qu'il est nécessaire d'agir, en vue de promouvoir un modèle de famille musulmane, qui sauvegarderait les liens et l'équilibre entre les droits et les devoirs de chacun, si bien que ce modèle devienne l'expression fidèle de la capacité d'organisation sociale musulmane de conduire l'Humanité à son bonheur.

Que Dieu nous guide dans le droit chemin.

## RECOMMANDATIONS

Après examen des conférences et des débats concernant le troisième point du programme du 12e Séminaire sur la Pensée Islamique,

Considère à l'unanimité que la famille qui se compose des parents, des enfants et des grands-parents, est la cellule fondamentale de la structure sociale.

Que toute fissure en son sein et tout défaut de soutien moral et matériel à la famille, conduisent à sa dislocation, l'individu et la société en portent la responsabilité.

Tenant compte de l'enseignement tiré de la comparaison entre la situation de la famille musulmane et la situation générale faite par certains conférenciers dont le docteur Abdelkrim Saïtoh (Université de Tokyo) et le docteur Edward Shorter (Université de Toronto - Canada) qui ont fait état d'un abandon des freins moraux qui a ébranlé la situation de la famille.

### LA TROISIEME COMMISSION RECOMMANDE :

I - Sur le plan international.

a) D'œuvrer pour l'institution de lois assurant le maintien et la stabilité de la structure familiale en-général, sur la base d'un équilibre entre les droits et les devoirs, conformément à un consensus sur l'intérêt général, valable en tout lieu et en tout temps, et à la recommandation de l'Assemblée Générale des Nations Unies sur ce point.

b) Prendre toutes les mesures nécessaires susceptibles de consolider les fondements de la structure familiale et de la sauvegarder des courants extrémistes qui la menacent dangereusement.

II - Au niveau du Monde musulman.

a) De reconnaître à la femme, ses droits naturels conformément à la législation musulmane.

b) De considérer l'époux comme étant le premier responsable de la famille, chargé de la diriger et de la protéger moralement et matériellement, sans abus.

c) La mission de la femme étant en premier lieu de diriger le foyer, elle doit s'acquitter de ses tâches avec toute sollicitude à l'égard de tous les membres de la famille.

## RECOMMANDATIONS

## DU XII[e] SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

(Troisième Point)

## TROISIEME COMMISSION (3[e] Point)

## « LE DEVENIR DE LA FAMILLE »

Membres de la Commission :

| | |
|---|---|
| — Docteur Abdallah Abdelghani, *Vice-président de la Direction spirituelle des Musulmans d'Asie Centrale — Kazakhstan Tachkent* | Président |
| — Monsieur Mohamed Tahar Foudala, *Professeur d'arabe, chargé de mission à la Présidence de la République - Alger* | Rapporteur |
| — Docteur Abdelkrim Saïtoh, *Professeur d'économie à l'Université Takashuku - Tokyo.* | Membre |
| — Docteur Emre Kongar, *Professeur de Sociologie à l'Université d'Ankara* | » |
| — Docteur Abdelhalim Aouis, *Professeur-assistant à l'Université Mohammed Ibn Séoud - Ryadh* | » |
| — Docteur Fatma Al-Djami'i Lahbabi, *Professeur à l'Université Mohamed V - Rabat* | » |
| — Docteur Hakim Ben Atia, *Directeur du Conservatoire Municipal de Musique et d'Art dramatique - Alger.* | » |
| — Professeur Mustapha Aslaoui, *Conseiller à la Cour Suprême, responsable de la formation au Ministère de la Justice, Professeur conférencier à l'Ecole Nationale d'Administration* | » |

14°) Oeuvrer par tous les moyens au rapatriement des cadres scientifiques musulmans qui ont émigré vers des pays étrangers qui en tirent profit alors que la nation musulmane en a grand besoin.

15°) Encourager l'échange des ouvrages islamiques et scientifiques entre les pays arabes et musulmans, car le livre constitue l'un des meilleurs moyens d'échange entre la civilisation et de la réalisation de l'unité de pensée. Puis œuvrer à lever tous les obstacles dressés sur cette voie et cesser de considérer le livre comme un simple produit de commerce mais plutôt comme un instrument utile et nécessaire.

16°) Employer tous les moyens d'information en vue de susciter une prise de conscience religieuse et scientifique authentique ; lutter contre les déviations, les superstitions, les inepties, les maux sociaux et le relachement des mœurs et consacrer des émissions quotidiennes radiophoniques et télévisées pour la réalisation de cet objectif.

17°) Enfin, œuvrer à multiplier la tenue de conférences islamiques traitant des relations existant entre la religion et la science avec la participation de savants musulmans de toutes les disciplines.

Dieu nous guide à la vérité et au droit chemin.

*Pour la Commission,*

Docteur Abdelhalim Aouis

2°) Veiller à l'enseignement du texte exact du Qoran et encourager sa mémorisation à partir du cycle primaire de manière à ce que l'élève acquiert une large connaissance du Qoran et des Sciences Religieuses.

3°) Veiller à l'initiation des élèves par des méthodes modernes à la lecture exacte du Qoran de façon à ce qu'ils en apprennent le plus grand nombre possible de chapîtres durant le cycle primaire et maîtrisent l'exégèse d'un minimum de son contenu.

4°) Dispenser la culture islamique et les sciences religieuses aux élèves des deux cycles moyen et secondaire, selon un horaire suffisant qui ne doit pas être inférieur à deux heures comme cela est pratiqué dans la plupart des pays musulmans.

5°) Préserver les centres de culture et de sciences musulmanes spécialisés et œuvrer au développement des établissements qui préparent à l'admission dans ces centres tels que les instituts religieux, moyen et secondaire.

6°) Considérer l'éducation musulmane comme une matière fondamentale éliminatoire dans les différents cycles afin qu'elle ne soit pas négligée comme c'est le cas dans certains pays.

7°) Oeuvrer à l'application des décisions prises par l'Union des Universités Arabes en 1977 concernant la nécessité d'enseigner la culture musulmane au sein de l'ensemble des Facultés des Universités arabes.

8°) Enseigner l'histoire comparée des religions dans les Facultés Islamiques spécialisées.

9°) Echanger les expériences entre les Etats musulmans en matière de programmes de l'enseignement islamique et des moyens pédagogiques.

10°) Réanimer la fonction de la mosquée en tant qu'institution d'enseignement et d'éducation en vue de susciter une véritable prise de conscience chez le Musulman, au moyen de causeries sur la science et sur le Saint Qoran.

11°) Créer des facultés spécialisées dans les Sciences Religieuses dans les pays arabes qui n'en sont pas encore pourvus tout en garantissant leur dotation en effectifs nécessaires.

12°) Ecarter, dans le cadre général de l'environnement éducatif, toute personne connue par son athéisme, par son mépris des valeurs religieuses ou d'y inciter.

13°) Vulgariser les sciences et les présenter sous forme de livres attrayants dans un style accessible aux masses. Il en est de même pour le patrimoine scientifique islamique qui doit servir de trait d'union entre la science moderne et notre patrimoine scientifique.

11 - Docteur Eva de Vitray Méyérovitch, *Professeur à la Faculté de filles de l'Université d'Al-Azhar* (*Egypte*) »

12 - M. Moussa Abdelaziz (***étudiant***) »

13 - M. Mohammed Kefaf (***étudiant***) »

14 - M. Ounis Fergag (***étudiant***) »

A la lumière des communications présentées et des débats dont elles ont fait l'objet et en connaissance des éléments essentiels du thème « Religion et Science », notamment les Ecritures révélées et tout particulièrement le Qoran, la Science et la justesse de ce qu'en pensent aujourd'hui les diverses tendances : le croyant convaincu, le charlatan ou l'athée conscient ou inconscient qui prétend que la religion est incompatible avec la science et notre siècle, et s'interroge si la religion est un guide ou bien un garde-fou pour l'individu et la société ou ni l'un, ni l'autre !

Et considérant les éléments du thème et compte-tenu de la portée des communications, des débats et de l'esprit animant le Séminaire, les travaux de la deuxième Commission à laquelle a été impartie l'étude du second point, « Religion et Science », du XII[e] Séminaire sur la Pensée Islamique ont abouti à la formulation des conclusions suivantes :

1°) La science est la perception de la réalité des choses sur une preuve théorique ou expérimentale. L'Islam, tel qu'il a été formulé dans le Qoran et la Sunna authentique, signifie une entière soumission à la vérité universelle.

2°) Le parallèle entre la Religion et la Science confirme que cette dernière est un phare sur la voie de la véritable religion. Le Qoran, première source de la religion, s'accorde parfaitement avec n'importe quelle vérité scientifique ayant dépassé le stade théorique et susceptible d'être discutée et remise en question, outre qu'il exhorte tous les hommes à user de tous les moyens de pensée et de réflexion pour atteindre des vérités tangibles.

3°) La religion véritable est celle qui insuffle son esprit à la Science et permet à l'homme d'en récolter les fruits qui garantiront le bonheur de l'humanité. Il n'y a pas de société et de bonheur possibles en cet univers hors du cadre réunissant la Religion et la Science.

Partant de tout cela, la Commission formule les recommandations suivantes :

1°) Nécessité de renforcer la place de la religion dans le cœur et la raison et de dispenser l'instruction et l'éducation islamiques authentiques dans les différents cycles de l'enseignement.

## RECOMMANDATIONS

## DU XII<sup>e</sup> SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

(Deuxième Point)

### DEUXIEME COMMISSION

### LISTE DES MEMBRES DE LA COMMISSION

| | |
|---|---|
| 1 - Docteur Mohammed Saïd Ramadane, *Professeur à la Faculté de la Chari'a - Damas* | Président |
| 2 - Docteur Abdelhalim Aaouis, *Professeur à l'Université Imam Mohammed Ibn Séoud de Riad* | Rapporteur |
| 3 - Docteur Mohamed Rachidi, *Professeur à la Faculté de la Chari'a à l'Université de Djakarta (Indonésie)* | Membre |
| 4 - Touhami Negra, *Professeur à l'Université de la Zeïtouna (Tunisie)* | » |
| 5 - Docteur Souleiman Atès, *Professeur à la Faculté de Théologie de l'Université d'Ankara (Turquie)* | » |
| 6 - Docteur Saïd Chibane, *Professeur à l'Institut des Sciences Médicales à l'Université d'Alger* | » |
| 7 - Docteur Kheïr Allah Assar, *Professeur à l'Université de Annaba (Algérie)* | » |
| 8 - Docteur Mohammed Arkoune, *Professeur à la Nouvelle Sorbonne (France)* | » |
| 9 - Docteur In'âmullah Jân, *Professeur à l'Université Alqâid Al'A'dam de Karachi (Pakistan)* | » |
| 10 - Cheïkh Ahmed Hammani, *Président du Conseil Supérieur Islamique (Algérie)* | » |

Après avoir entendu les conférences et les débats concernant le premier point inscrit au programme ainsi que les questions posées par les étudiants,

— considérant la place qu'occupe la région des Aurès dans l'Histoire de l'Algérie, avant et après la conquête musulmane,

— considérant sa position géographique importante qui en a fait un trait d'union entre le Nord et le Sud d'une part, l'Est et l'Ouest d'autre part, et un foyer de résistance à travers l'Histoire depuis les temps anciens jusqu'à nos jours,

— considérant que les vestiges de « Tobna » 2e capitale islamique en « Ifriquia » et que les sépultures de l'illustre conquérant Okba Ibn Nafâa et de ses compagnons se trouvent dans cette région,

— considérant le lien étroit entre l'Histoire de la région de celle des Romains et des Byzantins, la commission recommande :

1°) D'œuvrer en vue de ressusciter le patrimoine local de la région des Aurès par une recherche et une vulgarisation des documents historiques, graphiques et archéologiques, dans le cadre de la reformulation de l'Histoire de l'Algérie à la lumière de leur contenu.

2°) Mettre en évidence les vertus de la population et les aspects de leur vie sociale et faire connaître les figures illustres de la région ainsi que le rôle qu'elles ont joué dans son Histoire et son évolution intellectuelle et culturelle.

3°) Faire connaître les évènements décisifs et mettre en relief le rôle joué par Okba Ibnou Nafâa, Moussa Ibnou Noceir, Tarek Ibnou Ziad et autres dans l'implantation de l'Islam et de sa civilisation dans cette région.

4°) Accorder au mausolée d'Okba l'importance qu'il mérite en tant que monument islamique le plus ancien et le plus grand dans notre pays, le restaurant, l'agrandissant et lui adjoignant une institution scientifique en hommage à la mémoire du grand martyr.

5°) Accorder de l'intérêt à la résistance armée des populations de la région à travers l'Histoire contre les envahisseurs, notamment pendant les périodes romaines et byzantines, et réécrire l'histoire de cette résistance en s'appuyant sur les nombreux documents et vestiges qui se trouvent dans les bibliothèques et musées du sud-Ouest de l'Europe, notamment en Italie.

6°) Accorder toute l'importance voulue aux événements de la grande Révolution du 1er Novembre 1954 dont la première étincelle a jailli de cette région en recueillant des témoignages de la bouche même de ceux qui ont vécu ces événements et qui sont encore en vie afin de mettre en relief l'importance du passé et du présent de la région des Aurès.

# RECOMMANDATIONS

## DU XII$^{e}$ SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

(Premier Point)

## RECOMMANDATIONS DE LA PREMIERE COMMISSION

La première commission chargée d'étudier le premier point de l'ordre du jour du Séminaire s'est réunie en présence de ses membres :

— Monsieur El-Mehdi El-Bouabdelli, chargé de mission, membre du Conseil Supérieur Islamique et du Centre National des Etudes Historiques, Alger.

— Docteur Yahia Bouaziz, professeur d'Histoire à l'Institut des Sciences Sociales. Université d'Oran.

— Docteur Wilferd Madelung, professeur à la Section des Langues et des Civilisations du Proche Orient, Université de Chicago.

— Docteur Brahim Harakat, professeur à la Faculté des Lettres, Université Mohamed V, Rabat (Maroc).

— Monsieur Mustapha Aslaoui, membre du Conseil Suprême, Ministère de la Justice, Alger.

— Professeur Abderrahmane El-Aggoun, professeur, Ministère de l'Education, membre du Conseil Supérieur Islamique, Alger.

— Docteur Abderrachid Mostefai, professeur à l'Université d'Alger.

— Madame Assila Fatiha, étudiante à la Faculté des Sciences Biologiques, Université de Constantine.

— Monsieur Abdelkrim Boulahbib, étudiant à l'Institut des Sciences Sociales, Université de Constantine.

5°) Ayant passé en revue les relations de l'Algérie avec le reste du monde, à travers le passé, en dénonçant les manipulations et les falsifications, en rétablissant, le cas échéant, la vérité avec méthode, objectivité et probité, il vous est apparu, en fin de compte, que la place qui lui revient dans l'Histoire, à travers les âges, est enviable.

Notre gratitude vous est acquise, de même qu'à Monsieur le Wali et ses collaborateurs, Monsieur le Commissaire du Parti et les Cellules locales, pour les soins et la bienveillance dont les uns et les autres se sont ingéniés à entourer de bout en bout notre présent Séminaire.

Ville et habitants d'Arris, combien avons-nous évoqué à votre contact les martyrs et les bombes, les combattants et les envahisseurs.

Mais gloire est restée en définitive au peuple et aux cîmes légendaires !

Et vous, Ichmoul et Barika, qui n'avaient pas hésité à lever les armes, hommes et femmes, isolément ou en groupe, avec cet esprit de sacrifice et d'abnégation hérité de vos ancêtres !

Oulad Moussa, Medghacen, Tobna ! Combien le pèlerinage à vos sources est, en vérité, revigorant et immunisant !

Me tournant maintenant vers nos étudiants, je les convie à l'avenir à plus de discipline afin que les vagabondages inconsidérés dans les couloirs ne deviennent pas une habitude et une mode. Qu'ils respectent aussi avec plus de scrupules le bien d'autrui pour que ne se répètent pas des incursions à couleur de rapines, indignes d'étudiants et plus encore d'étudiants se disant musulmans (1).

Autrement nous serions contraints, bien malgré nous, de recourir à la manière forte, en la faisant précéder, toutefois, d'un avertissement salutaire.

Salut et à nous revoir au cœur du Sahara, au pays des palanquins et des tapis, sur la Route de l'Unité Africaine qui efface les clivages et les différences ; auprès des hommes masqués et de leurs gravures rupestres, au fief des méharis qui sillonnent le désert telles des vedettes sur l'immensité des mers. Vers les auteurs de prodiges, au pied de ces rocs indomptables où tant de conquérants se sont brûlé les ailes, à la rencontre des hommes tolérants et ouverts sauf pour le prosélytisme missionnaire et autres menées subversives, à Tamanghast (2) du Hoggar, capitale des Touaregs !

Que le salut de Dieu et sa bénédiction soient sur vous.

---

(1) Un seul cas s'est produit à Ghoufi . une incursion dans un jardin.

(2) Orthographe exacte de Tamanrasset, selon la prononciation locale, qui, seule, fait foi.

Il est clair que vous vous êtes posé ces questions dans une démarche qui s'est efforcée de cerner autant les maux dont elle est accablée que les tentatives de tout bord visant à sa désintégration, et d'en préconiser la parade et les remèdes.

Votre opinion unanime a été que la famille était coupable envers elle-même et qu'elle creusait sa propre tombe en se confinant dans une attitude inconsciente et passive !

N'est-elle pas la première cellule et le noyau de la nation, la protectrice et la garante des générations ? Son effondrement ne constituerait-il pas le mal suprême ? Ne s'agirait-il pas là, d'un complot contre la base de toute société et de la communauté humaine tout court ?

Comble d'imposture : c'est au nom de la liberté que l'on souhaite sa mort, à travers une campagne de dénigrement et de sape à l'échelle mondiale, persistante et insidieuse.

4°) L'Université, avez-vous dit, est enseignement et éducation et non point obscurantisme et abêtissement. Creuset où se forgent les vertus de pondération et de discipline, elle se doit de faire front au désordre qui tend à être le critère et la mode et ne vise pas moins qu'à son éclatement et à son écroulement.

Pour avoir suivi les traces de son évolution depuis Babylone, vous avez convenu — non sans tristesse — que le savoir qu'elle prodigue de nos jours fait songer de plus en plus à ces fleurs fânées et flétries qui ont perdu éclat et parfum.

Il vous incombe d'y traquer le divertissement et le jeu, la paresse et l'oisiveté, la dissolution des mœurs aussi bien dans l'amphithéâtre que dans le campus, en toute fermeté et autorité, pour redonner à l'Université sa vocation première et son rôle primordial dans la formation intellectuelle et l'édification.

Il est temps de jeter un cri d'alarme salutaire, d'appeler à la vigilance la plus instante, même si cela peut susciter vacarme et protestation.

Que l'Université revienne au plus vite aux normes et aux vertus qui ont fait sa grandeur et sa fierté et que soient éloignés de son enceinte les fauteurs de troubles et les brebis galeuses.

Qu'elle redevienne, à travers le monde, le guide, l'éclaireur et le maître ! Son devoir est plus que jamais de défendre, avec une persévérance et un soin accrus, les valeurs qui doivent la réintégrer, sans défauts et sans taches, dans sa vocation ennoblissante de rempart et de recours.



# « UN CRI D'ALARME » (1)

par

Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM,
*ministre auprès de la Présidence de la République, chargé des Affaires Religieuses*

Au Nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux.

Eminents Professeurs,

Vous voici arrivés à la fin de vos travaux au cours desquels vos efforts et votre sollicitude constante auront tendu — dans la pleine conscience de votre mission — non pas à ranimer de vains et vieux regrets, mais, tout contraire, à entonner un véritable hymne à la vie !

1°) En dévoilant à l'Aurès son passé, en jetant l'éclairage sur ses annales oubliées, vous avez tenu à en fouiller le moindre chapitre pour arriver à la conclusion que les riches heures de cette contrée, tout en constituant sa fierté, pouvaient lui être, à l'occasion, un précieux stimulant.

2°) Vous avez proclamé que la science corroborait la religion et qu'elle en était l'alliée dans une symbiose où chacune conservait néanmoins sa fonction et son rôle spécifiques. Se soutenant mutuellement, chacune d'elles serait incomplète sans l'apport de l'autre et les liens qui les unissent sont étroits au point que la science sans la religion ne peut être qu'errance, comme la religion sans la science ne peut être que légende !

3°) Vous vous êtes penchés sur le problème de la famille pour savoir si elle surmonterait sa crise actuelle ou si elle courait à sa perte. Quels lendemains attendent cette institution ? Quel sera son destin ?

(1) Allocution de clôture du 12e Séminaire sur la Pensée Islamique, à Batna le 14 septembre 1978.

En dépit du grand soutien dont a bénéficié la résolution, elle fut votée devant la commission des affaires étrangères où elle resta lettre morte. L'importance du débat et de la résolution ne réside pas dans l'accomplissement d'un changement de la politique officielle, mais plutôt dans la reconnaissance par un grand nombre de représentants du peuple américain que la politique des Etats-Unis doit être favorable à l'indépendance du peuple algérien et de tous les peuples sous domination coloniale. Il faut rappeler que notre gouvernement n'est pas un gouvernement ministériel dans lequel les politiques d'une administration peuvent être changées par le congrès ou bien ce dernier peut provoquer la chute de l'administration De ce fait, la résolution du Sénateur Kennedy, même si elle était passée, n'aurait pas pu directement influencer la politique du Président Eisenhower et du Secrétaire d'Etat Dulles. Néanmoins, nous avons bien remarqué un imperceptible changement de ton dans les documents qui ont suivi les débats car il y a eu apparemment un durcissement d'attitude envers la France. Il y a eu également des signes d'approbation marqués dans les efforts ultérieurs du Président De Gaulle pour trouver une solution satisfaisante à la " situation algérienne " surtout si elle devait aboutir à l'indépendance de l'Algérie.

Cela avait dû être une satisfaction particulière pour le nouveau Président John F. Kennedy que d'avoir été lui-même au pouvoir à la date de l'indépendance de l'Algérie, le 5 Juillet 1962, et en tant qu'avocat de longue date du mouvement d'indépendance, il fut l'un des premiers à reconnaître le nouveau gouvernement et le nouvel Etat.

Cinquièmement enfin, il faut noter la prise de conscience du fait que la France a toujours été et reste l'alliée des Etats-Unis, car ce fut la France qui nous a aidés dans notre propre guerre révolutionnaire et nous ne devions pas par conséquent troubler cette longue amitié en contestant son refus infléxible d'accorder l'indépendance au peuple algérien. Il est à remarquer que les Etats-Unis, que ce soit officiellement ou non, n'ont pas cessé de condamner l'effusion de sang et les représailles qui ont caractérisé à ce point votre combat et les représentants officiels ont maintes fois exigé l'arrêt de la guerre afin qu'une solution juste et pacifique puisse être trouvée entre le gouvernement français et les représentants élus du peuple algérien.

En opposition avec la politique officielle de l'administration que je viens d'esquisser, certains membres du Sénat américain étaient opposés aux agissements et attitudes des Etats-Unis et de la France. L'un de ces critiques résolus était l'ancien sénateur et défunt président John F. Kennedy. Le 2 Juillet 1957, deux jours à peine avant la célébration de notre propre indépendance, le sénateur Kennedy déposa une résolution demandant un changement de la politique des Etats-Unis vis-à-vis de la Révolution algérienne annonçant ainsi un débat très long et très intéressant au sein du Sénat. Dans son allocution (que je regrette ne pas pouvoir vous lire ici aujourd'hui, faute de temps) le Sénateur Kennedy a déclaré que vu les moyens révolutionnaires qui ont servi de base à la constitution des Etats-Unis, notre politique devra consister à soutenir l'indépendance du peuple algérien et non à l'entraver, au risque de voir cette politique entraîner la perte de l'amitié de la France.

La France, a-t-il ajouté, en déployant des troupes de quatre cent mille hommes en Algérie et en dépensant d'énormes sommes d'argent et de matériel de guerre dans ses tentatives de réprimer la révolte, était elle-même en train d'affaiblir l'alliance atlantique si bien que le soutien des Algériens par les Etats-Unis ne pouvait en lui-même porter un plus grand préjudice à l'OTAN.

Avec l'aide de quelques autres membres du Sénat, Monsieur Kennedy déposa sa résolution dont voici un extrait :

« Le Président et le Secrétaire d'Etat sont, par la présente, autorisés et vivement encouragés à apporter la contribution des Etats-Unis aux efforts déployés, que ce soit par l'intermédiaire de l'OTAN ou par celui des bons offices du Premier Ministre tunisien et du Sultan du Maroc, pour parvenir à une solution qui reconnaîtra la personnalité souveraine de l'Algérie et établira la base pour un règlement mutuel avec la France et les pays voisins ».

En tenant compte de tous ces éléments, il nous est donc possible d'examiner brièvement quelles semblent être les cinq raisons majeures qui ont poussé le gouvernement des Etats-Unis à apporter son aide à la France dans ses efforts pour mettre fin à la guerre de libération algérienne et maintenir son autorité sur le pays.

Premièrement, avec l'aide des Etats-Unis et de la Grande-Bretagne, la France était devenue l'un des membres les plus importants et l'un des défenseurs les plus fermes de l'Organisation du Traité de l'Atlantique Nord, une organisation destinée à préserver l'Europe de l'Ouest de l'empire communiste et des visées de l'Union Soviétique. On considérait que si les Etats-Unis venaient à appuyer ou à encourager les nationalistes algériens, ce serait un affront pour la France et par conséquent cela risquerait d'affaiblir sérieusement l'alliance de l'OTAN.

Deuxièmement, il a été réaffirmé à maintes reprises par le représentant américain aux Nations-Unies et en France même que le conflit franco-algérien était une affaire strictement intérieure étant donné que l'Algérie avait été absorbée au sein de la métropole française. Il y avait deux problèmes : le premier était qu'un pays ne devait pas s'ingérer dans les affaires intérieures d'un autre Etat (surtout si cet Etat était une puissance amie). Le second était que la France avait souligné l'importance qu'avait l'Algérie pour elle sur les plans économique et stratégique.

En conséquence, dans le cas où la France serait forcée de quitter l'Algérie, quelle y soit obligée par les Algériens eux-mêmes ou en raison d'une pression extérieure, elle en sortirait matériellement affaiblie, ce qui affaiblirait l'alliance Atlantique

Troisièmement, un grand nombre de hautes personnalités officielles s'inquiétaient sérieusement car dans le cas où la France aurait été obligée de se retirer de l'Algérie, cette dernière, n'ayant pas les moyens militaires ou psychologiques d'assurer sa propre protection, se retrouverait sous l'influence de l'Union Soviétique ou du bloc communiste collectif. Et ceci était inadmissible dans l'optique de la "politique d'endiguement", lorsqu'on sait l'importance stratégique de l'Algérie dans le bassin méditerranéen.

Quatrièmement, les quelques un million et demi de français chrétiens qui résideraient en Algérie parmi une population musulmane bien plus importante suscitaient une inquiétude réelle, quoique sans fondement. Bien que ce ne soit pas explicitement déclaré dans les documents actuellement disponibles, il semble y avoir un préjugé bien fâcheux dans la fausse croyance selon laquelle il n'est pas possible que les Chrétiens et les Musulmans cohabitent et collaborent dans la cordialité.

Mes remarques sont par conséquent basées sur des documents incomplets. Mais je ne crois pas que les documents qui seront publiés à l'avenir viendront contredire ce que j'avance aujourd'hui.

À l'époque de la Révolution algérienne, il y avait aux Etats-Unis une faible connaissance ou peu de compréhension au sujet de l'Algérie ou de la situation algérienne. Ceci semble avoir été particulièrement vrai parmi les plus hautes personnalités du gouvernement aussi bien au sein de l'Exécutif que du Congrès.

En voulant simplifier au maximum la situation, j'attribuerai ce manque de compréhension et d'intérêt à deux facteurs principaux : premièrement, avant la seconde guerre mondiale, les Etats-Unis étaient un pays isolationniste témoignant peu d'intérêt dans les événements extérieurs à la sphère occidentale et ne souhaitant pas être impliqués dans les affaires extérieures, et, deuxièmement, l'Algérie avait été partie intégrante de l'empire français pendant plus d'une centaine d'années et les Etats-Unis se souciaient peu des territoires colonisés par les puissances étrangères amies.

Avec leur entrée en guerre en 1941, les Etats-Unis se sont vus obligés d'occuper un rôle de puissance mondiale, tâche pour laquelle leurs dirigeants n'étaient pas préparés. Lors du déclenchement de la guerre de libération, il y avait quelques citoyens qui de par leur ferme conviction que les peuples opprimés ont droit à la révolte contre le régime colonial, estimaient que le peuple algérien devait s'autodéterminer. D'autres étaient horrifiés par les pratiques répressives des colonialistes français et des forces armées qui tentaient de réprimer le nationalisme algérien. Il est impossible de juger quel a été l'effet que ces individus et leurs compte-rendus avaient eu sur le peuple américain.

On peut toutefois dire sans hésitation qu'ils n'eurent aucune espèce d'influence sur les principaux responsables des Etats-Unis. En 1952, le général Dwight D. Eisenhower, l'ancien commandant en chef des Forces Alliées durant la guerre et héros national, fut élu président des Etats-Unis. Durant la plus grande partie de son administration, John Foster Dulles, un homme très intelligent mais peu clairvoyant, avait servi comme secrétaire d'Etat (ministère des Affaires Etrangères). Par inclinaison et pour raison de santé, le président Eisenhower a dû confier la poursuite des affaires étrangères à Monsieur Dulles.

Sans nul doute, les deux hommes étaient également convaincus de la nécessité d'aider la France à reprendre son rang de puissance mondiale et, objectif tout aussi important, d'endiguer l'Union Soviétique et le communisme international. Cette "politique d'endiguement" était prépondérante dans les relations extérieures des Etats-Unis au cours des années 1950 et certainement un facteur déterminant dans les relations des Etats-Unis avec les peuples du Proche-Orient et d'Afrique du Nord.



# LA POLITIQUE DES ETATS-UNIS D'AMERIQUE A L'EGARD DE LA REVOLUTION ALGERIENNE

par le Professeur Charles L. GEDDES
*Directeur de l'Institut des Etudes Islamiques, Université de Denver (Colorado) (U.S.A.)*

La caractéristique la plus dominante de la politique extérieure des Etats-Unis depuis la seconde guerre mondiale a consisté peut-être en son illogisme Cet illogisme a été particulièrement notable dans leurs relations avec les peuples et pays du Proche-Orient et d'Afrique du Nord. Ainsi nous trouvons, selon des informations privées, que les Etats-Unis étaient impliqués en 1952 en appuyant la révolte menée par le groupe des officiers libres en Egypte, mais, seulement six années plus tard, ils refusaient d'accepter le principe de l'autodétermination au peuple algérien.

Etant donné que les Etats-Unis se sont constitués à partir d'une révolution contre le joug colonial, il est évidemment étonnant qu'ils n'aient pas accepté le même principe en ce qui concerne votre propre lutte contre la domination étrangère.

Le but de ce bref exposé est d'examiner cette attitude. Durant des années, j'ai été particulièrement intéressé par les fluctuations de la politique et de l'attitude des Etats-Unis (et ici je fais allusion simplement à la politique officielle) envers les pays du Proche-Orient.

L'un des thèmes sélectionné cette année pour le Séminaire sur la Pensée Islamique — Les relations entre l'Algérie et le reste du monde avant 1962 — m'a finalement poussé à examiner la politique des Etats-Unis vis-à-vis de la Révolution algérienne. Je dois vous informer qu'à cause de la " loi des vingt cinq ans " (avant la période d'expiration durant laquelle la plupart des documents ne peuvent être consultés), mon enquête a été essentiellement basée sur des documents publiés par le Département U. S. et les journaux du Congrès.

(1) voir : H. Rashdall : **Les Universités en Europe au Moyen-Age.** Ed. F.M. Powicke and A.B. Emden. Vol. 1 (Oxford 1936). A.B. Cobham : **Les Universités du Moyen-Age (Londres 1975).**

(2) revoir : P. Kibre : **Les nations dans les Universités du Moyen-Age** (Cambridge mass... 1948).

(3) C'est-à-dire le nom sous lequel étaient connues les Universités européennes avant qu'elles ne fussent appelées universités. Voir : Rashdall : **Les Universistés en Europe au Moyen-Age** (source citée au n° 1).

(4) Abdallah Fayadh : **Les diplômes d'Etudes chez les Musulmans** — Bagdad 1967, pp. 37, 105, 110.

(5) Voir la source précédente, pp. 21 - 23.

(6) Comparer Rashdall : **Les Universités européennes au Moyen-Age.** (source citée au n° 1). Tome 1, pp. 221, 231, 278, 284.

(7) Rashdall : La source précédente. Tome 1, p. 353

(8) voir A. Guillaume : **Philosophie et théologie dans le patrimoine de l'Islam** (1re édition). Ed. T. Arnold and A. Guillaume (Oxford 1931) **p. 244.**

(9) Guillaume : source précédente. p. 244, commentaire n° 1.

(10) revoir : L. Halphen : **A travers l'histoire du Moyen-Age** (Paris 1950), p. 304. **Encyclopédie britannique** (11me édition - 1910). S.V. Bachelor.

(11) Bibliothèque de l'Université de Cambrige. Manuscrit nw OO 115.

(12) Bibliothèque Souleimanïa. Recueil Lalili. Manuscrit n° 1765.

(13) Bibliothèque Populaire. Manuscrit n° 5068. Revoir l'article de Salah Eddine el-Moujid **diplômes oraux dans les vieux manuscrits**, publié dans la revue l'Institut des Manuscrits Arabes (1955), p. 245. Voir également G. Vajda : **Certificats de lecture et de transmission dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris** (Paris 1956), p. 48.

(14) La Bibliothèque Souleimanïa. Recueil de Faidallah Manuscrit n° 543. H. Reiter a publié le texte de ce diplôme dans son artice : **Autographs in Turkish librairies** in Oriens. VI (1953) pp. 84 - 86.

(15) voir mon article (en association avec mon collègue M.J.L. Young) qui contient le texte complet de ce diplôme avec sa traduction en langue angaise : **An Early Eighteenth - century Ijazah issued in Damietta** in le muséon vol. 87 (1974), pp. 445 - 465.

16) Salah Eddine El-Mounjid : Les **diplômes oraux dans les vieux manuscrits** (source citée au nw 13) p. 232. Comparer également : G Vajda · **L'encycopédie de l'Islam** (2me édition) S.V. Ijâza,

tois dont l'une avant la date précitée. Ecrit par Zeid Ibn El Hassan Ibn Zeid El Hindi en l'an 575. «Louange à Dieu, que sa bénédiction soit sur la plus généreuse de ses créatures El-Moustapha».

Le manuscrit du livre « Les écoles des traditions » de Hamd El Khattabi, conservé à la bibliothèque Faidh Allah d'Istamboul (14) comprend un diplôme daté de 556 (1160 de l'ère chrétienne) où l'on retrouve l'expression "bihaqi riouayatih". Avec lecture de Abou El Fadhl Ahmed Ibn Salah El Djili en 556 à Baghdad avec l'autorisation d'Erraouyani précité, avec *le droit de transmission* de El Balkhi précité également qui rapporte de Mossannif...".

Le manuscrit n° 591 conservé à la bibliothèque Ghazi Khesrou Bek de Sarajevo (Yougoslavie) comprend le diplôme de Ibn Hammat Edimechki qui lui a été délivré par le juriste égyptien Ibn El Mait le 10 du mois de ramadhan année 1134 (1721 de l'ère chrétienne). On y retrouve l'expression "bihaqi erriouaya" comme suit :

"Je la rapporte de mes maîtres notamment le savant de son époque, l'unique de son temps. Le sceau des chercheurs, Ali Ibn Mohammed Echebramelsi El Malik avec le droit de transmission de Nour Ali El Kirafi qui rapporte de Jalal Essiouti".

Il apparaît de ce qui précède que le plus ancien diplôme connu par nous et qui contient l'expression "bihaqi erriouaya" remonte à l'année 1147 de l'ère chrétienne (manuscrit de Cambridge) alors que le terme "baccalaurions", qui désigne le titulaire du diplôme universitaire, n'a pas commencé à être usité en Europe, comme nous l'avons dit, avant l'année 1231. Il est donc possible que le mot baccalauréat, utilisé dans les universités européennes, soit dérivé de l'expression arabe "bihaqi erriouaya" qui a été employée dans les diplômes d'études islamiques depuis 1147 au moins. Si nous considérons cette possibilité parmi les autres traits de ressemblance importants, sur lesquels nous avons attiré l'attention précédemment, il est clair que les universités européennes ont été créées sur le modèle des universités islamiques qui les ont précédées.

Les écrivains européens ne se sont pas beaucoup intéressés à l'étude des diplômes d'études islamiques. Ils n'ont pas, non plus, accordé à celle-ci l'intérêt qu'elle mérite (16). Il est possible que l'approfondissement de l'étude de cette partie importante de documents fournira une lumière sur les relations entre les établissements d'études supérieures islamiques anciens et leurs semblables en Europe chrétienne au Moyen-Age. Il prouvera de même que les établissements d'études islamiques ne furent pas seulement les prédécesseurs de ceux d'Europe mais également des modèles originaux sur lesquels ont été tracés les universités européennes chrétiennes.

En conclusion et sans vouloir prétendre que notre exposé soit parfait, nous souhaitons qu'il fut un commencement et un appui en vue d'une solution des problèmes concernant les relations entre les établissements d'études supérieures islamiques et chrétiennes au Moyen-Age.

L'expression «bihaqi erriouaya» est reproduite deux fois dans un diplôme situé dans un autre manuscrit conservé à Islamique (12), se rapportant également au livre «Saket Ezend» manucrit en 541 (1147 de l'ère chrétienne), voici le texte de ce diplôme :

" J'avais écouté entièrement « Saket Ezend » présenté par notre maître l'imam Dahir Eddine Ali Ghaleb Mohammed Ibn Moubarek Ibn Mohammed Ibn Mohammed Ibn Mimoun". Cette copie a été honorée par la lecture de Ali El-Kassim Ali Ibn Mohammed Ibn Brahim qui a écrit pendant le mois de radjeb, année cinq cents avec le droit de transmission du Chérif Abou Maâmar Ibn Ahmed Ibn Abdelaziz Ibn Maâmar El-Ansari qui rapporte de Abou Zakaria Yahia Ibn Ali Etabrizi qui rapporte d'Abou El Ala Ahmed Ibn Abdallah Ibn Souleiman El Maâri. J'ai transcrit ensuite la catégorie d'écoute de notre maître Dahir Eddine Abi Ghaleb Mohammed Ibn Moubarek Ibn Mohammed Ibn Mohammed Ibn Mimoun.

La copie du cadi Baha Eddine Abi Ibrahim Ibn Abi El Yousr, a été honorée par ma transcription. On écouta entièrement « Saket Ezend » présenté par le Chérif Abou Maâmara Moubarek Ibn Ahmed Ibn Abdelaziz Ibn, Maâmar El-Ansari avec *le droit de transmission* de Abi Zakaria Yahia Ibn Ali Etabrizi avec lectures de l'éminent Imam Abou Mohammed Abdallah Ibn Ahmed Ibn Ahmed Ibn Khacheb, de l'éminent Imam Abou El Marhaf Nasr Ibn Mansour Ibn El Hassan, de l'éminent Imam Abou El Marhaf Nasr Ibn Mansour Ibn El Hassan Ibn Jaouchen Ennamiri et l'éminent Abou Ghalib Mohammed Ibn Mohammed Ibn Mimoun. Coordinateur de l'écoute Ibn Youssef Ibn El Hassan Ibn Ali Ibn Youssef El-Mahouli. Ceci se passa dans plusieurs assemblées dont la dernière eut lieu le samedi 15ᵉ jour du mois de doul kaâda année 542. Ecrit par Mohammed Ibn El-Hassan Ibn Mohammed Ibn Ibrahim Ibn Mohammed, auteur de cette copie, connu sous le nom de Ibn El Karim El Baghdadi. Louange à Dieu seul, que sa bénédiction soit sur notre Seigneur le Prophète et sur sa famille".

Le manuscrit du livre de Sibaouih, conservé dans la bibliothèque publique de Paris (13) fut transcrit par Zeid Ibn El Hassan Ibn Zeid El Kindi en 595 (1198 de l'ère chrétienne) comprend un diplôme contenant l'expression «bihaqi erriouaya» dont voici le texte :

«Au nom de Dieu de bonté miséricordieux. Il écouta entièrement le livre de Sibaouih puis le lut au Cheikh, le respectable Abou El Hassan Mohammed et à son frère, le fils généreux Abou El Hissein Ismail, enfants du cheikh, l'imam, le grand savant Abou Jaâfar Ahmed Ibn Ali Ibn Ismail El Kortobi, que Dieu soit satisfait d'eux. Leur père n'écouta que le peu que j'ai autorisé et qui est enregistré dans la catégorie d'écoute située à la fin du livre. Ceci en vertu de mon droit de transmission émanent de mon maître l'imam, le savant Abou Mohammed Abdallah Ibn Ali Ennahoui El Makasri avec les citations mentionnées dans la catégorie d'écoute et qui remontent à Sibaouih. Je l'avais écouté chez lui deux

Guillaume poursuit en indiquant que le mot "baccalaurions" est probablement, à l'origine, un terme arabe radical qui a été altéré à la suite de sa transcription en lettres latines comme "bihaqi erriouaya" c'est-à-dire "le droit d'enseigner occroyé par un tiers". Cette expression se rapproche du latin en ce qui concerne le sens et même la prononciation. Mais Guillaume continue à reconnaître qu'il n'a précédemment utilisé ce terme dans aucun ouvrage arabe. C'est pour cela que sa supposition demeura, jusqu'à présent, une estimation pieuse. Par ailleurs, il n'échappe pas que beaucoup de mots altérés sont passés dans la langue latine et dans les langues parlées d'Europe au Moyen-Age. Beaucoup sont encore utilisés de nos jours par ces langues :

| | | | |
|---|---|---|---|
| chèque | صك | amiral | أمير البحر |
| tarif | تعريف | arsenal | دار الصناعة |
| tare | طرح | | |

Il nous est possible de montrer dans ce qui suit qu'un terme arabe, correspondant au mot baccalauréat, a été utilisé, dans la documentation arabe, depuis la moitié du XII$^{e}$ siècle au moins et ce, pendant une période qui est peut être inférieure à six siècles : diplôme (d'études) mot auquel il est permis d'attribuer le sens d'autorisation d'enseigner les matières, d'une manière globale ou détaillée, dont l'enseignement a été permis par l'autorité qui a délivré le titre.

Nous avons découvert, dans un manuscrit conservé dans la bibliothèque universitaire de Cambridge (11), au cours de notre étude des différents modèles de diplômes d'études, anciens et modernes, en compagnie de notre collègue Michael Young, l'expression "bihaqi erriouaya". Guillaume l'avait proposée comme étant l'origine du mot baccalauréat, dans un diplôme remontant à 542 de l'Hégire (1147 de l'ère chrétienne) suivi d'un texte du livre de Abou El Ala El-Maâri « Sakt Ezend ». Voici le texte de ce diplôme : "On écouta le livre de Abou El Ala El-Maâri, intitulé « Saket Ezend » présenté par le Chérif, l'éminent, l'imam unique, le savant Abou Maâmar Moubarek Ibn Ahmed Ibn Abdelaziz Ibn Maâmar El Ansari avec *le droit de transmission* de Abou Zakaria Yahia Ibn Ali El-Khatib Etabriei qui rapporte de Abou El-Ala El-Maâri avec la lecture du cheikh, l'imam, le savant, Abou Mohamed Abdallah Ibn Ahmed Ibn El-Khachab Ennahoui, que Dieu gratifie de sa puissance son ami l'Emir, le savant Abou El Marhaf Nasr Ibn Mansour Ibn El Hassan Ibn Jaouchen Ennamiri, que Dieu le comble de savoir, le président Abou Ghalile Mohammed Ibn Moubarek Ibn Mohammed Ibn Mohammed Ibn Mimoun et le coordinateur de l'écoute Ali Ibn Youssef Ibn El Hassan Ibn Ali Ibn Youssef Ibn El Mahouli. Ceci se passa dans des assemblées dont la dernière eut lieu le samedi, 15$^{e}$ jour du mois doul kaâda année 542. Louange à Dieu, que sa bénédiction soit sur notre Seigneur le Prophète et sur sa famille. Ceci a été reconnu et noté dans l'histoire par Moubarek Ibn Ahmed Ibn Abdelaziz Ibn Maâmar".

le domaine de la transmission des connaissances islamiques à l'Europe, nous remarquons que l'importance du rapprochement des systèmes éducatifs musulman et chrétien devient de plus en plus sensible. En effet, l'Espagne musulmane était le centre éducatif sensible. En effet, l'Espagne musulmane était le centre éducatif et culturel le plus proche de l'Europe au Moyen-Age. Après la prise de Tolède, en 1085, par les Chrétiens, l'Espagne est devenue une ouverture importante par laquelle transitaient les œuvres scientifiques islamiques vers l'Europe chrétienne.

A Tolède, l'évêque Raymond (décédé en 1251) a créé une école chargée de traduire les livres arabes en langue latine (7). C'est ainsi que les trésors des livres arabes, dans les domaines de la philosophie, de la médecine, etc... furent transférés au latin afin de faciliter aux professeurs et étudiants européens leur utilisation dans les universités chrétiennes. Il n'est point étonnant que les professeurs chrétiens aient pris l'Espagne, avec les livres d'études, quelques traits propres à l'organisation des universités islamiques. Une question se pose cependant. Comment confirmer cette supposition ? Ou autrement, comment prouver que ce qui a été considéré depuis longtemps comme une simple série de coïncidences est une série d'emprunts culturels qui a vraiment eu lieu ?

Il est permis de supposer que quelques styles anciens du système éducatif islamique ont été transférés en Europe chrétienne par l'intermédiaire des étudiants chrétiens se rendant à Paris ou à Oxford après avoir accompli leurs études comme : Adelard of Bath, Michael Scot, Robert or Ketton etc... Ces étudiants n'ont, malheureusement, laissé aucun document ou note réservés à l'enseignement islamique (8). Ils ont orienté leurs efforts, dans leurs écrits, vers le contenu de la matière qu'ils ont étudiée dans la traduction latine des livres arabes.

L'orientaliste anglais Alfred Guillaume, pense, dans son livre «Patrimoine de l'Islam» (The Legacy of Islam) imprimé à Oxford en 1931, qu'il est possible de trouver une solution au problème des relations entre les universités islamiques et chrétiennes, si on parvient à expliquer convenablement l'origine du terme "baccalarens" ou "baccalaurens" utilisé, au Moyen-Age, pour désigner la personne munie du titre universitaire, "baccalauréat" (9). En effet, ce terme a été utilisé, dans ce sens, pour la première fois, à l'université de Paris, au XIII[e] siècle, à l'occasion de l'organisation des grades universitaires, parue, en 1237, dans le décret papal "parens scientiaren", pris par Grégoire IX (10).

Il est possible que le même terme ait été utilisé dans la langue parlée avant cette date. Guillaume dit encore, dans son article, que la dérivation de ce terme contenue dans le dictionnaire anglais d'Oxford (Oxford english dictionnary) ne peut être prise au sérieux. En effet, essayant, en vain, de rattacher l'origine du mot au latin, l'auteur déclare, dans ce dictionnaire, que le terme "baccalauréat" est peut être issu du mot latin "vacca" qui signifie vache.

que ces amples robes étaient utilisées, depuis longtemps, dans les centres intellectuels islamiques pendant le Moyen-Age. Un autre trait de ressemblance est que certains termes académiques utilisés dans les universités d'Europe ressemblent énormément à ceux qui ont été précédemment utilisés par les universités islamiques. L'appellation européenne d'origine de l'université "studium général" (3) est probablement la traduction directe de l'expression arabe "assemblée générale" ou "cours organisés" ceci en plus des cours gratuits pour étudiants qui avaient leur penchant dans les universités islamiques.

Parmi ce qui mérite d'être encore cité, toujours dans le cadre du rapprochement entre les centres éducatifs chrétiens et les centres musulmans qui les ont précédés, ce qu'on appelle "le voyage pour la recherche de la science" qui était une tradition connue du système éducatif musulman bien avant qu'elle ne fasse partie de la vie intellectuelle des pays chrétiens.

Les étudiants musulmans ne se contentaient pas de s'inscrire dans un établissement désigné pour accomplir leurs études. Ils ne pouvaient supposer non plus qu'il y eut dans ces établissements un seul professeur spécialisé dans un domaine éducatif donné. C'est pour cela que le déplacement d'un centre d'études à un autre est devenu un des traits reconnus de la vie intellectuelle en pays islamique (4).

Le déplacement des étudiants d'une ville à une autre, qui finissait toujours par l'obtention d'un diplôme, fut, peut être, à l'origine des plus importantes traditions pédagogiques du système éducatif chez les Musulmans. Le diplôme était une sorte d'autorisation présentée sous forme de document permettant à l'étudiant de transmettre les connaissances que ses professeurs lui ont données. Ainsi ces derniers accordaient ce diplôme aux étudiants à qui ils permettaient de transmettre ou d'enseigner aux autres, les sujets qu'ils ont étudiés chez eux. Cette tradition intellectuelle islamique remonte au II[e] siècle de l'Hégire (5). Si nous réexaminons l'histoire du développement des universités chrétiennes, nous nous apercevons que la plus ancienne forme du diplôme ou grade délivré par ces universités était connue sous l'expression «licentia docendi» (6) ou «diplôme d'enseignement».

C'est ainsi que les universités islamiques ont bénéficié, au Moyen-Age, d'une grande liberté dans les domaines des études et de l'enseignement beaucoup plus que n'en ont bénéficié les universités chrétiennes. Il n'est pas étonnant que dans les universités islamiques, tout professeur pouvait délivrer à ses élèves un diplôme, après un examen oral ou écrit, alors que dans les universités chrétiennes, seul le directeur était habilité à le faire.

Il découle de ce qui précède que l'expression "diplôme d'études" et celle latine de "licentia docendi" furent deux expressions concordantes signifiant autorisation d'enseigner sans tenir compte des sources qui ont délivré ce parchemin. Si nous nous reportons au rôle important joué par l'Espagne, au Moyen-Age, dans

blance entre les centres éducatifs supérieurs musulmans et chrétiens soit due à autre chose que le hasard. Ce refus de reconnaissance est dû peut être à l'insuffisance des documents indiquant avec clarté que cette ressemblance n'est pas le résultat d'une série de coïncidences seulement.

Il n'y a pourtant aucune divergence sur le fait que la majorité des livres universitaires, utilisés dans les nouveaux centres éducatifs chrétiens du Moyen-Age furent traduits de l'arabe en latin. Parmi les auteurs de ces livres scientifiques, médicaux et philosophiques, se sont distingués plusieurs savants musulmans comme Ibn Sina, Ibn Rochd, El-Farabi, Ibn Zahr, Abou El-Kassim Zahraoui et autres. S'il n'y a ici aucune autre preuve de l'influence de la civilisation islamique sur la civilisation chrétienne, dans le domaine de l'enseignement supérieur, les noms de ces auteurs suffisent, à eux seuls, à cautionner la conviction assez répandue selon laquelle les universités européennes qui ont introduit dans leurs programmes les œuvres de ces derniers, ont certainement été impressionnées par la civilisation islamique qui les a créées.

Il existe, par ailleurs, une preuve très claire indiquant que l'Université, au Moyen-Age, a vu sa création et son développement s'effectuer sous l'étendard de l'Islam. Commençons par la réalité courante qui admet que certains centres islamiques d'enseignement supérieur ont été créés plus de cent ans avant que ne soit créée la première université en Europe. Ainsi l'Université de Karaouine de Fez a été créée en 859, la Faculté de Cordoue, dans la première moitié du X$^{e}$ siècle, celle de la mosquée d'El-Azhar, en 972, la maison de la Sagesse du Caire, dans les débuts du XI$^{e}$ siècle. En Europe, les centres destinés à l'enseignement supérieur ont ouvert tardivement. Les universités de Pologne, de Paris et de Montpellier n'existaient pas effectivement avant le XII$^{e}$ siècle (1).

A la suite de la création de ces universités en Europe chrétienne, il y eut de nombreux côtés de ressemblance entre celles-ci et les universités islamiques qui les ont précédées de plusieurs siècles. Par exemple l'organisation des élèves se faisait en fonction de la nationalité. C'est ainsi qu'on logeait ces derniers par groupes et par pays d'origine (2), exactement comme on faisait à l'université d'El-Azhar où il y avait des chambres indépendantes réservées aux étudiants venus du Maroc, d'autres à ceux venus de la Haute-Egypte et d'autres pour ceux de l'Irak, etc... A l'université de Paris, les étudiants étaient divisés en groupes ou "nations" comme "la nation anglaise", "la nation flamande", etc... On retrouve les traces de ce partage géographique des étudiants dans les noms de quelques facultés d'Oxford comme Lincoln, Werchester, Hartford, etc...

Parmi ces traits de ressemblance entre l'organisation des universités européennes et celle des universités islamiques, on peut citer également le fait que les professeurs d'université portaient, pendant les conférences et les cérémonies officielles un vêtement spécial connu sous le nom de robe universitaire. On dit



# MERITE DES ARABES SUR L'EUROPE DANS LA NAISSANCE ET LE DEVELOPPEMENT DU SYSTEME UNIVERSITAIRE AU MOYEN-AGE

par le Docteur Rifaât Y. EBIED

*Professeur au Département des Etudes Sémitiques - Université de Leeds* (*Angleterre*)

L'organisation des hôpitaux, des laboratoires et des universités, à l'époque actuelle, n'est que le prolongement de celle qui existait au Moyen-Age. Il est indéniable que ces hôpitaux et ces laboratoires, résultats de la civilisation, ont été créés par la civilisation islamo-arabe. Bien que les Grecs aient le mérite d'avoir inventé quelques équipements et appareils astronomiques, les laboratoires, en tant qu'établissements minutieusement organisés, ont vu le jour et se sont développés grâce à l'intérêt que les dirigeants musulmans leur ont accordé. Le premier laboratoire, cité dans les sources dont nous disposons, fut celui qui a été créé par le Calife El-Maâmoun (813-833) en l'an 830 à Baghdad, capitale de l'Etat musulman de l'époque.

En ce qui concerne la médecine, la fondation et l'administration de beaucoup d'hôpitaux furent parmi les œuvres les plus importantes présentées, dans ce domaine, par les Arabes à la civilisation du Moyen-Age. Si nous admettons que les Arabes n'ont pas créé des hôpitaux dans la forme actuelle, il n'y a pas de doute qu'ils ont attaché beaucoup d'importance à leur organisation, leur équipement et leur entretien. Ils y ont laissé un grand nombre d'empreintes qui font partie, aujourd'hui, des aspects distinctifs des hôpitaux modernes.

En ce qui concerne l'Université, une preuve obtenue par déduction indique que celle-ci fut, il y a très longtemps, une des inventions de la civilisation musulmane. Ce dont on ne peut douter cependant c'est que les universités anciennes d'Europe avaient des particularités apparentes rappelant beaucoup les centres éducatifs musulmans qui les ont précédées (créés au cours des X^e^ et XI^e^ siècle) sauf que les historiens occidentaux hésitent encore sur le fait que cette ressem-

Les jeunes filles aujourd'hui sont presque aussi libérées sexuellement que les garçons. D'après les statistiques sur l'âge de la première relation sexuelle, et sur le nombre de partenaires avec lesquels elles ont eu ces relations, etc...

Donc la famille couple du futur va de pair avec le mouvement de libération de la femme. Nous posons la question : Est-ce bien ou mal ? Mais ne serait-il pas plus censé de se demander : **de** qui ce bœuf est-il en train de recevoir des coups de cornes ».

Quand j'ai quitté la rue Markhan pour venir ici, le soleil brillait, des couples se promenaient le long de la rue, bras dessus, bras dessous, alors que les feuilles d'été formaient un arc sur leur passage. Cela pourrait être étranger à Norman Rockwel. Mais dans dix ans, si vous revoyez ces couples, la plupart d'entre eux seront constitués de partenaires différents.

On a engagé peu de recherche systématique pour déterminer :

— la raison qui pousse les gens à se séparer ;

— comment la famille s'adapte à l'arbre des générations ;

— la distance entre les parents et les adolescents (de toute façon, maintenant, tout ce non-sens sur le conflit de générations est dépassé) ;

— le rôle de la satisfaction sexuelle dans l'ensemble des émotions conjugales.

Au lieu de tout cela, nous sommes bombardés de découvertes dont l'insignification dépasse l'esprit, et tout cela est écrit dans un jargon que même les spécialistes ont du mal à comprendre.

Les gens s'inquiètent toujours sur cette transformation de la famille en cours. Est-elle bonne ou mauvaise ? La médaille a deux faces : d'un côté, on y trouve toutes les satisfactions sentimentales accompagnant la famille nucléaire qui était plus ou moins confiante de par la place qu'elle tenait dans la chaîne des générations (spécialement du côté de l'homme, puisque c'était son arbre familial qui comptait). La famille nucléaire représentait un refuge sécurisant le soir après les vents mugissants qui accompagnent le monde des affaires de la journée. Les enfants étaient relativement à l'abri des troubles dûs au drame familial ; ils étaient libres de concentrer leur esprit sur leurs jouets.

La famille nucléaire reposait sur un compromis sentimental fait de concessions. Certains de ses membres cédaient relativement peu, d'autres cédaient relativement beaucoup. Les hommes et les enfants cédaient peu et obtenaient en retour des femmes et des mères attentionnées, une soupière chaude à la fin de la journée et des chaussettes reprisées. Beaucoup de femmes se rendaient compte que leurs intérêts étaient lésés dans cette situation historique. Naturellement, elles avaient une sécurité économique de longue durée ; mais cela, en faisant abstraction de leurs propres besoins sentimentaux, de leurs aspirations professionnelles devant les exigences de leurs maris et de leurs enfants.

Les jeunes filles n'avaient pas aussi la bonne part. Elles étaient supposées n'avoir de relations sexuelles qu'avec l'homme avec lequel elles devaient passer le restant de leur vie. Alors que leurs frères étaient libres de fôlatrer à leur gré.

Maintenant la famille couple s'oppose aux intérêts de beaucoup de ces hommes. Souvent les femmes travaillent, refusent de faire toutes les corvées domestiques, et sont aussi exigeantes que les hommes sur le plan sexuel. Pendant ce temps, les hommes sont atteints par cette vague d'impuissance sexuelle qui est venue échouer sur les deux côtés de l'Atlantique.

---

Nos aspirations sexuelles dépassent les moyens que nous offre notre système de famille nucléaire pour les satisfaire.

Quand nous transformons les relations du couple en un coussin de lancement pour une exploration sexuelle, nous semons les grains de sa destruction. Heureusement que chacun se remarie (du moins les hommes) et alors le processus entier recommence.

Ainsi la révolution sexuelle a créé les premières conditions pour l'explosion du divorce. Cependant, ce qui facilite actuellement ce divorce, c'est l'augmentation considérable de femmes mariées qui occupent un emploi rétribué. Statistiquement comme l'a démontré Isobel Sawhill, il y a une relation très nette entre le travail féminin et la possibilité de divorce. Ce qui se passe, c'est que les femmes apprennent par le travail qu'elles peuvent se suffire et se débrouiller seules si besoin en était. Et puis voici l'occasion qui se présente, et pour des raisons indépendantes, leur mariage s'écroule. Je pense qu'une mauvaise association sexuelle est presque toujours à la base de ces raisons. Ainsi des femmes peuvent rompre pour des raisons de relations non satisfaisantes ; motif qu'elles n'auraient jamais osé invoquer dans le passé historique de la société occidentale. Ainsi nous avons créé la base pour le couple flottant et libre :

1) Les adolescents dont on ne peut plus s'occuper ou qui n'ont plus besoin qu'on s'occupe d'eux.

2) Les motifs de séparation : c'est-à-dire la sexualité qui est absolument indépendante de toute sorte de contrôle volontaire.

3) Possibilités économiques pour les individus de se débrouiller seuls, indépendamment du contrôle de la famille nucléaire.

Je ne peux m'abstenir de dire un mot sur l'énorme absence de contribution de la grande industrie de sociologie sur la famille, pour comprendre ces changements. On pourrait examiner en vain les pages des journaux spécialisés tel que le journal « Du mariage et de la famille », on n'y trouve aucune lueur permettant de pénétrer ces causes. Exceptés des rapports sur la démographie, en pratique, toutes les recherches dans ce domaine semblent embourbées dans des questions qui sont, soit triviales, soit dépassées, telle que : détermination de la distribution du pouvoir à l'intérieur de la famille. (Nous ne cherchons pas à comprendre pourquoi ils divisent le pouvoir ; nous voulons savoir pourquoi ils ne peuvent pas s'aimer). Autre titre : « Prédicateurs du bonheur congugal ». Mais, pour l'amour de Dieu, ce qui importe c'est de savoir pourquoi des couples qui, jusqu'ici étaient tout à fait heureux décident tout d'un coup de rompre.

La sexualisation du mariage prend de l'importance dans les statistiques.

A l'époque de Kinsey, le taux d'adultère chez les femmes mariées âgées de vingt cinq ans était de 1 sur 10. Maintenant il est de 1 sur 4 (quatre).

Il y a quelques années, un couple, Morton Hut avait fait une innovation sur les pratiques sexuelles. Il a trouvé une satisfaction absolue dans toutes les nouvelles positions folles : sexualité orale, durée de la relation sexuelle.

Il y a vingt cinq ans, Alfred Kinsey ne s'est même pas soucié de faire des statistiques sur des choses comme les relations sexuelles anales, tellement le cas était rare. Hunt a trouvé chez les gens de moins de trente cinq ans que un couple sur quatre raffolait de ce genre de relation. Je ne voudrais pas choquer les oreilles chastes. La sexualité c'est bien bon ! Mon point de vue est que l'attraction sexuelle est imprévisible. Notre sexualité est enfouie profondément dans notre inconscience. Nous ne pouvons ni comprendre ni raisonner ce qui se passe en nous. Les fantasmes et les désirs tendent à être très instables : un jour on est attiré par quelqu'un, le jour suivant on ne l'est plus ; et personne ne sait pourquoi.

Maintenant, si on bâtit les mariages sur les sables mouvants de la sexualité. inévitablement ils s'écrouleront puisque l'intérêt sexuel s'estompe, ou est transféré à un nouvel objet. La sexualité est comme la pause d'une charge explosive puissante sur le lit conjugal avec un vibrateur miracle qui fonctionne et qui peut faire éclater le couple.

Je pense que ce qui s'est passé est dû à une révolution sexuelle qui a énormément loué les espérances sexuelles de chacun. Des images d'une vie érotique idéale, d'un plaisir complet, d'orgasmes palpitants, de corps généreux et de bouches aux lèvres humides éternellement ouvertes s'offrent à nous à tous moments dans chacun de nos contacts avec les mass-média. Peu de gens peuvent dire qu'ils ont une vie complète, si d'une façon ou d'une autre, ils ont manqué ce voyage au pays des fantasmes érotiques. Evidemment, quand nous essayons de mettre ce nouvel idéal érotique en pratique, la réalité est loin d'égaler l'image. Il y a encore mieux ; dans « The joy of sex with mirrors » (les joies de la sexualité dans les miroirs) on dit que cette jambe est supposée aller ici, et l'autre jambe... Et les merveilles promises ne se produisent pas avec l'épouse qui a dix sept ans de mariage. Le matin il n'y a que le trou dans le linoléum à regarder.

Nous « swingers » sommes les victimes ; victimes d'une révolution sexuelle qui nous a donné un idéal concernant les relations humaines et qui est complètement contraire à toute possibilité de stabilité.

Nos ambitions croissantes engendrent une autre révolution : quand les aspirations des gens dépassent leur possibilité de les satisfaire, ils deviennent frustrés, agressifs et... boom !... Révolution.

humains que nous aimons ou que nous avons aimés. Qu'est-ce qui dans notre for intérieur a donné à notre habilité d'aimer une force aussi limitée, avec des bornes aussi étroitement fixées ?

La crise de la famille nucléaire est une crise de notre société entière. La suppression du rassemblement de papa, de maman et des enfants autour de la table du dîner peut signaler la fin d'un certain idéal auquel nous étions tant attachésdans la civilisation occidentale, pendant le siècle dernier : idéal d'un amour désintéressé pour les autres dans le cadre d'une situation sexuelle.

Pourquoi cela est-il en train de se produire ? Je peux avancer quelques idées. Je pense que l'une des raisons de cet accroissement incroyable des ruptures découle de la révolution sexuelle que nous avons vécue ces quinze dernières années. Les vieilles personnes ne peuvent en croirent leurs yeux. On peut se promener dans les rues marchandes et voir des photos de personnes qui ont des relations sexuelles avec les chiens. La compagnie « Mac Millan » a diffusé régulièrement une série d'articles dans le quotidien « New York Times. ». Ces articles devaient servir à un ouvrage intitulé « The Hite report », document assez fascinant pour plusieurs raisons, et qui, certainement, a été d'une contribution importante à notre connaissance scientifique de la sexualité. C'est un livre qui décrit comment les femmens atteignent l'orgasme, et exactement quelles sont les manipulations à faire pour obtenir un orgasme des plus parfaits.

Ainsi il y a de longues explications techniques sur la façon d'exciter le clitoris...etc... C'est une sélection littéraire « Guildes ». Pouvez-vous croire que « Gone With the Wind » (Les parapluies de Cherbourg) fut une sélection littéraire « Guildes » ? Notre culture tout entière est en train de subir une sorte de sexualisation totale (racines et branches) qui change irrévocablement le dynamisme de la vie conjugale. Le premier trait d'union qui lie le couple est réduit à la vie de ce dernier dans le lit. Cette vie dans le lit l'emporte sur la préoccupation au sujet des enfants, sur le sens d'appartenir à une chaîne interminable de générations, ou sur le désir de travailler dur et d'économiser de l'argent pour acquérir un bateau glisseur.

Remarquez simplement le grand succès des manuels sur la sexualité. Sachez que « Joy of sex » est devenu le nouveau compagnon et le livre de chevet. Trois millions et demi d'exemplaires ont été vendus. De même, on peut parler des exhortations de Alex Confort encourageant les personnes âgées à demeurer sexuellement actives ou alors à mourir ; on peut parler encore de toutes les nouvelles idées folles que l'on trouve dans les manuels sur la sexualité : Sex for advanced swingers. Les couples mariés raffolent de ces ouvrages parce qu'ils commencent à croire que leur liaison est basée rationnellement sur leur vie sexuelle, et qu'il vaut mieux la réussir ou abandonner.

avec les besoins de leurs enfants. Oeufs dans un nid ? L'argent est dépensé dans des maisons de repos en Floride, au lieu d'être accumulé et déposé soigneusement dans des comptes. Préserver la maison familiale pour que les petits enfants puissent profiter de la belle pelouse quand ils viendront en visite ? Non, pas question, merci... On déménage dans un appartement.

Ceci est le premier point concernant la famille couple. Les adolescents sont beaucoup moins reconnaissants qu'ils ne l'étaient dans la famille nucléaire, il n'y a donc aucune raison familiale pour qu'après un état de grossesse, le couple ne soit réduit qu'à un couple : deux personnes vivant ensemble. La famille couple se considère beaucoup moins comme faisant partie d'une chaîne de générations s'étendant au fil des années. Si les jeunes se retirent dans un monde sentimental tout fait, et qui leur est propre, à quoi bon leur inculquer les traditions familiales ? Le « Fonz » après tout, ne pense pas beaucoup à son arbre généalogique... les jeunes non plus.

Mais un obstacle encore plus grand s'oppose à la continuité de la famille. Les 35 ou 45 % des couples qui se marient aujourd'hui divorceront. S'il y a une bonne chance pour que vous vous sépariez après sept années de mariage (c'est maintenant la moyenne de la durée des mariages qui finissent par un divorce) vous n'allez pas vous tracasser à suspendre la photo de grand'mère au mur. Che Guevara fera mieux l'affaire.

La seconde différence importante entre la famille nucléaire et la famille couple réside dans son instabilité. Le couple est beaucoup plus disposé à se séparer au signal donné, alors, très vite, chacun de ses membres s'attache à d'autres personnes pour former de nouveaux couples. C'est comme si l'on aiguillait les wagons sur une voie ferrée : on attache, on sépare, on rattache et chaque fois avec l'idée que c'est pour de bon. Et puis le couple est déçu en apprenant que ce n'était pas pour de bon après tout.

Les couples mariés prennent courage. Savez-vous que les couples non mariés ont les mêmes problèmes ? Voilà ce qui a causé l'accroissement invraisemblable des unions illégitimes ces vingt dernières années. Les chances de séparation d'un couple non marié sont les mêmes que celles d'un couple marié. Nous ne sommes pas en train d'évoquer un problème qui concerne seulement le mariage. Nous assistons à une non permanence chronique qui affecte notre société entière dans toutes les relations humaines, une instabilité dans les valeurs telles que la confiance, la dévotion et l'amour.

Que se passe-t-il dans notre vie ? Pourquoi beaucoup d'entre nous s'avèrent incapables de conserver des liens intimes pendant une longue durée ? Qu'est-ce qui, en cette année 1977, nous déchire sans remords et nous sépare des êtres

par deux, ou des adultes dans différentes configurations non familiales. Ces chaînes de restaurants à service rapide (P.R. Flacks, B Q Burgers) offrent-elles des occasions pour le regroupement familial ? La réalité est bien différente. Ne posez surtout pas de questions sur le déclin du petit déjeûner familial. Grâce à des études comme celle de Jennings et Niemi, nous savons comment la socialisation politique des adolescents est en train de changer. On disait que les deux plus grandes influences responsables des idées politiques acquises par les jeunes étaient exercées par les parents et dans une mesure moindre par l'école. Que vous votiez démocrate, républicain, fasciste ou autre, votre façon de voter était determinée par la façon dont ont voté vos parents. Maintenant les parents et l'école sont de plus en plus écartés, et les influences majeures sur le choix politique des adolescents semblent venir du groupe et des mass-média. O.K., ceci est un fétu de paille dans le vent.

Des données récentes provenant d'une étude en cours sur le recensement de la population des Etats-Unis ont montré une augmentation dramatique dans le pourcentage des jeunes gens (de moins de 19 ans) vivant seuls, loin de leur famille Contrairement aux arguments avancés par Jo Banes et son groupe, cette volonté des adolescents de faire leur devoir en restant à la maison jusqu'au mariage, en allant au collège, ou en travaillant à la poste, n'est plus du tout ce qu'elle était auparavant. Les données de 1974 (les plus récentes) montrent une émancipation physique croisante.

L'émancipation sentimentale des jeunes, qui en majorité continuent à vivre un peu plus longtemps à la maison commence plut tôt, et s'acquiert plus complètement. Les enfants se rappellent de moins en moins des noms de leurs parents éloignés ; leur intérêt pour les réunions de famille diminue ; la promenade en voiture du dimanche suit le même chemin ; quant à aller mettre des fleurs sur la tombe de grand-mère, même les parents n'y attachent plus d'intérêt. Ce sont des adolescents qui, non seulement se détachent du contrôle parental, mais de l'arbre familial tout entier.

Dans la famille nucléaire, on était déterminé d'après la descendance ; maintenant l'identité est déterminée principalement par la façon dont se développe la personnalité.

Etant donné que le couple lui-même a éclaté et qu'il a brisé tous les liens, l'un des plus grands liens qu'il a par conséquent perdu est celui qui l'unissait à ses enfants devenus adolescents.

Est-ce un changement dans l'attitude des parents qui a conduit les enfants à la boisson (Rootbeer A et W) et à la « disco-scène » ou bien est-ce l'attraction incessante de tout le culte de la jeunesse des années 60 et 70 qui les entraîne ? Qui vient en premier ? Le poussin ou l'œuf ? Ce qui est du moins clair maintenant, c'est que beaucoup moins de parents organisent leur vie en rapport

c) Parce qu'il est infiniment moins stable que celui de la famille nucléaire. Tout cela résulte de ses attitudes différentes à l'égard des enfants, de la vie sexuelle et de l'arbre familial.

La famille nucléaire représentait une unité d'affection solidement implantée dans le temps (par sa sensibilité à l'arbre familial) et dans l'espace (par toutes sortes de contacts avec les membres de la famille, les voisins et les amis). D'autre part, le couple est un atome flottant et libre qui n'est fondé sur aucun de ces contacts extérieurs stabilisants qui sont en harmonie avec les émotions intérieures. Au sein même du couple se produisent, de temps en temps, des éruptions sentimentales horrifiantes qui accentuent la montée irrémédiable des statistiques des divorces. Le couple est incroyablement complexe intérieurement, et détaché extérieurement. Joyeusement blotti dans ce petit appartement du 17[e] étage jusqu'à ce que........... Boom !

Tout cela est une belle sottise ! Des atomes flottants et libres ? Des explosions périodiques ?

Qu'est-ce qui justifie actuellement toutes ces transformations supposées se produire ?

Peut-être que tous ces sociologues "Polyanna" ont raison après tout et que le divorce n'est qu'une légère secousse sismique et non un véritable tremblement de terre.

Considérons par exemple les relations d'un couple à l'égard de ses enfants adolescents. Ils étaient le meilleur soutien sentimental de la famille nucléaire des années 1940-1950. Evidemment, aujourd'hui les parents sont de plus en plus dépassés par ce qui se rapporte à la socialisation de leurs adolescents (je vous rappelle que nous parlons d'adolescents, puisqu'il y a peu de changement dans la façon de traiter les enfants plus jeunes).

La criminalité juvénile a tout simplement explosé en ces dix dernières années dans la province canadienne de l'Ontario — Province qui est pourtant paisible Ainsi, les viols, les vols, les agressions etc... commis par les adolescents ont dépassé le plafond. Voyez un peu cette vague de meurtres de grand-mères dans les villes comme New-York... Quelles qu'en soient les causes profondes, l'une d'elles provient du fait que ces adolescents ne vivent pas dans leur famille. En effet, si vous êtes en train de suivre les "Waltons" avec maman et papa, vous ne serez pas dehors à chercher à faire exploser une voiture.

Bien qu'il n'y ait pas de statistiques à ce sujet, vous voyez un peu comment les dîners de famille tendent à disparaître, véritable désagrégation du repas du soir, les enfants sont de plus en plus dehors avec les copains pour manger un bout dans un "Mac Donald's". Asseyez-vous un soir entre 6 h et 8 h devant un "Mac Donald's" et voyez ce qui se passe : il y a surtout des jeunes en groupes ou

produisait souvent, les enfants restaient à la maison jusqu'au mariage. Ils exprimaient avec reconnaissance leur gratitude à "maman" pour sa vie de sacrifice. Les mères traditionnelles se sacrifiaient très peu pour leurs enfants ; elles étaient beaucoup trop préoccupées par le travail de la ferme et par le rendement de la récolte. S'il y avait désaccord entre les parents — comme cela se produisait souvent même dans la famille nucléaire (bien que moins brutal) — les parents restaient néanmoins ensemble ne serait-ce que par amour pour leurs enfants.

Je voudrais donc souligner l'importance de l'état de grossesse dans la vie de la famille nucléaire parce que j'aurais tout à l'heure à l'opposer à l'attitude de la "famille couple" à l'égard des enfants. Mais en nous plaçant dans cette perspective, vous devriez savoir que cette nouvelle famille nucléaire a commencé à prendre forme dans les classes moyennes vers la fin du XVIII[e] siècle (un peu avant, chez les puritains qui s'installaient en Amérique du Nord). C'est vers le milieu du XIX[e] siècle que la famille nucléaire a commencé à s'étendre aux employés de bureau, aux clercs des villes, aux artisans des petites villes, aux paysans de la campagne et finalement aux environs de la première guerre mondiale, aux ouvriers d'usine et aux prolétaires des sociétés occidentales. Ainsi, vers les années 1930 et 1940, la famille nucléaire triomphait un peu partout, depuis les zones rurales du Danemark (comme me le racontait l'autre soir une dame originaire de là-bas) jusqu'aux zones rurales du Mississipi où ma propre famille a vécu. Vers le début de notre siècle, la famille nucléaire a dominé en commençant par les tailleurs juifs des magasins londoniens (la vie traditionnelle des Juifs des petits villages de Pologne était tout à fait différente) jusqu'aux habitations bourgeoises et élégantes des lieux semblables à la rue Markham à Toronto.

Vous voyez comme les choses ont évolué lentement. Il a fallu une centaine d'années à la famille nucléaire pour accomplir sa marche triomphale dans la société occidentale. Et voilà où en est la situation à présent : sa destruction sera accomplie en beaucoup moins de temps.

Nous arrivons maintenant au dernier point de mon petit exposé : la fin de la famille nucléaire qui se dresse en perspective et sa transformation en famille couple.

Qu'est-ce que j'entends par "famille couple" ? Nous avons toujours affaire à une famille figurez-vous ! Les 95 % de la population continuent à se marier, cohabitent pendant un certain temps et ont un enfant ou deux. Ce qui est par définition même une famille. Mais le couple est différend de celui de la famille nucléaire.

a) Parce que sa propre situation sentimentale est beaucoup plus intense, elle est explicitement sexuelle.

b) Parce qu'il a des relations fondamentalement différentes avec ses enfants spécialement avec les adolescents (ce sont essentiellement des relations distantes).

yeux des autres. Voilà comment était bâtie la société traditionnelle. Elle est donc arrivée à sa fin quand la famille moderne triompha aux environs du milieu du XIX[e] siècle.

La famille moderne : ce chaleureux petit noyau intime composé de maman, papa et les enfants assis le soir et dînant autour de la table, a été la création des derniers siècles.

Considérons les principales caractéristiques de la famille nucléaire moderne :

Au lieu de se mélanger librement avec la communauté environnante, ses membres se ramassaient derrière les murs de l'intimité et de l'isolement afin de jouir de cette intimité chaleureuse nouvellement trouvée.

Autrefois un défilé interminable d'étrangers passait à la maison ; toutes sortes de personnes n'appartenant pas à la famille étaient présentes au dîner familial, ou sur les paillasses de paille éparpillées autour de la cabane pour passer la nuit. Maintenant la famille nucléaire dîne seule. (Il y a toutes sortes de plaintes au sujet de ces fermiers gentlemen anglais qui, par exemple, commencent à supprimer la présence des ouvriers agricoles à la table familiale). Autrefois, il y avait un environnement riche de festivités communales et de rites qui arrachaient chaque membre de la famille au foyer. Maintenant, la famille reste fermée, unie pour les soirées : papa avec son journal, maman avec son tricot, et les deux enfants au lit à l'étage.

Au début du siècle, dans une famille anglaise de classe moyenne, on pouvait lire la vieille devise suivante : "A l'Est ou à l'Ouest, le nid est le meilleur". Cela avait en effet un sens : une nouvelle sorte d'intimité née d'amour apparaissait pour unir le mari et la femme ; c'est une tendresse que nous associons à l'expression "amour romantique" qui exigeait certainement l'intimité et le détachement des autres. Vous ne pouvez pas rester la main dans la main sous le regard étonné des ouvriers des champs... La nouvelle conception du mariage voulait que le mari et la femme fassent les choses ensemble, et non pas errer chacun de son côté, séparément, avec des bandes de copains.. Ainsi le sens nouveau donné au sentiment est devenu le ciment qui unit le mari et la femme, plutôt que le simple désir d'avancer stupidement sur des marches prescrites par la coutume du village.

Permettez-moi de relever que la base essentielle de cette sentimentalité était probablement due à l'amour porté aux enfants plutôt qu'à l'attachement romantique intense que les époux avaient contracté durant la période de la « cour ». La vie étant ce qu'elle est, l'amour véritable ne semblait pas avoir longtemps survécu aux conditions matérielles pénibles qui pesaient sur beaucoup de ces familles ; mais elles adoraient leurs enfants ; ainsi on réussissait à garder la maman à la maison, et la famille bâtissait son propre petit nid pour célébrer la socialisation de ses enfants. Plutôt que de partir comme apprentis ou servantes à demeure dans une autre maison pendant leur pré-adolescence, comme cela se

cela est bien évident. Les mères résignées soupiraient en disant : "Voilà un autre petit ange envoyé au ciel". Les parents ne se tracassaient pas à assister aux funerailles de l'enfant ; ils utilisaient à nouveau le nom de l'enfant mort pour le nouvel enfant qui venait au monde. De nos jours, on ne penserait même pas à cette pratique. Imaginez un peu comment les enfants étaient traités ; au lieu de les allaiter au sein, les femmes d'Europe Centrale donnaient souvent à leurs bébés une "bouillie" (mélange de farine et d'eau) ce qui était tout à fait mauvais pour leur petit appareil digestif. Beaucoup de parents des fermes ou des petites villes emmaillotaient leurs bébés en les enveloppant de la tête aux pieds dans une sorte de bandage en tissu que l'on serrait afin qu'ils ne puissent pas bouger leurs bras et leurs jambes ; cela voulait dire que les langes sales n'étaient pas changés souvent parce que, d'une part, il était ennuyeux de démailloter le bébé, et d'autre part, cela donnait trop de travail de lessive (les grosses lessives se faisaient seulement trois ou quatre fois par an).

Evidemment, ces petits bébés contractaient toutes sortes de maladies de peau, telles que les eczémas ce dont les docteurs se plaignaient inlassablement. Cette indifférence des parents à l'égard des enfants est réellement confirmée par le procédé qui consiste à placer les petits hors du foyer familial. En France, les mamans envoyaient souvent leurs nouveaux-nés à des nourrices vivant à la campagne ; cela leur permettait d'être plus libres pour aider leurs maris au métier à tisser ou dans les champs. Puis, loin de la vue, loin de l'esprit... Les parents ne rendaient jamais visite à leurs bébés, et n'envoyaient que rarement des lettres pour avoir des nouvelles sur leur santé. Beaucoup, beaucoup de ces enfants périssaient entre les mains des nourrices. Alors que la mortalité infantile était à peu près de un sur quatre, la mortalité de ces bébés ainsi envoyés en nourrice était proche de 50 %. Nous avons clairement affaire à une forme masquée d'infanticide, et qui était pourtant fort répandue. Les parents qui ne pouvaient se permettre ces nourrices, abandonnaient simplement ces enfants non désirés sur la route, ou sur une table spéciale qui se trouvait devant la porte de l'église (ils tiraient la cloche pour avertir le Sacristain, puis se sauvaient.

Le lien sentimental qui unissait ces familles n'était pas fondé sur un amour véritable, ou sur la joie de voir des enfants se développer et prospérer. Ce lien était plutôt fondé sur la passation du patrimoine de génération à génération, sur la préservation du nom de famille et du domaine familial à travers les âges ou sur la boutique familiale de tonnelier. Ce qui comptait, c'était de transmettre la propriété de génération en génération avec un respect strict des règles du comportement social établies par la communauté environnante. Donc la fonction de la coutume dans le comportement des époux était écrasante, et en fait on ne rencontrait que très peu d'attachement véritable ou d'émotion spontanée. Le but de la vie n'était pas d'en jouir pleinement, c'était de faire son devoir aux

tissait, la tête dans les bras du jeune homme. Pas de contact de jambes ni d'autres choses... Elle pouvait l'embrasser un peu sur le cou, quand il avait le bras fatigué, il changeait de côté ; mais il y avait très peu de formules et de paroles, afin qu'ils puissent se retourner sans aucun contact intime. Le but était de permettre aux deux jeunes gens de faire connaissance. Ensuite le groupe se dirigeait vers la maison suivante, puis la suivante... Les deux derniers jeunes pouvaient terminer la nuit avec la même fille. Pour s'assurer qu'il ne se produisait pas de bêtises, le groupe pouvait revenir dans la maison, par surprise, juste pour voir si le gars ne s'était déshabillé plus qu'il ne devait, ou s'il ne se passait pas quelque chose de non permis. Si cela venait à se produire, ils étaient sévèrement punis (comme celui à qui l'on vola le pantalon, ou celle à qui l'on a cloué l'écharpe sur la porte de l'église, évidence montrant qu'elle a dépassé les normes). Et, naturellement, ils seront rejetés du groupe. Ce système de "groupe" a atteint aussi l'Amérique du Nord, mais d'une façon moins organisée. En Pennsylvanie, comme en Europe, c'était un moyen qui permettait à la communauté de superviser le processus de l'union des jeunes, de leur donner en même temps une petite chance de faire connaissance, et d'éviter ainsi les mariages arrangés (qui n'ont jamais été typiques de la société occidentale).

Permettez-moi de vous donner un autre exemple qui montre comment la communauté et la famille étaient intimement liées dans la famille traditionnelle : pendant l'hiver, les femmes se rassemblaient souvent dans la grange d'une d'entre elles pour tricoter ou pour filer. Elles avaient toujours les jeunes adolescents avec elles, afin de pouvoir les surveiller de près. Elles se rencontraient ainsi deux ou trois fois par semaine, depuis l'après-souper jusque vers minuit. Pendant ce temps les hommes aussi avaient l'habitude de se rencontrer au bar ou au café local (tous les villages en avaient au moins un). Ils passaient leur temps à boire avec les bons vieux copains, puis retournaient à la maison pour se mettre au lit avant leurs femmes, parce qu'ils devaient se lever tôt le matin pour battre le grain.

Imaginez un instant ces nuits d'activité passées à tricoter et à filer. Hommes et femmes sont complètement séparés. Ils partaient rejoindre les membres de leurs groupes pendant le temps libre que la famille nucléaire consacrait plus tard à des pauses dans la joie de se retrouver en famille en ces soirées d'hiver autour du feu. Si les hommes et les femmes allaient au lit à des moments différents, cela voulait dire qu'ils n'avaient probablement pas de relations sexuelles ces nuits-là. Les variations brusques dans les périodes de conception confirment de plus cette hypothèse.

Voici encore un dernier point concernant la famille traditionnelle : elle était marquée par une indifférence froide à l'égard de la vie de l'enfant. Nous remarquons des cas incroyables, telles ces femmes de l'ancien temps qui assistaient sans aucune émotion à la maladie ou à la mort de leurs tout petits enfants. Notre attitude est pourtant chaleur et amour envers ces petits bébés ; la mort d'un enfant laisse une marque indélibile sur un couple, pour le restant de sa vie ;

(alors qu'eux-mêmes étaient chétifs et petits comme des professeurs). La femme pouvait être capable de tabasser le mari. On a trouvé dans les archives, des plaintes de maris qui ont été battus par leurs femmes. Quand cela se produisait, toute la communauté faisait un esclandre, car les femmes se saisissaient de cette autorité, allaient tout à fait à l'encontre des normes de ceux qui gouvernaient ; alors, un charivari était organisé. Dans ces manifestations, les villageois paradaient autour de la maison de la femme qui a bafoué l'autorité du mari, en soufflant dans des trompettes et en tapant sur des casseroles ; puis, ils se saisissaient de la femme et du mari et les forçaient à faire le tour du village à dos d'âne, en leur faisant boire du vin, et en leur fouettant la bouche avec la queue de l'animal.

Ceci me conduit au second point que je veux développer sur la famille traditionnelle ; à savoir qu'elle avait des liens étroits avec la communauté alentour : les yeux des étrangers étaient constamment fixés sur le cercle familial, pour le diriger, le superviser, et s'assurer que le couple vit dans les normes du comportement imposées par le village entier ou la petite ville. Voici quelques exemples de ces normes : le mari ne devait pas avoir de relations sexuelles avec les servantes (bien que cela se produisait de toute façon), les veufs ne devaient pas épuiser le stock des vierges candidates au mariage en se remariant avec l'une d'elles, les épouses devaient bien tenir leur ménage et ne pas boire à l'excès...

On rencontrait beaucoup de ces traits de la vie familiale traditionnelle dans le vieux monde (toutefois moins en Amérique du Nord). Une institution de contrôle social tel que le charivari était en vigueur sur ces côtes au XIX[e] siècle. Même dans une petite ville industrielle comme Hamilton (Ontario) par exemple, durant les années 1850, la jeunesse locale se rassemblait souvent et manifestait contre les femmes pécheresses ou contre les ménages en désaccord. On rencontrait donc cette sorte de vigilance intense de la communauté, des deux côtés de l'Atlantique. La communauté environnante allait jusqu'à enlever individuellement des membres d'une famille, pour les arracher au foyer chaleureux afin d'exécuter des activités collectives, sans se soucier des besoins d'intimité et de regroupement qui seront si chers à la famille nucléaire.

Les adolescents par exemple, spécialement les jeunes hommes étaient très intéressés par les groupes locaux de jeunes. C'était le groupe qui organisait les festivités du carnaval annuel, et qui supervisait l'union des jeunes hommes et des jeunes filles. Cette pratique de faire la "cour" menait à la coutume du " groupe constitué" qui prévalait en Scandinavie et en Allemagne du Nord : le samedi soir, une bande de copains se retrouvait au square du village, prenaient quelques boissons, puis allaient de maison en maison, là où se trouvaient des filles à marier. Devant chaque maison, ils récitaient quelques vers, ou chantaient. La fille décidait alors de choisir un membre du groupe qui lui plaisait, pour passer la nuit avec elle. Maintenant cela semblerait grotesque. Cependant, ils n'avaient pas de relations sexuelles. Le jeune homme enlevait son manteau, son chapeau, ses chaussures, (et rien de plus) et s'allongeait sur la couverture près de la jeune fille. Elle blo-

L'ancienne famille nucléaire dans laquelle chacun de nous a grandi n'est pas la seule forme imaginable de vie familiale ; elle était précédée historiquement par un style très différent de cohabitation maritale que j'appellerai "la famille traditionnelle". A présent, un autre style nouveau de vie familiale : la famille couple, qui prend la place de la famille nucléaire.

Nous avons donc trois étapes essentielles dans l'histoire de la famille occidentale : la famille traditionnelle, la famile moderne, et maintenant la famille post-moderne.

Comment se sont passés ces évènements ? Comment se fait-il que des hommes et des femmes aient commencé soudainement à s'aimer plus qu'avant ? A changer les couches de leurs bébés plus régulièrement ? A sortir moins souvent le soir ? Parce que, et c'est de cela précisément que l'on parle, des changements massifs se sont produits au fond même de nos vies intimes ; beaucoup de gens aimeraient savoir ce qui produit ces changements.

Retournons à la période qui précède la révolution industrielle. La vie familiale était énormément différente du style qu'on nous présentait dans les spectacles "d'Ozzie et Harriet". La raison des mariages était fondée sur des accouplements de convenance, plutôt que sur l'association intime que l'on rencontre dans les temps modernes. Les gens choisissaient leurs compagnes, sur la base de la superficie des fermes du père (donc sur le montant de la dot de la mariée) ou sur la base de la force physique de la femme qui devait être capable de supporter les charges lourdes du travail de la ferme. Sachez que dans des endroits comme le Sud de l'Italie, c'était la femme qui poussait la charrue, et que pour subvenir aux besoins de la famille, elle devait être capable de faire le travail d'un bœuf. Les proverbes de paysans sont pleins de mise en garde contre les belles femmes (elles sont capricieuses et n'aiment pas biner la terre, dit-on).

Dans le passé, très peu de sentiment était manifesté au sein du couple. Il y avait peu de couples qui se tenaient par la main, ou qui se disaient des romances. Si des parents s'opposaient à une union, le couple rompait tout à fait naturellement de crainte de se voir déshérité ; plutôt que d'essayer de s'enfuir pour faire triompher son amour. Après le mariage, la brutalité et la violence étaient souvent la règle du mariage. De nos jours, nous sommes bouleversés par la vue d'un homme qui bat sa femme, mais aux XVII$^{e}$ et XVIII$^{e}$ siècles, battre sa femme était tout à fait normal. Le mari devait enseigner à sa femme d'accepter son autorité. Dans le ménage patriarcal, l'homme qui dominait la femme, les enfants et les cohabitants, était considéré comme un modèle par toute la société. Le père dirigeait le ménage, tout comme le roi gouvernait le pays.

Dans ces unions violentes et sans amour, on renversait souvent les tables ; il arrivait que les femmes battent les maris, du fait que beaucoup de ces hommes choisissaient des femmes grandes, solides qui pouvaient accomplir cette tâche

Bien, diriez-vous, ces historiens ne sont que des détraqués, et vous auriez un peu raison. Pourtant, je suis sûr que cette situation pourrait être retrouvée dans toutes les facultés, depuis la diététique jusqu'à la science vétérinaire, des universités situées de l'autre côté du pays. Vous êtes persuadés que la plupart des gens vivent encore en familles nucléaires stables, sans aucun tracas, que ces familles ne suivent pas le mauvais chemin, qu'elles ne vivent pas dans le péché, et que les hommes ne se séparent pas de leurs partenaires pour aller skier avec leurs amies. Pourtant, tout cela est vrai.

L'idée que je veux exprimer est que : des lieux comme la rue Markham sont beaucoup plus typiques du futur que du présent.

Ces divisions dans les familles nucléaires que je vois de mon porche n'ont jusqu'à présent affecté qu'une minorité de la population. Cependant, si nous nous en tenons aux récentes statistiques, elles représentent la future vague. Ce n'est pas une histoire tellement gaie !

Quels que soient ses défauts, la famille nucléaire était une source de contentement personnel pour beaucoup, beaucoup de personnes. Je ne me réjouis pas de tenir ce rôle de Cassandre qui se dresse devant vous et vous dis que nous sommes sous l'étreinte d'un changement historique massif de la vie familiale, et qu'un nouveau style que j'appelle "la famille couple" est en train de se dresser pour prendre la place de la famille nucléaire. Et le fait est là...

Durant ces dix dernières années, nous avons vécu une révolution dans la vie familiale, comparable à celle des sentiments qui a eu lieu il y a cent cinquante années, et qui a amené la famille nucléaire à se hisser à la première place. Ce qui se passait dans la vie intime des gens entre 1800 et 1850 était un changement historique très important. Actuellement, nous assistons à un second changement. Tel est mon message...

Il y a une sorte d'école de sociologie "Polyanna" qui désapprouve complètement ce sombre diagnostic. Oh ! La famille moderne est tout à fait bien portante à la base, nous assure-t-on ; et ce, malgré quelques problèmes de désaccord. Tels que ces gens qui divorcent. La famille américaine est "ici pour demeurer" (je prends le titre d'un ouvrage récent de Mary Jo Banes, relatif à ce sujet, et qui présente parfaitement cette approche empirique des développements.

Cet immobilisme sociologique montre que, virtuellement, dans notre société, chacun continue à se marier (au moins une fois) et que presque toutes les femmes projettent d'avoir un enfant à un moment de leur vie, et conclus que les choses n'ont pas tellement changé.

Effectivement, je ne suis pas en train de démontrer que la famille est en déroute, et que chacun va terminer sa vie seul. Nous continuerons à avoir des familles, mais ce seront des familles d'un genre différent. Voilà mon point de vue.



# EDIFICATION ( ET DISSOLUTION ) DE LA FAMILLE MODERNE

par le Docteur Edward SHORTER
*Professeur d'Histoire à l'Université de Toronto ( Canada )*

Permettez-moi de commencer par vous dire brièvement où je vis. J'habite à Toronto, rue Markham. C'est l'une de ces rues calmes, où les arbres s'alignent le long de la route, avec de charmantes vieilles maisons de style victorien, à deux étages avec balcons et aux toits en pignon. En avez-vous une idée ? J'aime bien m'asseoir dehors, sous mon porche pour observer les gens.

Au bas de la rue, habite une famille de producteurs T.V., comprenant la femme, la fille et un ami ; plus bas réside un de ces couples "gais" (homosexuels), une sorte de bonhomme amusant en bottes hautes, avec son ami en jacquette courte d'aviateur. A ma droite, vit une femme avec ses trois enfants, issus de deux mariages différents. Elle habite seule.

Mon fils va s'occuper des enfants d'une autre femme abandonnée par son mari quand elle va au ski avec son ami. Juste en face, vit le seul ménage "normal" que je connaisse. C'est une famille nucléaire modèle, si on ne tient pas compte du fait que l'homme en est à son deuxième mariage, et que le couple reçoit un pensionnaire qui mange à la table familiale tous les soirs...

Bon ! Diriez-vous... Shorter n'a vraiment que des amis singuliers, ou bien, il se trouve qu'il habite dans un quartier bizarre ! Mais il ne s'agit pas seulement de moi. Récemment, lors d'une réunion du département d'histoire d'une grande université, le président a annoncé : " Nous aurons un cocktail au niveau de la faculté, vous serez les bienvenus, et nous invitons aussi vos épouses à y assister. Les auditeurs se mirent à rire. Certains commençaient à se dévergonder, d'autres vivaient avec des concubines qui n'étaient pas leurs épouses, et les autres enfin étaient des femmes professeurs qui se trouvaient ne pas avoir "d'épouses". Dans tout le département, il n'y avait que très peu d'épouses disponibles pour ce cocktail.

ce problème dans les pays européens, surtout latins, où la chute vertigineuse des vocations religieuses est le meilleur test chiffré de cet effondrement. Quand on compare cette situation à ce qui se passe dans les pays d'Islam dans le même temps, on constate que, là, c'est une évolution contraire qui se **dessine : l'Islam** est la seule religion présentement en expansion. Il est donc intéressant de noter qu'à notre époque d'un côté, il y a des religions qui reculent pour ce qui concerne leur répartition numérique et que, de l'autre, il y a celle qui progresse à l'échelle mondiale.

Que l'on soit incroyant ou sceptique, Musulman, Chrétien ou Juif, ces données sur les Ecritures Saintes face à la Science, **ne devraient pas laisser** indifférent en raison des éléments d'appréciation nouveaux qu'elles apportent et des perspectives d'avenir qui se dessinent.

La présence dans le Coran de tous ces éléments d'actualité qui ont pris en ce xx^e siècle, grâce aux connaissances modernes, une dimension jusqu'alors inconnue m'invite, en terminant cet exposé, à vous demander de méditer sur ce verset de la sourate :

**كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون . ( البقرة)**

biblique en désaccord absolu avec l'histoire. Comment un homme aurait-il pu, si tel avait été l'auteur du Coran, écarter tout ce qui va être considéré comme inadmissible à l'époque moderne pour ne retenir que ce qui sera exempt de toute critique du point de vue scientifique ? Cette réflexion vaut aussi bien pour le récit du Déluge que pour des énoncés coraniques sur d'autres sujets.

Il faut admettre ici une explication autre qu'humaine qui ne peut être qu'une Révélation, corrigeant les défauts introduits par les hommes dans la rédaction de l'Ecriture antérieure. Nous sommes donc placés par le Coran devant une situation qui donne singulièrement à réfléchir sur les rapports de la Religion et de la Science, traduction, ô combien inattendue pour beaucoup, de l'intrication des domaines de l'une dans l'autre.

La Bible — Ancien Testament et Nouveau Testament — avait donné à méditer sur des oppositions flagrantes entre certains passages de ses textes et les connaissances modernes. Ce qu'il était intéressant de rechercher était la raison de leur présence dans des textes qui apportent par ailleurs une Révélation divine. Ce qui coule de source depuis que l'on a des notions qui jusqu'alors faisaient défaut sur les origines des textes de la Bible, sur leur rédaction et sur leur transmission jusqu'à nous, est que la part des manipulations humaines est considérable, que beaucoup de textes sont des écrits de circonstance, comme le récit sacerdotal de la Genèse, ou même des écrits de combat, comme le dit le R.P. Kannengiesser pour les Evangiles. Dans ces conditions, les incompatibilités avec les connaissances modernes s'expliquent parfaitement : ce qui aurait étonné est qu'il n'y en eût pas.

Le Coran, lui, ne contient rien que la Science moderne puisse rejeter puisque ses énoncés sont conformes à des faits dûment établis, contrôlés et non susceptibles de changement. En outre, nombre de données coraniques n'apparaissent compréhensibles qu'à notre époque. Alors, ici, la confrontation Ecritures Saintes - Science se présente tout autrement. Il n'y a plus de partage à faire entre les deux, singulière différence avec ce que pensent des exégètes de la Bible, aussi éminents que le fut le R.P. de Vaux qui se refusait, en principe, à faire tout rapprochement avec les connaissances modernes, ce qui n'aboutirait, écrivait-il, « qu'à une opposition irréelle ou à un concordisme factice ».

En prenant de pareilles positions, n'aboutit-on pas à des catastrophes. Il faut se rendre compte de l'évidence et l'avouer : n'assistons-nous pas, dans les pays occidentaux à l'influence judéo-chrétienne prédominante, à l'incapacité totale des maîtres de la pensée religieuse à opposer efficacement, à l'aide d'arguments qui porteraient, une digue susceptible de faire barrage au flot envahissant du matérialisme ? Il y aurait beaucoup à dire sur l'évolution des esprits vis-à-vis de

Les notions sur l'astronomie, le contenu des Cieux, les étoiles, les planètes, les mouvements des astres, les précisions sur l'évocation de la nuit et du jour à la poursuite l'un de l'autre avec un mouvement qui rappelle de turban enroulé autour de la tête par l'utilisation du verbe *kawwara,* l'annonce de la conquête de l'espace, tout cela n'est-il pas vérifié à notre époque et à notre époque seulement ?

J'ai consacré dans mon livre plusieurs châpitres aux données du Coran sur la terre, en particulier le cycle de l'eau dans la nature et la formation des reliefs, sur des notions intéressant les sciences naturelles, la physiologie et la reproduction humaine. Tous ces énoncés font dire à qui est objectif et de bonne foi qu'il n'est pas possible qu'un homme, vivant à l'époque où le Coran fut communiqué, ait pu s'exprimer ainsi de sa propre initiative. J'ai attaché une importance tellement considérable à ces faits que je les ais présentés en novembre 1976 à Paris à l'Académie Nationale de Médecine en insistant sur le fait que, compte tenu de ce que nous savons de l'histoire des sciences, il n'existe pas d'explication humaine à la présence dans le Coran de telles affirmations.

Je profite de cette évocation d'une communication à une société savante pour bien préciser que j'ai dû, dans un ouvrage intitulé : « La Bible, le Coran et la Science », utiliser le vocable « science » pour exprimer en un mot ce qui est plus justement appelé connaissances modernes dans le sous-titre du livre. J'ai expliqué que le terme de comparaison profane concernait des faits dûment vérifiés et contrôlés par l'expérience et non susceptibles d'être remis en cause plus tard, alors que la science, changeante selon les époques, émet souvent des théories valables à une période pour expliquer un phénomène ou un groupe de phénomènes et qui pourront être plus tard abandonnés au profit de conceptions plus aptes à faire comprendre les observations faites.

J'aimerais souligner enfin l'utilité d'avoir comparé à la lumière des connaissances modernes des récits coraniques et des récits bibliques d'un même événement. Je l'ai fait tout spécialement pour la Création, le Déluge et l'Exode de Moïse. Je me bornerai à dire que le Déluge par exemple, est fixé par la Bible à une époque où une catastrophe universelle n'a pas pu avoir lieu pour des raisons historiques parfaitement connues seulement à l'époque moderne, tandis que le récit coranique d'un déluge, punition sélective infligée au peuple de Noé pour son impiété et non défini dans le temps, est, lui, exempt de toute critique de ce point de vue.

Or, entre l'époque du récit biblique et celle où le Coran fut révélé à la connaissance humaine, les hommes avaient-ils pu acquérir des connaissances modernes sur ce sujet ? Assurément pas, car entre l'époque ou plutôt les époques de la rédaction des textes bibliques et la Révélation coranique, la seule documentation à ce propos était la Bible. Aucune donnée n'existe sur une connaissance humaine, quelle qu'elle soit, qui aurait pu faire déceler les points du récit

modernes aboutissait à la découverte d'énoncés coraniques en avance de bien plus d'un millénaire sur leur temps. Ce que nous savons de l'histoire des Sciences rend impossible qu'un homme ait pu, il y a près de 14 siècles en être l'auteur. Le Coran offrant à notre réflexion des affirmations qui constituent un défi à l'explication humaine, *par lui* tout parait remis en question de cette antinomie entre Religion et Science.

A vrai dire, comment s'étonner de l'existence de ces données coraniques lorsqu'on médite ce hadith du Prophète : « Recherche la Science même en Chine » ou cet autre : «Recherche la Science du berceau à la tombe ». اطلب العلم ولو في الصين اطلب العلم من المهد الى اللحد . On explique ainsi sans peine le prodigieux développement scientifique entre le VIIIe et le XIIe siècle de l'ère chrétienne en pays islamique alors qu'en pays chrétien c'est toujours le conformisme absolu avec la scholastique triomphante et la stagnation du savoir. A la grande période de Cordoue, on allait de divers pays d'Europe, dans la célèbre Université pour s'instruire des sciences arabe, grecque, indienne ou persane.

Le temps qui m'est imparti ne me permet pas de développer cette confrontation entre le Coran et la Science comme le sujet le mériterait. Je renvoie pour de plus amples détails à mon livre. J'insisterai seulement sur quelques points particuliers.

J'espère avoir tout d'abord montré, en décrivant comment le texte coranique fut révélé, transcrit et transmis, et, en mentionnant l'existence de manuscrits anciens du livre, que le texte possédé de nos jours est rigoureusement le même que celui qui circula dans les premiers temps de l'Islam. Cette certitude est la condition sine qua non de la validité de la confrontation entre le texte du Coran et les connaissances modernes.

Un premier élément d'importance réside dans la comparaison des textes du Coran et de la Bible relatifs à la Création, à la lumière des conceptions générales modernes sur la formation de l'Univers et sur son évolution. On ne retrouve pas dans le Coran les erreurs du texte biblique, constatation qui réduit à néant l'hypothèse qui fut soutenue en Occident — sans le moindre argument d'ailleurs — selon laquelle un homme aurait, pour écrire le Coran, copié la Bible.

Que nous apprend le Coran sur la création du monde ? Comme les données de l'astronomie moderne permettent de le penser, l'Univers s'est formé à partir d'une masse initiale unique, la nébuleuse primitive, qui s'est morcelée par la suite : le Coran nous le dit avec précision, comme il nous parle de l'évolution parallèle des Cieux et de la Terre, de la pluralité des Cieux et de la pluralité des Terres, c'est-à-dire l'existence de mondes multiples et de Terres semblables à la nôtre, ce que les astronomes modernes considèrent comme des plus vraisemblables en dehors du système solaire.

On peut donc dire que les connaissances modernes et les études de la Bible à l'aide de toutes les données utiles à cette recherche ont abouti à transformer en Occident des notions jusqu'alors classiques et indiscutées. Les conséquences en sont considérables. Tout permet de penser qu'en Occident on ne sortira pas du malaise présent par des formules apologétiques, qui ne sont en aucune sorte propices à le dissiper lorsqu'elles s'adressent à des esprits qui réfléchissent, comme ceux de la jeunesse instruite de notre époque.

Passer de cette mise en doute de l'authenticité d'ensemble des Ecritures judéo-chrétiennes à l'aide des données modernes au refus de croire en Dieu c'est malheureusement ce que font bien des esprits troublés par ces découvertes et qui ignorent ou ne veulent pas reconnaître que la Révélation Divine ne s'arrêta pas à Jésus. Refusant de prendre en considération ce que l'Islam pourrait leur apporter, ils arrivent à penser que les connaissances profanes fournissent la clef de tous les problèmes et que la Science toute puissante a définitivement pris le pas sur toute croyance en Dieu.

Bien avant de savoir ce qu'une étude de l'Islam allait me faire découvrir plus tard, j'ai toujours pensé que la connaissance scientifique était, quoiqu'on en dise, très propice à conduire la réflexion sur l'existence de Dieu. En effet, si l'on s'interroge, sans idée préconçue et sans parti pris, sur les enseignements métaphysiques qui découlent de certaines connaissances de notre époque, comme celle de l'infiniment petit ou le problème de la vie, que de raisons trouvons-nous d'axer la réflexion dans ce sens ! Quand on prend en considération l'organisation prodigieuse qui préside à la naissance de la vie et à son maintien, est-ce que la part du hasard n'apparait pas alors comme de moins en moins vraisemblable ? Est-ce que la fantastique complexité des êtres supérieurs ne milite pas en faveur de l'existence d'une organisation extrêmement méthodique ayant présidé à ce prodigieux ordonnancement des phénomènes de la vie ? J'ai trouvé cette compatibilité entre Religion et Science dans une réflexion basée essentiellement sur des données matérielles. Je dois dire que je l'ai retrouvée le jour où — Dieu en soit remercié — j'ai abordé l'étude du Coran et recherché longuement et trouvé dans sa lecture une illustration nouvelle de cette compatibilité entre Religion et Science dont l'examen des textes bibliques aurait pu logiquement m'écarter.

Disons tout de suite que les études objectives du texte coranique à la lumière des connaissances modernes, c'est-à-dire l'application à l'examen d'une Ecriture Sainte des acquisitions de la Science, m'a fait découvrir des énoncés relatifs à de multiples phénomènes naturels qu'on ne peut attribuer à un homme en raison de ce que l'on sait de l'histoire des Sciences. Il m'apparut que les acquisitions de la Science s'avéraient absolument indispensables à la compréhension de nombreux versets et que d'autre part l'étude du Coran à la lumière des connaissances

n'aurait osé mettre en doute le fait qu'ils rapportent avec exactitude les paroles de Jésus : ils étaient, disait-on, l'œuvre de témoins directs de sa Mission. Les Evangiles n'étaient-ils pas appelés les « Mémoires des Apôtres ». Une résolution de 1965 du Concile de Vatican II ne concluait-elle pas formellement dans ce sens ?

Or, voici que quelques années après le dernier Concile, cette conception fut battue en brèche par des travaux parus à partir de 1970, œuvre de théologiens chrétiens eux-mêmes. Ceux-ci ont procédé à une étude rigoureuse des textes avec tous les éléments qu'offrent le savoir moderne en matière linguistique, archéologique, historique, etc... On admet parfaitement aujourd'hui que les quatre Evangiles canoniques ne sont que la traduction de ce que pensaient de Jésus des communautés diverses qui n'avaient pas sur lui, cela ressort des textes, le même point de vue, puisque des événements de sa mission sont traités de façon différente selon l'optique des Evangélistes porte-parole des communautés. Les commentaires de la toute récente Traduction Oecuménique de la Bible (Nouveau Testament 1972), œuvre de plus de 100 spécialistes catholiques et protestants. nous le disent sans la moindre ambiguité ; l'expriment également des travaux de l'Ecole Biblique de Jérusalem, pour ne citer que les plus autorisés. J'ai donné de ces études des références précises et nombreuses dans mon livre « La Bible, le Coran et la Science », qui a été édité en 1976 en français et en 1978 en arabe et en anglais.

A vrai dire le Concile de Vatican II avait cependant fait une exception pour l'Ancien Testament puisqu'il affirmait dans la Déclaration Conciliaire n° 4 que ses livres « contiennent de "l'imparfait" et même du "caduc" ». Les travaux modernes démontrent qu'il est légitime de porter ces mêmes appréciations sur les Evangiles.

Et sur le plan du dogme lui-même, que dire aujourd'hui de travaux comme ceux de ces sept théologiens britanniques, dont le président de la Commission de la Doctrine de l'Eglise d'Angleterre, publiant en 1977 leurs conclusions sous le titre : « Le mythe de Dieu incarné », véritable contestation de la Trinité.

Quant à l'Ancien Testament dont les récits peuvent être contradictoires comme ceux de la Création ou du Déluge, ou tout à fait incompatibles avec des données modernes sur la formation de l'Univers ou des données de l'histoire, comment les prendre au pied de la lettre, tant sont évidentes les manipulations des textes par les hommes au cours des âges. Les connaissances modernes diverses appliquées à l'étude des textes ont ainsi conduit les esprits objectifs à ne plus accorder à la Bible l'authenticité dont elle fut parée, sans aucune preuve, dans les siècles passés.

n'admettent pas qu'un esprit objectif, tout en gardant intacte sa foi en Dieu, ose se pencher sur les fondements de cette foi que sont les Ecritures pour en faire un examen critique, sans préjugé.

L'intransigeance dans le conformisme fait que dans les pays occidentaux à notre époque la croyance en Dieu subit, à mon avis pour cette raison, un grave préjudice.

Dans une première période de notre existence nous acceptons sans discuter ce que dans ce domaine on nous enseigne : l'enfant reste très sensible jusqu'à un certain âge à des considérations où le mystère a une grande place et accepte facilement ce qu'on lui présente comme des vérités qui ne se discutent pas. Certains conservent à l'âge adulte cette même soumission aux enseignements de l'enfance et même donnent une grande place dans leurs croyances religieuses à ce qui relève d'états d'âme particuliers, au demeurant fort légitimes. Mais généralement le sentiment de foi subit de rudes assauts à partir du moment où l'individu grandit, est instruit sur le monde qui l'entoure et regarde avec admiration les réalisations humaines basées sur le savoir profane progressant à notre époque de façon vertigineuse. Pris dans le tourbillon du matérialisme alléchant, comment le jeune homme moderne ne serait-il pas gagné par sa séduction?

De ce fait, le sentiment religieux en Occident, sous une influence judéo-chrétienne prédominante, accuse actuellement une chute impressionnante. Sa traduction matérielle est mesurable avec une rigueur absolue : on la trouve dans le déclin des vocations religieuses parmi les jeunes. En voici un aperçu :

Selon les statistiques de l'Episcopat français, il y avait en 1965 en France approximativement 36.000 prêtres. Le corps ecclésiastique aurait pu se renouveler de façon satisfaisante avec un apport moyen annuel de 1 500 nouveaux prêtres. Mais en 1967 ceux-ci n'étaient plus que 489 ; depuis, leur nombre a régulièrement baissé pour tomber à 136 en 1976 et à 99 en 1977. Le nombre d'étudiants inscrits dans les séminaires est tel qu'on peut être assuré que pour les toutes prochaines années moins de 100 prêtres nouveaux seront formés chaque année, ce qui permet de dire qu'à ce rythme et compte tenu du nombre, croissant chaque année, des démissions, l'Eglise n'aura plus que des effectifs squelletiques dans très peu de décennies.

Une des raisons fondamentales de cette désaffection de la jeunesse pour la vie religieuse en pays chrétien est la perte de la crédibilité dans les Ecritures bibliques et je m'en explique :

Jusqu'au Concile de Vatican II (1962 - 1965) on ne discutait guère, en dehors du cas de rares spécialistes, de l'authenticité des textes de la Bible qu'on acceptait en leur état actuel. C'est ainsi que, pour ce qui concerne les Evangiles, personne



# RELIGION, ECRITURES SAINTES ET SCIENCE

**par le Docteur Maurice Bucaille**

*Ancien Chef de Clinique Chirurgicale à la Faculté (Université de Paris)*

*Membre de la Société Française de Gastro-Entérologie et membre de la Société Française d'Egyptologie - PARIS (France)*

Quelles raisons avons-nous au XX^e^ siècle de croire en Dieu ? La question est posée ici en introduisant dans son énoncé le facteur « temps », c'est-à-dire en prenant en considération des motifs particuliers au monde moderne. En effet, ce n'est pas un des moindres paradoxes de notre époque que des motifs en relation avec la science puissent écarter certains de la croyance en Dieu alors qu'ils fortifient d'autres dans cette même croyance.

On a voulu en effet au nom de la raison retirer toute crédibilité à l'héritage religieux que, sous des formes diverses, en des régions différentes, nous ont légué les siècles passés. On a voulu ne faire confiance qu'au savoir humain en incessant progrès dans la connaissance rationnelle de la vérité et ne voir dans la religion que le produit d'une imagination dépourvue de contrôle. On a ainsi écarté à priori tout document relatif à la croyance en Dieu : on accepte de tenir compte de ce que Platon a pu écrire sur Socrate dont on ne nie pas l'existence, mais que l'Ancien Testament ou le Coran parlent de Moïse et que les Evangiles nous transmettent les récits concernant Jésus, leurs textes ne sont pas jugés crédibles et on les rejette en bloc en raison de la nature des sujets traités. Telle est l'attitude des négateurs de l'ordre surnaturel dont les prises de position ont eu, en Occident, une grande faveur auprès des intellectuels du XIX^e siècle et ont conduit à l'élaboration de la théorie du matérialisme athée.

A l'opposé il y a ceux qui croient en Dieu, mais hélas ! dans les pays occidentaux — les seuls sur lesquels je me permets de porter un jugement à cet égard — trop nombreux sont encore ceux qui, du fait de leur éducation passée et d'enseignements actuels encore figés dans une rigidité inflexible,



*Vue partielle de la salle.*

(35) De Lartigue : **Monographie de l'Aurès** (1904).

(36) Archives Outre-Mer 8 X 222.

(37) Un rapport militaire note naïvement qu'il « a certainement joué un rôle dans les événements puisqu'il a été arrêté et incarcéré ». Jugé administrativement par la Cour disciplinaire, il ne fut condamné qu'à un an d'emprisonnement et 1.000 francs d'amende, ce qui semble prouver qu'on n'arriva pas à réunir de preuve contre lui.

(38) On jugera du zèle naïf de ce marabout à telle de ses proclamations : « Ne voyez-vous pas le gouvernement traiter tous ses sujets sans distinction de caste, ni d'origine ? Leur accorder la même sollicitude et la même compassion, étendre ses faveurs et ses bienfaits à tous (...), prodiguer ses bontés aux différentes classes de la population ».

(39) Cf. la carte **in** Archives Outre-Mer 8 X 222. A remarquer que, lorsque les renseignements fournis donnent des chiffres différents, les militaires retiennent toujours les plus élevés...

(40) La preuve **a contrario** est fournie par la révolte du douar Magra qui se détermina malgré les prédications et admonestations de son muqaddam. Mais il ne faudrait pas non plus en tirer la conclusion que les insoumissions se produisirent systématiquement contre les marabouts, ni mettre en doute la profonde religiosité des Chaouïas peut-être supérieure à celle des Arabes des Hautes Plaines.

(41) Selon Luciani, les Ouled Bou Aoun conservaient encore en 1888, le souvenir des deux çoffs qui divisaient le Bélezma avant 1830. Mais les collectivités insurgées se retrouvent dans les deux anciens çoffs : Ouled Chelih, Ouled Sidi Abderrahmân d'une part, Brakta, Halimïa, Ouled Fatma d'autre part, et rien n'indique que les querelles de çoff se soient maintenues entre elles.

(42) On en pourrait dire autant pour une autre famille ralliée, celle-ci de noblesse religieuse, les Ben Nacer de Khanga Sidi Nadji. Liée aux Ben Ganah, elle se montra également impuissante à empêcher l'insoumission chez les Ouldja Chechar. Inversement, les Ouled Derradj entrèrent en insurrection après avoir tenté en vain de rallier à leur cause le vieil aghâ Debbah, chef des Bou 'Okkaz, rivaux des Ben Ganah.

(43) La rédaction concise de certains télégrammes précise bien la portée de ces stéréotypes. Ex. : « Dans la commune mixte d'Aïn M'lila, sur 735 conscrits 646 ont été emmenés, 89 absents. Les Chaouïas seuls ont résisté. Les tribus arabes se sont soumises sans difficultés » (17 décembre) ; télégramme du 22 décembre : « Le douar Ras el-Aïoun a envoyé aujourd'hui tous ses conscrits. Ce douar de 8.000 habitants avait annoncé, dès les premiers jours, qu'il restait fidèle : il est arabophone ». A. G. 5 N 210.

(44) On comptait 8 écoles indigènes dans la commune mixte de l'Aurès sur 21 dans l'arrondissement de Batna.

## CONCLUSION

(45) Au 12 février 1917, avaient rejoint 6.358 conscrits sur 6.643 appelés dans le département de Constantine (pour le service armé) et 4.612 pour le service auxiliaire sur 4.796. (A. G. 4.612). Le département d'Oran n'eut que 5 insoumis sur 5.652 appelés.

(46) Au mois de janvier 1917, les conscrits du douar M'zala (commune mixte de la Soummam) et ceux du douar Maâdid (commune mixte des Maâdid) refusèrent de rejoindre : trois conscrits de Nedroma s'enfuirent au Maroc.

(16) En revanche, ont rapporta que chez les Beni bou Sliman un fils aurait tué son père qui voulait le faire inscrire (ou l'avait fait inscrire) sur les listes des conscrits.

(17) Pétition des notables de Constantine du 26 septembre 1916 (avaient signé notamment : le Dr Moussa, Benbâdis Mohammed, Lefghoun, Ourabah). Cf. aussi la protestation des notables de Chateaudun du Rhummel (13 septembre) et de ceux de la région de Batna. (Archives Guerre 7 N 2.116). Selon le gouverneur, les Jeunes Algériens auraient fabriqué de prétendues pétitions venant des douars de Barika. (Archives Guerre 5 N 154).

(18) Ali ben Ahmed ben Zeimat et son frère Messaoud devaient tenir la montagne de 1915 à 1921. Ben Noui fut pris en février 1917 ; considéré comme l'assassin de l'administrateur il fut condamné à mort.

(19) C'est sur cette dénonciation que fut poursuivi le cheikh de Seggana, Mohammedi el-Hajj, dit Beloudini.

(20) Rapport du capitaine Fournier, chef de l'annexe de Biskra (12/12/1916). Archives d'Outre-Mer 8 X 221.

(21) Le nom d'Ouled Bou Aoun désigne à la fois les populations situées dans la plaine d'El-Ksar et des fractions qui n'avaient ni la même origine, ni la même coutume, notamment les Halimïa qui habitaient les flancs du djebel Mestaoua et les Ouled Fatma (ces deux dernières fractions passaient pour les plus belliqueuses et les plus intrépides de la région). Il serait donc vain d'affirmer leur solidarité tribale.

(22) Il en allait de même dans le Metlili. Les gens du douar Tilatou considéraient que la forêt domaniale leur appartenait et persistaient à y labourer et à y faire pacager. La brigade des Tamarins multipliait contre eux les procès-verbaux et les exaspérait.

(23) Est-ce un hasard si ces trois fractions Ouled Ali, Ouled Mehenna et Ouled Mohammed, furent également celles qu'Oscar Depont considère comme ayant dirigé le mouvement de rébellion ?

(24) Le 25 mars 1917, le gouverneur Lutaud écrivait avec cynisme : « La famine qui menace de sévir, dès la fin de l'été, conduira fatalement les indigènes aux engagements dans les tirailleurs et dans les travailleurs ».

(25) Le chiffre de 250 lui-même étonne, puisque le même inspecteur notait qu'il y en avait eu 153 engagés volontaires et 313 appelés.

(26) La nouvelle réglementation des dispenses, plus restrictive, fut signifiée le 18 octobre. Les frères d'engagés n'étaient plus dispensés. Or dans certaines familles, un fils s'était engagé pour mettre ses frères à l'abri. Elles purent juger avoir été trompées.

(27) Le Tribunal répressif de Batna eut à juger pour insoumission, le 28 décembre 1916, deux enfants, l'un de 12 ans, l'autre de 14 ans, que le cheikh avait inscrits sur la liste des conscrits de la classe 1917.

(28) Selon les informateurs « les cheikhs se sont livrés pour la plupart à un fourbi formidable qui a mécontenté les indigènes ». Quelques dénonciations donnant des chiffres suspects : l'aghâ Bou Hafs aurait demandé 500 F. par tête pour faire exempter les conscrits. A Barika, les **Kebar** exigeaient seulement 20 F.

## III - Les explications de l'administration coloniale

(29) Je me permets de renvoyer sur cette question à mon ouvrage **Les Algériens musulmans et la France**, tome II, p. 1.174 à 1.189.

(30) Archives Outre-Mer 9 H 5.

(31) En septembre 1916, les Services français avaient saisi en Algérie huit de ces brochures de propagande en arabe, mais ils avaient recensé au total 110 factums de propagande germanophile.

(32) Cité par le rapport Flandin (26 novembre 1917).

(33) Elle annonçait la prochaine arrivée de Sliman el-Barouni, bien connu dans le M'zab qu'il avait visité en avril 1914.

(34) A trois reprises, la propagande allemande annonça que le capitaine Khaled dirigeait un mouvement insurrectionnel dans le Sud algérien. Sa famille avait, il est vrai, rejoint Tétouan et, selon le maréchal Lyautey, Khaled avait envoyé à son oncle en 1915 une correspondance « des plus suspectes. Mais il y avait en outre une correspondance secrète doublant la première, qui ne laissait aucun doute sur les véritables sentiments de Khaled à notre égard et sur ses sympathies pour l'entreprise de son oncle contre nous ». (Lettre à Clémenceau, 26 octobre 1917).

# NOTES

(1) Dans l'Algérie coloniale on appelait « région des Aurès » tous les massifs montagneux allant du Bélezma aux Nememcha, ce qui représentait la majeure partie de l'arrondissement de Batna.

(2) Ont été consultées les Archives de la Guerre à Vincennes (A.G.), celles d'Outre-Mer à Aix-en-Provence (A.O.M.), ainsi que celles des commissions du Sénat et de la Chambre des Députés, et en outre, les débats des Délégations financières. Les fonds Clémenceau et Lebrun, les papiers du général de Bonneval ont été spécialement mis à contribution, ainsi que les divers rapports d'enquête sur les troubles insurrectionnels.

## I - Bref historique des evenements

(3) Le général Deshayes de Bonneval a longuement détaillé toutes ces opérations dans un **Historique des troupes du Sud-Constantinois** du 1er novembre 1916 au 15 février 1917 et dans un second historique couvrant la période du 15 février au 30 avril. On peut les compléter grâce aux télégrammes du général Moinier, commandant en chef du XIXe corps.

(4) Le journal **Iqdam** écrivait en septembre 1922 : « En 1916 - 1917, on a enfumé, rôti, lardé les indigènes qui s'étaient révoltés contre la conscription et l'envoi aux tranchées... Les horreurs de Bélezma sont encore présentes à nos mémoires. Nous savons de quoi sont capables ces troupes livrées à leur instinct animal. ».

(5) Le général Moinier expliquait ce 22 décembre : « Les modifications survenues dans l'attitude des révoltés ; le grand nombre de conscrits inscrits d'office et de déserteurs amenés, la régularité des opérations de recrutement dans les communes voisines des régions en révolte sont preuves de changements notables, auxquels arrivée 250me brigade n'est pas étrangère ».

(6) La commission parlementaire d'enquête retint des chiffres voisins et trouvait 75.906 habitants dans les douars rebelles, dont 10.221 dans la commune mixte d'Aïn M'lila, soit 65.684 habitants pour l'arrondissement de Batna et sur une population totale de 289.898 habitants, 22,6 %. (Le pourcentage atteindrait 30 % par rapport à la population des 6 communes mixtes seules). Octave Depont écrit de son côté : « Les tribus effectivement soulevées ne représentent qu'un peu plus de 20 % de la population totale de l'arrondissement »

(7) Au cours de leurs tournées, les colonnes françaises récupérèrent au total « 3.759 fusils ou pistolets » : vieilles armes de chasse, fusils arabes à pierre.

(8) Ces évaluations sont en fait des maxima L'administrateur de la commune mixte de Bélezma évaluait le 24 novembre 1916, le nombre des rebelles entre 1.000 et 3.000. Le service des renseignements a retenu 2.453 (en fait 2.463 par suite d'une erreur d'addition).

(9) Dans son premier historique, le général de Bonneval affirme par exemple, que la commune mixte d'Aïn el-Ksar se joignit aux rebelles, mais il ne fait état que de douars ayant « connu une certaine effervescence » ou « partiellement contaminés ». Aucun des rapports ne les range parmi les douars rebelles. Le préfet de Constantine s'opposa en janvier 1917 à ce qu'une colonne y vint en opération.

## II - Un essai d'enquete historique

(10) Au 7 octobre 1916, le Ministère de la Guerre avait enregistré 7.822 Algériens tués, 30.354 blessés et 2.611 prisonniers.

(11) Archives de la Guerre 7 N. 2.116.

(12) Ces deux rapports sont restés inédits et figurent aux Archives de Vincennes, mais d'autres exemplaires existent à Aix et à Alger. Le Rapport Flandin peut être lu aux Archives du Sénat.

(13) « Dans l'arrondissement de Batna, les divers soulèvements (...) ont placé au premier plan de l'action une confrérie religieuse que nous retrouvons au même plan en 1916 ». **Les troubles insurrectionnels...** p. 231.

(14) D'après le sénateur d'Alger Colin déposant devant la commission sénatoriale de l'Armée, le 23 décembre 1916, une sorte de procession hostile à la France se serait déroulée à Biskra peu après la déclaration de la guerre.

(15) Cité par O. Depont : p. 241. Le même auteur parle aussi des « propos subversifs du cadi de Tolga, dont le fils aidé de trois ou quatre Jeunes Algériens, faisait prendre copie de tracts anti-français ornés de l'étoile et du croissant islamiques ».

Collectivités considérées comme « rebelles »
par le commandant en chef des troupes du Sud-Constantinois
au 17 décembre 1916

Commune mixte de Barika :

| | | |
|---|---|---|
| douar | Barika | : 4 mechtas |
| » | Metkaouak | : 2 fractions (5 mechtas) |
| » | Magra | 2 » |
| » | Aïn Kelba | : 1 » |
| » | Seggana | : en entier |
| » | Sefiane | : 2 fractions |
| » | Ouled Si Slimane | : 2 » |
| » | N'gaous | : 2 » |

Commune mixte de Belezma :

douars Merouana, Morcounda, Ouled Fathma : en entier
+ Ouled el-Ma partiellement.

Commune mixte d'Ain Touta :

douars Tilatou, Briket et Ouled Aouf : en entier
+ 2 mechtas du douar Ouled Chelih.

Commune mixte d'Ain El-Ksar :

« Une certaine effervescence a régné dans les douars Chemora, Hermane, Harakta Djerma, dans une partie du douar Ouled Amor ben Fadel », mais aucun douar n'est considéré comme rebelle.

Commune mixte de Khenchela :

| | | |
|---|---|---|
| douar | Ouldja Chechar | : 2 fractions |
| » | Alienas | : 2 » |

Commune mixte de l'Aures :

douar Zellatou : 3 sous-fractions

TABLEAU RECAPITULATIF DES POPULATIONS « REBELLES »

| Communes mixtes | Nombre de douars considérés comme «rebelles» | Population totale de la commune mixte | Population des douars « rebelles » | Nombre de « rebelles » | Douars dits « contaminés » |
|---|---|---|---|---|---|
| BARIKA | 8 sur 13 | 48 139 | 29 207 | 2 463 | |
| BELEZMA | 3 sur 14 | 41 288 | 8 448 | 142 | 1 |
| AIN TOUTA | 3 (*) sur 15 | 31 337 | 8 450 | ? | 3 |
| AIN EL-KSAR | 0 sur 18 | 27 671 | 0 | 0 | 4 ou 5 |
| KHENCHELA | 2 sur 17 | 65 345 | 8 267 | 9 ou 61 | |
| AURES | 1 sur 15 | 34 326 | 6 437 | 290 | |
| Total des 6 communes mixtes de l'arrondissement de Batna | 17 sur 92 | 248 106 | 60 809 | 2 904 ou 2 956 | |
| AIN M'LILA | 4 ou (**) 5 sur 21 | | 13 899 | ? | |
| TOTAL 21 ou | 22 sur 113 | | 74 708 | | 8 ou 9 |

(*) 3 *douars et 2 mechtas du douar Ouled Chelih.*
(**) 4 *douars selon le Rapport Depont.*

plus large que les vieilles solidarités porta les hommes les plus décidés à choisir l'insoumission ou la révolte. Devant ce qui apparut être un enrôlement général des hommes décrété par les Chrétiens, l'esprit de résistance fut quasi-unanime. Mais beaucoup se réfugièrent dans l'attentisme. Ne se révoltèrent que quelques hommes jeunes des douars les plus pauvres et dans les cantons où les conditions géographiques permettaient d'offrir aux insoumis des refuges naturels.

Cette révolte populaire, échelonnée dans le temps et dans l'espace, sans chef connu ou sans direction collégiale qui eussent pu la coordonner, fut donc facilement, sinon rapidement, écrasée. Il y fallut tout de même deux mois là où en 1879 il avait suffi de deux semaines. Mais la chasse à l'homme se poursuivit plus longtemps et les autorités françaises parlèrent du banditisme comme l'une des séquelles de la révolte manquée.

En fait, celle-ci avait seulement visé, plus ou moins consciemment, à faire renoncer, comme en 1914, les autorités coloniales à leur projet d'enrôlement massif. Mais il s'avéra que celles-ci entendaient au contraire ne pas reculer et qu'elles réagirent avec brutalité. Dès lors, la plupart des hommes réfléchis jugèrent, pour reprendre le propos de certains Aurassiens, que « les gens du Belezma étaient insensés pour se lancer dans une pareille aventure ». Découragées, les *djemâ'as* livrèrent peu à peu les conscrits, les remplaçants ou les travailleurs requis ; seuls, quelques hommes armés s'accrochèrent tentant de délivrer ces hommes « non pas donnés mais pris » comme le disent certains.

Enfin, il ne faudrait pas oublier que si notre étude a privilégié l'arrondissement de Batna, cette région ne fut pas la seule à manifester son insoumission (45) avant de devoir s'incliner devant la force. D'autres opérations militaires eurent lieu simultanément, dans le Dahra notamment où il y eut plusieurs centaines d'arrestations ; mais partout ce que l'administration appelait « l'enlèvement des conscrits » fut obtenu sous la menace. Tirant le bilan matériel, le haut-commandement jugea qu'il avait dû distraire 6.000 soldats du front pendant quelques semaines, mais qu'il avait obtenu 25.549 recrues de la classe 1917. Les trois députés de la commission d'enquête conclurent eux aussi : « Nous avions besoin d'hommes ; nous avions en conscience le droit de les demander ; nous les avons eus ».

Charles-Robert Ageron
*Professeur d'Histoire contemporaine*
*à l'Université François-Rabelais*
*Tours (France)*

d) *Une révolte berbère ?*

Enfin, on pense inutile de s'appesantir sur la thèse raciale d'Octave Depont selon laquelle la révolte fut le fait des seuls Berbères Chaouïa de la montagne, ces rebelles par atavisme : « Les Chaouïa de l'arrondissement de Batna se sont insurgés sous tous leurs dominateurs. Il ont la rébellion dans le sang ». Or, le fait est que la très grande majorité des Chaouïa de l'Aurès proprement dit (à l'exception de trois sous-fractions) ne se révoltèrent pas et ne tirèrent pas un coup de feu contre les colonnes du général Bonneval. D'autre part, les premières rébellions furent le fait des tribus de la plaine du Hodna oriental, de part et d'autre du chott el-Hodna, et nul n'ignore que celles-ci sont purement arabes et de parlers bédouins. Les insoumis se réfugièrent dans la montagne bien qu'ils ne fussent pas berbérophones. Une révolte berbère. Telle fut pourtant la réaction immédiate du gouvernement général (43) et il fut désormais entendu dans ce milieu que seules « des populations sauvages et frustes, Berbères de race chaouïa, avaient pu s'insurger contre la France ». En laissant entendre que seules « ces régions fort arriérées, ayant à peine et quelquefois pas du tout pris contact avec la colonisation », s'étaient soulevées, on innocentait du même coup le refoulement colonial. En l'on affirma même aux parlementaires que là où l'autorité coloniale avait créé des « écoles indigènes », dans la vallée de l'oued Abdi notamment, « nous avons trouvé aisément des conscrits et des engagés volontaires » (44).

## CONCLUSION

Les mouvements d'insoumission et de rébellion du Sud-Constantinois ne furent nullement comparables à ceux que la région avait connu au XIXe siècle. Ils ne paraissent imputables ni à la Rahmâniyya, ni à la rivalité de grandes familles soucieuses de s'évincer ou de se prémunir, comme en 1871, contre l'éventualité d'un abandon de l'Algérie. Ils furent une réaction collective quasi spontanée contre les exigences militaires insupportables du pouvoir colonial. Si l'on ne décèle pas de mot d'ordre précis, de refus généralisé qui aurait été lancé par des notables traditionnels ou des chefs improvisés, c'est peut-être seulement parce que, instinctivement, les populations étaient opposées à la mobilisation générale et entendaient s'y soustraire dans toute la mesure du possible. Aussi bien, les notables, marabouts ou caïds, étaient tous trop liés aux autorités françaises et la plupart s'étaient trop compromis pour être encore entendus. Ils ne purent empêcher le mouvement de révolte qui grondait dans la plèbe et ne voulurent pas en prendre la tête parce qu'ils le jugeaient vain.

Dans les régions voisines du Bélezma où flambaient les haines contre les récents refoulements de la colonisation ou dans les djebels Zellat ou Chechar qui vivaient trop à l'écart de la vie européenne pour n'attacher point foi à certaines rumeurs (le départ des Français, l'absence totale de troupes), un réflexe collectif

Seules quelques apparences ont pu tromper les commentateurs du temps. Que ces deux familles en particulier, traditionnellement opposées, aient avisé leur rivalité en cette période troublée est certes incontestable. L'assassinat, le 9 octobre 1915, du bâchaghâ 'Ali Bey ben Mihoub ben Chenouf autorisait les pires hypothèses. Inculpé de complicité dans ce meurtre, le *caïd* Mohammed Lazhari ben Ahmed Nacer était lié aux Ben Ganah. Par ailleurs, le chef du *bayt* Ben Ganah depuis 1910, Bouazîz, bâchaghâ des Zibân, multipliait les accusations contre le nouveau chef des Ben Chenouf, Si Bou Hafs ; à l'en croire, ce dernier avait annoncé publiquement à Sidi Okba l'insurrection imminente de l'Aurès. Il avait installé une garde composée d'Ouled Zian et de 80 cavaliers du Zab Chergui dans son bordj de Tkout et emmagasiné des armes à M'chounèch. Mais menaçait-il pour autant les Ben Ganah en se préparant à l'insurrection ou songeait-il seulement à sa propre défense ? Le vieil aghâ Bou Hafs, qui devait mourir en 1918, se préparait si peu à la rébellion qu'il prévint l'autorité française du danger et lui permit de prendre à temps les mesures militaires. C'est contre le soulèvement possible de ses administrés qu'il entendait se prémunir. Toutefois, lorsque le gouverneur Lutaud vint à Arris lui intimer l'ordre d'évacuer sa garnison de Tkout, il obéit malgré ses craintes.

Inversement, Si Bou Hafs accusait Bouazîz ben Ganah de tenter de soudoyer les gens de son clan par des dons divers et de dresser les autorités militaires contre lui. Il remontrait aux officiers que c'était là une détestable politique car, rappelait-il, « lorsque l'autorité française retire sa confiance à un chef indigène, ses amis à leur tour deviennent hésitants et les choses tournent mal ». On peut supposer que c'est lui qui dénonça le premier à l'administrateur de Barika, comme étant déjà réalisée, une velleité d'intervention des goums de Ben Ganah, levés au lendemain des événements du 11 novembre. Pénétrer en territoire civil était une illégalité ; intervenir auprès des Saharis en était une autre. Ben Ganah, bien défendu par les militaires qui avaient plus ou moins sollicité ces gestes, n'eut aucune peine à se justifier. En envoyant quelques goumiers dans le sud de la commune de Barika, à M'doukal, il entendait maintenir ses anciens administrés, les Sahari, dans l'obéissance et les réconcilier avec les Ouled Zian qui passaient pour dévoués aux Ben Chenouf. Il n'y réussit pas totalement puisqu'une partie des Sahari s'insurgea dans le douar Bitam et que la réconciliation entre Sahari et Ouled Zian se fit sous les auspices du sous-préfet de Batna.

Si l'on rapproche cet échec de celui de l'aghâ Bou Hafs qui ne réussit pas à éviter l'insubordination des Beni bou Slimân, on mesure à cette double impuissance des deux dernières grandes familles du Sud-Constantinois les limites de leur influence (42). Leur rivalité n'eut qu'une portée insignifiante dans le mouvement.

le « concours dévoué et désintéressé » (38). Toutefois, la grande majorité de ces marabouts se seraient montrés passifs, ce que Depont interpréta comme un attentisme volontaire. Il demeure que 3 seulement furent arrêtés, alors qu'on en comptait 7 dans la commune mixte d'Aïn Touta, 12 dans celle de Barika et 36 ou 40 dans celle de Belezma. Dans la commune mixte d'Aïn Khenchela, l'administrateur notait « qu'aucun personnage religieux n'avait manifesté quelque hostilité ; mieux, beaucoup sont intervenus en notre faveur ».

Les militaires qui firent procéder au rassemblement de toutes les données statistiques sur les confréries du Sud-Constantinois purent sans doute constater que l'implantation des *zâwiya* ne coïncidait nullement avec les épicentres de la rébellion (39). Dans la commune mixte de Barika la plus agitée, ne se trouvait aucune *zâwiya* et le nombre des *ikhwân* était particulièrement faible 920 sur 41.288 habitants ; dans la commune d'Aïn Touta ne se trouvaient aussi que 1.200 affiliés pour 31.337 habitants. Au contraire, dans la commune mixte de l'Aurès où l'on comptait 6 *zâwiya*, 3.600 *ikhwân* de la *Rahmâniyya* et 330 de la *Qâdiriyya* pour 34.326 habitants, un seul *duwâr* se révolta. Autant dire que la résistance à la conscription n'eut rien à voir avec la densité d'affiliés ni avec l'implantation ou l'encadrement confrérique (40).

c) *Les rivalités de çoffs ?*

Une autre explication, traditionnelle dans l'Algérie coloniale, ne manqua pas d'être avancée : La révolte aurait été amenée en partie par l'action des çoffs familiaux et elle aurait épousé les limites géographiques de leurs influences respectives. Avouons qu'après en avoir examiné le bien fondé, cette thèse nous paraît devoir être rejetée.

D'abord, pour en établir la vraisemblance, il y aurait à prouver que les çoffs de l'Aurès et du Bélezma (existaient-ils encore dans cette dernière région ?) se confondaient avec l'influence des Ben Ganah, des Ben Chenouf, voire des Bou 'Okkaz et des Ben Nacer. Il faudrait ensuite démontrer que les populations du Sud-Constantinois restaient encore dociles au commandement de ces grandes familles de *jawad* dont la plupart avaient vu leur autorité affaiblie, voire annihilée, en territoire civil : « les *Douaouda* du Bélezma sont rentrés dans l'ombre » notait Luciani en 1888 (41).

Il resterait enfin à expliquer comme les Ben Ganah et les Ben Chenouf, considérés comme très « loyalistes » envers la France, auraient pu vouloir pousser à l'insurrection.

b) *L'action des confréries ?*

A côté des « menées anti-françaises venues de l'étranger », éternelle et paresseuse explication de nos administrations coloniales, l'inspecteur général Depont et une partie de l'opinion française en Algérie mirent en cause, d'une manière non moins traditionnelle, l'action occulte des confréries musulmanes, « les exhortations de mystiques abrités dans leurs zaouias », ainsi qu'il fut dit aux Délégations financières.

Comme les populations du Bélezma et de l'Aurès étaient essentiellement affiliées à la confrérie *Rahmâniyya,* avec même dans certaines régions une adhésion massive à cet ordre depuis longtemps implanté — (quelque 6.000 *khouân* sur 60.000 habitants dans la commune mixte de Khenchela, selon le colonel de Lartigue en 1904 (35), mais 12.334 en 1916 selon l'administrateur (36) — nombreux furent ceux qui voulurent se persuader que la rébellion lui était imputable. Mais ils eurent quelques difficultés à trouver des responsables (« On n'a pu encore découvrir la main d'aucun marabout », télégraphiait le 23 novembre le gouverneur Lutaud, franc-maçon combatif qui exécrait les hommes de religion). Finalement, O. Depont incrimina la *zâwiya* de Tolga qui étendait son obédience sur une grande partie du Bélezma pour n'avoir pas « tenté de calmer l'agitation ». Il affirmait avec quelques réserves que « l'action maraboutique suggérée et conduite par une partie des Rahmanias du Bélezma semblait obéir à un mot d'ordre du cheikh de Seggana, le mokaddem Beloudini. ». Tel était, paraît-il, la « rumeur publique » (en fait, quelques dénonciations d'Européens et de Musulmans). Or, ce cheikh, alors âgé de 51 ans, n'avait que peu d'influence religieuse, bien que la *zâwiya* de Tolga l'ait défendu, et il n'était pas jugé suspect par son administrateur. Mais il était riche — 6.000 francs de rentes sans compter son traitement —, avait fait deux voyages à La Mecque, fréquentait les jeunes Algériens et fut dénoncé par le khodja de N'gaous où il exploitait une ligne de diligences. Son administrateur ayant demandé alors sa révocation, il fut arrêté et incarcéré, puis condamné. Il était connu comme adversaire du bâchaghâ Ben Ganah qui ne fut peut-être pas étranger aux rumeurs le désignant comme l'organisateur du soulèvement

Un second ***muqaddam*** fut arrêté, Mohammed Rahmani. Résidant dans la mechta Khanzaria, « centre du soulèvement », bien qu'il eût sauvé la femme et les filles de l'administrateur de Mac-Mahon, sa présence sur les lieux fut jugée suspecte par O. Depont. Mais ce dernier cite avec éloge quelques dignitaires de la Rahmâniyya qui intervinrent en faveur des Français, notamment 'Abdes-Semed de la *zâwiya* d'Aïn Chefâa (commune mixte d'Aïn el-Ksar) qui servait aussi d'informateur à l'administration et surtout Si Touhami Hassouni Chérif, *muqaddam* du douar Magra, dont la commission parlementaire soulignait déjà

et le Gouverneur général Lutaud n'hésita pas à affirmer devant les Délégations financières que « l'insurrection de l'Aurès était attendue par les Allemands ». Mais il n'en donna jamais aucune preuve dans ses rapports au gouvernement, tandis que Depont s'efforça laborieusement de rassembler quelques indices peu convaincants. Certes, les informateurs musulmans firent état de rumeurs qui couraient dans les douars : « Des étrangers étaient venus aider les Beni Bou Sliman avec des canons » ; « on dit que les Snoussis menés par des officiers turcs, allemands et autrichiens préparaient le soulèvement de la Tunisie et de la frontière saharienne ». Et l'on prétendait même que des Allemands, des légionnaires déserteurs, conseillaient les bandes rebelles. Mais ce sont là pures fabulations.

Est-ce à dire qu'il n'y ait pas eu de propagande étrangère pour inciter les Algériens à la révolte ? On sait au contraire le grand effort des Germano-Turcs pour inonder l'Algérie de factums incendiaires : *Appels à la guerre sainte. Lettres de Si Ali Pacha, fils de l'Algérien 'Abdel Qâdir,* etc... (29). Certains disaient l'opposition des notables à la conscription et concluaient : « La population ne doit plus se contenter de faire des réclamations ; elle doit suivre une voie plus énergique » (30). Tel autre promettait le secours d'armées ottomanes : « Sachez que si vous faites éclater une insurrection dans votre pays contre l'ennemi et que votre résistance se prolonge, nous arriverons rapidement à votre secours, envoyés par l'Emir des Croyants ». Et ce libellé promettait formellement : « Tous les biens que les oppresseurs français ont spoliés à vos ancêtres seront partagés entre tous ceux d'entre vous qui auront participé à sa délivrance ». Parmi cette littérature de propagande (31), on relève même une « poésie à l'adresse des Chaouïas » dont le texte n'a malheureusement pas été conservé et des tracts en arabe dialectal où l'on expliquait la conscription par la peur des Français. C'était pour éviter une insurrection que la France entendait mettre les Algériens hors d'état de nuire, en les envoyant se faire tuer (32).

Il est naturellement impossible de savoir si cette propagande germano-turque eut une influence sur les lettrés du Sud-Constantinois. Qu'ils aient connu certains de ces textes est probable, puisqu'on saisit en automne 1916 une proclamation de guerre sainte faite par le sultan de Stamboul (33). Mais, même « les fausses nouvelles issues des manœuvres allemandes n'ont eu sur la révolte qu'une influence très indirecte », concluait sagement la commission des Affaires extérieures. Aucun révolté, ni aucun dénonciateur, ne firent allusion aux événements de Tripolitaine ou au mouvement anti-français dirigé dans le Rif par 'Abdal Malik, petit-fils d'Abdel-Qâder. Seuls les citadins des grandes villes eurent peut-être vent des informations allemandes qui associaient l'émir Khaled à l'entreprise de son oncle 'Abdal Malik.

et les miséreux. Cette argumentation, qui paraît à première vue éclairante, est toutefois assez inexacte. Certes, le décret du 7 septembre 1916 autorisait la suspension du droit de dispense et de remplacement, mais le gouverneur fit savoir, le 22 septembre, qu'il ne pourrait appliquer pareille mesure et obtint satisfaction. Au Ministère de la Guerre où l'on pensait qu'« étendre la conscription forcée, ce serait jeter dans l'opposition les parties influentes du milieu arabe, et c'est alors que le danger peut naître », on se rendit aux raisons de l'administration d'Alger : « la suppression du remplacement nous aliénerait les classes riches », avait écrit le gouverneur (26). Si le remplacement demeura donc autorisé, le fait est que la rumeur contraire courut chez les Européens et chez les Musulmans.

Mais le maintien de ce système injuste qui exemptait les seules familles riches et aboutissait à de honteux trafics disqualifiait tout autant l'administration française. Comme l'autorité militaire se faisait très difficile pour l'acceptation des remplaçants, les familles pensaient que plus le remplaçant pèserait, plus il aurait de chance de n'être pas récusé. Elles achetaient donc des hommes, selon leur poids, à 20 ou 30 *douros* le kilo dans le Nord, plus cher encore dans le Sud-Constantinois ; d'où un véritable trafic d'hommes : un remplaçant était vendu 2.000 à 3.000 F. parfois plus en 1916. Les notables, seuls en mesure de procurer des remplaçants, se faisaient verser des sommes d'argent considérables par les familles des conscrits. Même les dispenses légales ou les exemptions déterminées par le tirage au sort, qu'il avait été question de supprimer en août 1916 et qui furent maintenues, entraînaient, dit-on, de la part des *chioukh* ou des chefs de fraction des demandes de *bakhchich*. Ceux qui refusaient de payer pouvaient se voir inscrits, eux ou leurs frères, sur les listes d'appelés (27). Les réquisitions de travailleurs devaient se faire aussi sur les listes de recrutement militaire et ce furent les notables qui désignèrent ceux qui seraient appelés et ceux qui ne le seraient pas. Dans ces conditions il est logique que l'insoumission ait sévi particulièrement dans les douars les plus pauvres et parmi ceux-ci dans les familles les plus démunies, celles qui n'avaient pu acheter de remplaçants ou obtenir d'exemption par faveurs de leurs *kebar* ou de leurs *chioukh* (28).

Bref, à entendre les témoignages des Algériens, à mesurer leurs rancœurs contre le refoulement colonial, leurs oppositions aux exigences des autorités françaises, on se convainc aisément que les causes essentielles et directes de la révolte furent bien la levée intégrale de la classe 1917 et la réquisition des travailleurs.

III - Les explications de l'administration coloniale.

a) *La propagande allemande ?*

Le climat de guerre et la mentalité de l'administration coloniale devaient provoquer pourtant un autre type d'explication à ces révoltes. O. Depont trouvait « à l'origine de l'insurrection des manifestations de la propagande allemande »,

Coïncées désormais entre les hauteurs du Bélezma et les terres de colonisation, les populations qui avaient perdu leurs moyens d'existence avaient tendance à multiplier leurs empiètements sur les forêts ; d'où un conflit aigu entre les éleveurs et le service des Eaux et Forêts (22). « La création du centre de Corneille, expliquaient par exemple les gardes forestiers, a refoulé en forêt trois mechtas du douar Merouana qui ne disposent d'aucun terrain de parcours » (23). Les populations avaient déjà réagi, avant 1914, en manifestant ce qu'il était convenu d'appeler « une violente hostilité à la colonisation », par la multiplication des délits. C'est en partie pour remédier à l'insécurité qu'on avait créé, en 1904, la commune mixte de Bélezma et prescrit, en 1905, à l'administrateur qui habitait Batna de s'installer à Bernelle en attendant la construction d'un bordj administratif à Corneille. Simultanément, en moins de 18 mois, la cour criminelle de Batna avait infligé, pour rétablir l'ordre, un total de quelque 200 années de travaux forcés.

Dans ce climat, on comprend l'état d'esprit des habitants de cette région : en décembre 1914, ils revendiquaient hautement leurs terres et faisaient paître leurs troupeaux sur les nouvelles propriétés des colons. Ils prévenaient même ceux-ci qu'avec l'aide des Allemands ils ne tarderaient pas à retrouver leurs biens. Leur rébellion était donc prévisible et, à regarder la carte, il est frappant de voir que les douars situés à proximité des périmètres de colonisation récente abritaient tous des réfractaires ou des déserteurs armés, alors que les douars plus éloignés restèrent calmes. La révolte de Bélezma en 1916 fut donc très largement l'aboutissement d'une guerre commencée en fait en 1904 et qui s'était manifestée de 1912 à 1916 par 17 attentats contre des personnes.

Aucune détente n'était intervenue et la situation économique s'était dégradée ; les récoltes avaient été nulles en 1914 et médiocres en 1916. L'accroissement de la misère aurait pu faciliter les engagements (24), mais l'administration locale fit des difficultés pour verser les allocations journalières dues aux familles. Le 17 mars 1916, la commission des Affaires extérieures de la Chambre invita sèchement le gouvernement « à faire assurer le paiement régulier des indemnités dues aux familles des indigènes recrutés ». Encore ne savait-elle pas tout. Dans la commune mixte d'Aïn Touta, par exemple, 121 familles seulement percevaient au 12 novembre 1916 les allocations légales alors que, selon l'inspecteur des communes mixtes, 250 environ eussent été habilitées à les toucher (25) ; il parlait d'« inconcevable négligence ».

3°) *L'opposition contre les décrets de septembre* 1916.

Le mécontentement aurait été accru, selon l'opinion française en Algérie, par la brusque suspension des dispenses et du remplacement. Un délégué financier Delphin, expliqua qu'il n'y avait eu révolte que parce qu'on avait touché à la fois toutes les classes de la société algérienne et non plus simplement les journaliers

Les déserteurs et les insoumis excitaient leurs coreligionnaires à ne pas rejoindre ; dans certains douars, on aurait même menacé ceux qui se soumettraient. « Les gens des Ouled Aouf de Seggana et de toute la commune de Barika avaient dit qu'il ne voulaient pas donner de conscrits et que le douar qui obéirait au gouvernement serait attaqué par les autres », expliqua un khodja. Selon lui, la défaillance de certains douars qui livrèrent leurs conscrits, aurait décidé le cheikh de Seggana à commander l'attaque de Mac-Mahon avec le concours des « bandits de Metlili » (19). A supposer exacte cette affirmation, peut-être calomnieuse, on voit qu'il aurait suffi des suggestions d'un seul personnage de second plan pour allumer une révolte souhaitée par beaucoup dans cette région.

Mais cette révolte visait seulement, semble-t-il, à faire reculer l'autorité française dans ses projets de conscription. Selon les témoignages unanimes des *djemâa* : « la rébellion s'est produite uniquement au sujet de nos enfants ». « On disait que, dans toute l'Algérie, les Musulmans résisteraient à la loi et qu'ainsi le gouvernement reculera ». Ainsi s'expliquerait qu'à l'exception de l'attaque contre Mac-Mahon, il n'y ait pas eu de mouvement concerté : plusieurs douars se rebellèrent successivement, le jour prévu pour le conseil de révision des conscrits. Certains en furent empêchés par le déclenchement des opérations militaires. Selon le chef de l'annexe de Biskra, « une résistance générale avait été décidée entre toutes les populations (Nememcha, Harakta et Ouled Rechaïch) de la montagne et des hauts plateaux pour une insurrection, non contre la France, mais pour résister dans la mesure du possible ». Mais à la mi-décembre, devant la vue de colonnes circulant « partout à la fois », les tribus déconcertées étaient en plein désarroi (20). Cela n'empêcha pas la formation d'un ou plusieurs groupes armés et le 22 janvier 1917, encore un *djîch* vint libérer des conscrits près de Khanga Sidi Nadji.

2°) *Les rancœurs contre le refoulement colonial.*

Au total, il reste à expliquer pourquoi une minorité de douars fut concernée. Lesquels ? Le mouvement d'insoumission, esquissé dès septembre 1914 dans les communes de Barika, Bélezma, Aurès et Khenchela, s'alluma à nouveau deux ans après dans la plaine du Hodna oriental après l'échec de la colonne militaire envoyée à Barika. La rumeur d'une attaque des bordjs courut même l'Aurès dès le mois d'octobre et se matérialisa curieusement un mois après contre les postes de Mac-Mahon et Barika. Ce furent les gens des tribus Ouled Soltane (douars Ouled Aouf, Markounda) et Ouled Bou Aoun du Bélezma (douars Ouled Fatma, Merouana et Ouled el-Ma) qui s'insurgèrent solidairement les premiers (21). Pourquoi ces douars ? Là se trouvaient impliquées des populations qui, insurgées et séquestrées en 1871, avaient été refoulées une douzaine d'années avant 1916 pour la création des centres de colonisation de Corneille (1903), Bernelle et Pasteur.

appeler des conscrits. Pour l'ensemble des communes de l'arrondissement de Batna, 123 hommes avaient été appelés en 1914, mais 246 en 1915 et 506 en 1916. En fait, compte tenu des engagés et des remplaçants, les chiffres réels d'appelés furent de 75 en 1914, 138 en 1915 et 419 en 1916.

L'incorporation de la classe 1916, réalisée le 2 août dans la commune de Barika et ailleurs dans la deuxième quinzaine du mois, avait déclenché des protestations très vives. Mais lorsqu'on apprit, fin août, le recensement de la classe 1917 qui devait être tout entière incorporée, cependant que des hommes seraient réquisitionnés pour aller travailler en France, l'opinion presque unanime dans les douars fut que le gouvernement organisait une conscription forcée de tous les hommes de 18 à 45 ans. Il avait été de plus question de la double suppression des dispenses pour charges de famille et du droit au remplacement. Toutes les familles se sentirent donc visées et furent solidaires dans leurs protestations. « Nous ne donnerons pas nos enfants ! crièrent à l'administrateur, le 24 septembre 1916, les hommes de la mechta Taleb du douar Metkaouak (commune mixte de Barika). Nous préférons les voir mourir en Algérie plutôt qu'en France ». Des Algériens de Touggourt, après un voyage à Batna, rapportèrent : « L'effervescence dans la région du Nord est due aux ordres donnés que les conscrits ne peuvent plus se faire remplacer et que la conscription est générale pour tous, de 18 à 45 ans. Tous ceux qui ne sont pas pris comme soldats doivent partir comme travailleurs, sauf les impotents... C'est pourquoi les montagnards ont déclaré qu'ils ne marcheraient pas et se révolteraient plutôt ».

Les notables des villes du Constantinois pétitionnèrent eux aussi contre l'appel de la classe 1917, puis contre la réquisition des travailleurs : « Abandonner femmes, enfants et biens pour aller travailler en France nous paraît un sacrifice au-dessus de leurs forces » (17). Le Gouverneur général voulut y voir une campagne organisée par les Jeunes Algériens, cependant que le ministre de l'Intérieur, rendu inquiet par la multiplicité des lettres de protestation, recommandait, le 28 septembre, de ralentir le recrutement par réquisitions dans les régions difficiles.

Or, dans ces régions, le nombre des insoumis et déserteurs augmentait. Le commandant du territoire de Touggourt signalait, le 15 novembre 1916, que sur les 150 cavaliers du 1er régiment de spahis mis à sa disposition en 1915, « il n'en reste plus que 85 ; quant au 3me régiment de spahis à Biskra, il ne compte plus qu'une huitaine d'hommes pour 50 chevaux ». En ce qui concernait les tirailleurs, on évaluait à 3.214 le chiffre de ceux qui avaient quitté, depuis 1914, leurs unités stationnées en Algérie ; 286 étaient originaires de l'arrondissement de Batna. Le mouvement fut-il concerté ? Certains déserteurs s'étaient organisés en bandes, lesquelles arrêtaient les diligences et coupaient les routes. Des « bandits d'honneur » prenaient parfois leur tête, tels les frères Ben Zelmat dans l'Aurès ou Ben 'Ali Mohammed ben Noui installés dans le Metlili depuis 1915 (18)..

un peu plus tard dans une correspondance adressée à une personnalité italienne de « la sauvagerie de la France » : « Elle incorpore nos enfants dans l'armée et les envoie à la mort. Elle les pousse au premier rang dans les mêlées et dans les assauts, malgré eux. On dirait qu'elle achète des bêtes de somme au marché (...) Pourquoi faisons-nous la guerre aux Allemands ? Parce que la France nous a mis au rang des bêtes et qu'elle nous pousse contre des gens avec qui nous n'avons ni relations, ni causes d'inimitié ...) Vive la paix ! Vive l'Afrique du Nord indépendante débarrassée du collier de la servitude ! ».

Bien que ce témoignage nationaliste soit unique, il ne faisait sans doute que traduire des sentiments plus largement répandus.

Dans la région de Barika, on disait en 1916 que l'Allemagne était sur le point de remporter la victoire et que la France était perdue. Des prophéties, des chansons annonçaient de prochaines insurrections : « Le Tell sera dévasté et réduit en poussière comme un bois vil, de Sétif à Bordj bou Arréridj ». L'Algérie était dégarnie des régiments d'active et une chanson composée dans le Hodna assurait : « les Chrétiens sont partis avec leur colonnes et ont été engloutis par les vagues de la mer ». Ces rumeurs ne firent que se multiplier de 1914 à 1916.

Le 15 octobre 1916, le préfet de Constantine écrivait au gouverneur Lutaud : « Le bruit se répand que si le gouvernement appelle non seulement les jeunes gens (comme soldats), mais les hommes de quarante à quarante cinq ans (comme ouvriers), c'est que nous manquons totalement d'hommes ». Plusieurs des conscrits réfractaires qu'on arrêta en décembre 1916 avouèrent : « On nous avait dit qu'il n'y avait plus de Français » ; d'autres expliquèrent qu'à Biskra et Batna on ne voyait plus que quelques zouaves, des territoriaux « à barbe blanche », qui ne paraissaient guère redoutables. L'un des chefs des insurgés du Metlili, Mohammed Ben Noui, encourageait ses hommes peu avant l'attaque de Mac-Mahon en leur criant : « En avant ! En avant ! Auriez-vous peur de 20 zouaves ? »

La répulsion qu'inspirait aux populations algériennes l'appel sous les drapeaux français n'avait elle aussi cessé de s'amplifier. Dès la fin d'août 1914, l'administrateur de Barika signalait « un commencement d'agitation inspiré par les travaux préparatoires de la conscription ». Et celui de l'Aurès s'entendit répondre : « Nous sommes prêts à vous donner tout ce que vous nous demanderez, notre argent, nos récoltes. Mais nous préférons mourir sur place plutôt que de donner nos enfants ». Une protestation, lancée semble-t-il d'abord dans la région de l'Oued el-Abdi, fut souvent répétée : « Nous ne voulons pas donner nos enfants à l'autorité française pour qu'elle les offre en pâture aux canons de ses ennemis » (16). Devant ces résistances, les autorités militaires avaient cru devoir faire circuler dans l'Aurès, du 29 octobre au 11 novembre 1914, une grosse colonne et elles renoncèrent à y

Bien d'autres diagnostics furent formulés, parmi lesquels l'historien peut retenir les jugements du sénateur Flandin, dans le rapport détaillé qu'il fit devant la commission de l'Armée le 16 novembre 1917, et ceux du ministre de l'Intérieur en date du 23 décembre 1916. Mais on doit essentiellement avoir recours à deux enquêtes menées en Algérie, l'une au début de 1917, par la commission des Affaires extérieures de la Chambre, et l'autre postérieurement, par l'inspecteur général des communes mixtes, Octave Depont (12). Tous ces textes, largement contradictoires, doivent être interprétés et lus avec précaution, mais surtout peut-être le monumental rapport Depont du 1<sup>er</sup> septembre 1917 (454 pages dactylographiées). C'est une œuvre au fond polémique, écrite pour la justification de l'administration civile et où grondent les passions coloniales ; c'est aussi l'œuvre du spécialiste animé d'une véritable phobie contre les confréries musulmanes, et d'avance persuadé qu'« à l'origine de toutes les insurrections indigènes dirigées contre nous, on rencontre toujours une main maraboutique » (13). Les députés de la commission d'enquête avaient au contraire rejeté cette explication en écrivant : « Le fanatisme musulman n'a pas non plus joué de rôle dans les troubles de Batna ; bien au contraire, les influences maraboutiques sont intervenues en notre faveur ».

Les divers rapports diffèrent également sur les responsabilités du décret du 14 septembre 1916 (qui prévoyait l'embauche ou à défaut la réquisition de travailleurs), sur l'effet de la propagande étrangère et sur l'ampleur des événements. Par exemple, O. Depont, en parlant d'une « proclamation de la Révolution » le 11 novembre 1916, accrédita la thèse d'une insurrection politique, tandis que les députés jugèrent au contraire : « Pas un instant, le mouvement n'a eu le caractère d'un mouvement insurrectionnel dirigé contre la souveraineté et la domination française ». Ces jugements contradictoires appellent l'arbitrage de l'historien qui peut être conduit, il est vrai, à des explications différentes de celles retenues par les contemporains.

Il lui appartient d'abord d'écouter plus attentivement que ne le firent les Français de cette époque les témoignages des Algériens. Or, ceux qui ont été conservés permettent d'imaginer les réactions de l'opinion.

1°) *Les témoignages des Algériens.*

Quelques Algériens dont la correspondance fut interceptée, ne cachaient pas au début de la guerre leurs espérances. Un intellectuel écrivait de Tolga à un jeune Algérien d'Alger : « J'ai trouvé à Biskra les esprits très agités (14)... J'espère qu'il se produira une grande révolution qu'on pourra appeler la Révolution algérienne (...) Les jours viennent à nous avec des visages amis. Les frères sont dans la joie, la lèvre du temps nous sourit » (15). Et il se plaignait

comme « rebelles » les douars qui avaient refusé la conscription ou laissé commettre des sabotages, 22 douars peuplés de 75.068 habitants seraient entrés en rébellion. Les fractions touchées représentaient ainsi environ 22 % de la population de l'arrondissement de Batna (6). (cf. tableaux annexes).

Enfin cette révolte ne mobilisa guère, semble-t-il, que des déserteurs partis avec leurs armes et des insoumis à l'armement hétéroclite ; très peu nombreux furent les autres Algériens qui y participèrent, sans doute faute d'armes (7). A combien peut-on évaluer le nombre de ces « maquisards » ? La commission disciplinaire établie à Batna « pour condamner là où la justice ne se serait peut-être pas contentée de preuves insuffisantes » selon le rapport parlementaire, condamna 805 prévenus « mineurs » sur 825 inculpés et 165 inculpés « majeurs » furent traduits devant les conseils de guerre ; cela ne signifie pas qu'il y eut un millier d'insurgés, mais donne un premier ordre de grandeur. Les services de renseignements militaires ont évalué à 2.614 les rebelles dans trois communes les plus concernées et à 290 ceux de la commune mixte de l'Aurès (8).

Au total, il paraît donc conforme à la réalité de parler de trois à quatre mille insoumis plus ou moins organisés parmi les quelques dizaines de milliers qui furent tenus pour entrés en état d'insubordination dans une région peuplée de plus de 300.000 habitants. Certes, deux hauts fonctionnaires suggérèrent notamment dans leur historique des événements des chiffres plus élevés (9), mais la critique des sources ne permet pas de les suivre. Ce serait de même une erreur d'attribuer, au nom de je ne sais quel romantisme, l'exclusivité de cette révolte aux « rudes montagnards Chaouïas de l'Aurès », « cette Vendée des causes perdues » selon un publiciste français.

Mais alors le problème doit être posé : quelles furent les origines exactes de ces troubles insurrectionnels du Sud-Constantinois qui ont inspiré une littérature coloniale aussi abondante que suspecte ?

## II - Un essai d'enquete historique.

Notre souci d'une information impartiale fut aussi celui de certains contemporains. Le 16 novembre 1916, Clémenceau, alors président de la Commission sénatoriale de l'Armée, demanda à être exactement renseigné sur les causes et la nature de ces troubles. Le Ministère de la Guerre lui répondit avec une rude franchise : « L'enthousiasme du début de la guerre a fait place à une aversion progressive du service militaire à laquelle les pertes subies par les tirailleurs algériens ne sont pas étrangères (10). A ces causes de mécontentement il faut ajouter dans le Sud-Constantinois la sourde rancune accumulée par la création de centres de colonisation (Mac-Mahon, Corneille, Pasteur) qui refoulent des douars sur des terres à peu près incultes » (11).

La répression avait été, selon le rapport de l'inspecteur des communes mixtes O. Depont, « ce qu'elle devait être rapide, énergique, sans faiblesse ». Le général de Bonneval, dont les troupes eurent 15 tués, 30 blessés et 2 disparus, estimait qu'une centaine de Musulmans avaient pu être tués au cours des opérations. Mais pour les députés de la commission des Affaires extérieures qui vinrent enquêter sur place, ce dernier chiffre paraissait être inférieur à la réalité. Leur rapport stigmatisa comme « un massacre inadmissible » le fait qu'on avait parfois tiré sur des gens qui s'enfuyaient ; il déplora qu'ait été refusée, comme trop tardive, la soumission du douar Ouled Messaoud. Enfin, les députés condamnèrent les procédés de représailles collectives : mechtas brûlées, silos vidés, blé et bétail saisis et revendus. Le général Moinier devait lui-même se plaindre des excès des zouaves européens d'Algérie « qui au Bélezma ont provoqué des incidents ». La mémoire collective des Algériens a surtout retenu l'action « des Noirs sénégalais qui incendièrent, violèrent et tuèrent » (4).

Ce simple rappel des faits pose une première question : la répression militaire avait-elle écrasé dans l'œuf une insurrection plus vaste ? On le laissa entendre dans les rapports militaires, sans toutefois y insister. Selon une information retenue par le commandement, les rebelles de l'Aurès et du Chechar auraient décidé à Sidi Fathallah, dans l'espoir de faire basculer les indécis, d'attaquer dans la nuit du 28 au 29 décembre, Medina, puis Arris et Tkout. Ils n'y auraient renoncé qu'à la vue d'unités armées de mitrailleuses et de canons. Mais ces informations reposaient sur une source unique et ne purent être vérifiées.

Selon les civils, la terreur provoquée par l'escadrille d'avions Farman aurait eu des effets positifs. En réalité, les 6 avions venus de Tunisie firent quelques vols de reconnaissance à partir du 1er février et 3 furent aussitôt accidentés. L'administrateur de Khenchela constata qu' « ils étaient un objet de distraction, non de crainte ». C'est pourquoi, à partir du 12 février, ils jetèrent quelques bombes loin des villages, à titre d'avertissement. S'il y eut effet dissuasif, il tint sans doute plutôt au doublement des forces engagées : 6.142 hommes et 106 officiers au 1er décembre 1916, 13.892 hommes et 275 officiers au 1er janvier 1917. Mais on doit bien remarquer que le mouvement de rébellion régressait avant même que les troupes venues de France fussent réellement engagées, le 22 décembre (5).

Ce qui autorise une seconde question : l'insurrection n'aurait-elle pas été moins importante que les autorités militaires ne le redoutèrent au début ? Si l'insubordination, le refus opposé à la conscription et à la réquisition des travailleurs touchèrent une très vaste région, ce fut très inégalement. Malheureusement, on ne peut pas établir avec certitude combien de douars ou de fractions se montrèrent réfractaires ; de 22 à 30 sur 113, semble-t-il, selon qu'on enregistre ou non les douars dits « contaminés ». Selon les officiers de renseignement qui considéraient

Au total, s'étaient constituées trois zones de rebellion : la plus importante dans le Bélezma, le Metlili et la plaine de Barika ; la seconde dans l'Aurès oriental et le Chechar ; la troisième dans les massifs situés entre Aïn Kercha et Khenchela (Fedjouj, Bou Arif).

Le commandement militaire français qui ne disposait en fait que de 6.000 hommes en état de faire campagne, notamment des Sénégalais cantonnés à Biskra, les employa d'abord à protéger les centres de colonisation (Bernelle, Corneille, etc...) et des points stratégiques (Arris, Tkout). Puis, devant la relative passivité des insurgés qui se bornèrent à quelques coups de main pour « délivrer leurs frères » incorporés d'office, il passa à la contre-attaque le 18 novembre. Les troupes sénégalaises furent lancées dans le djebel Bosdan puis dans le Mestaoua où elles eurent dix tués le 5 décembre ; des bataillons de zouaves et des Sénégalais ratissèrent ensuite du 19 au 30 décembre le Bélezma préalablement encerclé par des barrages de troupes. Il avait fallu aussi renforcer les garnisons de l'Aurès.

Les effectifs se révélant insuffisants pour la préparation de ces opérations, le général de Bonneval demanda des renforts au soir du 30 novembre quand il apprit l'attaque d'un convoi, près de Bernelle, qui permit aux recrues de s'enfuir ; le gouverneur Lutaud qui, jusque là, minimisait le mouvement réclama soudain deux brigades de renfort et des avions « pour terrifier les indigènes ». Le haut commandement français accepta, non sans réticences, de retirer du front une brigade de 6.000 hommes qui arrivèrent en Algérie pour les opérations de la mi-décembre. Celles-ci se poursuivirent en janvier : des colonnes parcoururent tous les massifs montagneux ; fouillant les grottes, arrêtant insoumis et déserteurs, elles opérèrent aussi bien dans le Mestaoua, le Metlili, le Chechar que dans le Hodna et l'Aurès (3).

La plupart de ces opérations furent de simples tournées de police : il n'y eut nulle part de combats après décembre 1916, ni même de résistance armée. L'administration civile retint à titre symbolique la date du 24 janvier 1917 où l'on avait tiré quelques coups de feu sur l'administrateur de la commune mixte des Maadid comme signifiant la fin des mouvements insurrectionnels. En fait, dès le 5 janvier, le général de Bonneval considérait la révolte comme terminée, sauf dans le Chechar et le douar Zellatou et le gouverneur général proposait, le 19 janvier, le renvoi de la 250ème brigade d'infanterie. Elle ne regagna la France qu'en mars après avoir participé à des « tournées destinées à montrer la force militaire » jusque dans la commune d'Aïn M'lila (djebel Guerioun). Pour le général de Bonneval les opérations ne prirent fin que le 27 avril.

I - Bref historique des evenements.

Le 10 novembre 1916, le gouverneur général de l'Algérie signalait au gouvernement français que les résistances à la conscription qui s'étaient manifestées depuis la fin de septembre avaient pris un tour inquiétant dans le Sud-Constantinois où l'on avait enregistré en 12 jours, 18 assassinats ou tentatives d'assassinat. Dans la commune mixte de Barika, une petite colonne militaire destinée à impressionner les populations avait dû rebrousser chemin, face à leur menaçante détermination. Dans la commune mixte de l'Aurès, un seul douar avait présenté ses conscrits et l'administrateur faisait craindre une attaque contre Médina.

Celle-ci se produisit en réalité loin de là, le lendemain, contre le bordj de Mac-Mahon, siège de la commune mixte d'Aïn-Touta, après que les opérations du conseil de révision se fussent déroulées calmement en présence du sous-préfet de Batna, Cassinelli, et de l'administrateur, Henri Marseille. Une troupe évaluée de 800 à 1.500 hommes envahit dans la nuit du 11 au 12 le village, incendia et pilla le bordj non gardé ; les deux fonctionnaires français furent assassinés. Dans la même nuit, un brigadier forestier de la station des Tamarins fut tué et dans la commune de Barika près de N'gaous une ferme saccagée. Le 12, le village de Barika était encerclé et assiégé jusqu'à l'arrivée d'une colonne militaire dans la nuit suivante. Le 14, un détachement de zouaves fut attaqué près de Seggana ; le 18, la colonne essuya des coups de feu dans le douar voisin Tilatou.

Dans les jours qui suivirent, plusieurs douars de la commune mixte de Bélezma s'insurgèrent et des hommes armés se jetèrent dans les montagnes boisées d'alentour, notamment dans le djebel Mestaoua, comme plus au Sud d'autres se réfugiaient dans le massif du Metlili.

Au Nord, dans l'arrondissement de Constantine, quatre ou cinq douars de la commune mixte d'Aïn M'lila refusèrent de présenter les inscrits à Aïn Kercha et certains de ceux-ci gagnèrent les montagnes proches, djebels Guerioun, Fedjouj et Bou Arif. Des conscrits furent enlevés Le 18 décembre, une centaine d'hommes des Ouled Sebah allèrent attaquer dans la commune mixte d'Aïn el-Ksar, au S. W., le vieux village de Chemora peuplé de Musulmans et négligèrent le nouveau Chemora peuplé de colons.

Les tribus de l'Aurès, dont on redoutait l'action, demeurèrent dans l'expectative : seuls, chez les Beni bou Sliman, deux fractions du douar Zallatou, 1.500 habitants sur les 35.000 de la commune, passèrent à l'insoumission et le manifestèrent par quelques pillages. Enfin, dans la commune mixte de Khenchela, plusieurs fractions du douar Ouldj Chechar (2 à 5 selon les sources) et la totalité du douar Aliennas avaient pris les armes au lendemain du 11 novembre.



# LES TROUBLES INSURRECTIONNELS DU SUD-CONSTANTINOIS (novembre 1916 - janvier 1917)

**Par le Docteur Charles-Robert AGERON**
*Professeur à l'Institut d'Histoire,*
*Faculté des Sciences de l'Homme,*
*Université François Rabelais — Tours (France)*

C'est une affirmation courante mais exacte que l'Aurès, « cette Kabylie du Sud », représenta un des hauts lieux de la résistance algérienne pendant toute la période coloniale : ne fut-il pas le théâtre d'insurrections répétées, quasi périodiques ? Toutefois, dans l'énumération de celles-ci, les chroniqueurs ont peut-être trop facilement rattaché les soulèvements de 1859, 1860, 1864, 1871 et 1879 aux agitations de 1916, et certains ont parlé d'une grande insurrection de l'Aurès entre novembre 1916 et mai 1917. Qu'il y ait là quelque exagération, on s'en convaincra aisément en analysant les troubles qui, durant deux mois environ, agitèrent assez profondément le Sud du Constantinois du Hodna oriental au djebel Chechar, l'Aurès proprement dit étant à peine touché (1).

Dans les limites d'une brève communication, nous présenterons d'abord un historique succinct des événements, en nous attachant ensuite à en apprécier les caractères et les origines, notamment par la critique des diverses explications qui en ont été proposées. Mais cette recherche fondée sur l'utilisation des seules archives françaises ne saurait être exhaustive ; elle appellerait en complément une enquête rétrospective auprès d'Algériens ayant participé au mouvement insurrectionnel et la consultation de documents qui pourraient avoir été conservés (2).

S'il est avéré que l'Histoire est la mémoire des nations, que celles-ci peuvent atteindre les cîmes si elles en tiennent compte, si Schopenhauer a dit vrai en affirmant que « l'Histoire est, pour les nations, ce que la raison est pour les individus » (1), si elle n'est donc pas matière à apprendre par cœur et à ânonner, s'il appartient aux nations de tirer la leçon des expériences, de promouvoir le rapprochement des peuples sur la base de la justice, afin de renforcer leur solidarité, c'est là tout le sens à attribuer à l'inclusion de ce thème dans l'ordre du jour de votre séminaire, en demandant à chacun de nous d'éviter les outrances et les faux pas, d'observer la plus grande rigueur scientifique et probité intellectuelle possibles, pour ne nous en tenir qu'aux faits précis et aux arguments convaincants.

Dans le cas contraire, craignons que la colère de Dieu ne nous pétrifie et qu'Il ne condamne votre science au tarissement et à la sécheresse !

Puisse Dieu nous préserver de pareilles calamités, qu'Il éloigne de chacun de nous le mal de la critique passionnée, pardonne à celui qui n'ose pas affronter les libres débats (2), multiplie les récompenses de celui qui les aborde avec témérité et élargisse pour nous les horizons du savoir.

Qu'il dispense enfin à notre séminaire Sa lumière et Sa générosité, l'inspire chaque fois un peu mieux, l'élève toujours plus haut et le porte plus loin.

Que le salut soit sur vous !

---

(1) Schopenhauer (Aphorismen) : « Was die Vernunft dem Individuum, das ist die Geschichte dem menschlichen Geschlechte ».

(2) De ce Séminaire, s'entend.



*De droite à gauche : Capitaine Belkacem NOUASRIA, adjoint du chef de la Ve Région Militaire, MM. Noureddine SAHRAOUI, wali de Batna ; Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM, prononçant l'allocution d'ouverture et le Commandant ALLAHOUM, chef du Secteur Militaire.*

Le chien, ce symbole de la fidélité, est jeté à la rue par son maître, l'être dit humain, ou bien on l'attache à des poteaux ou à des arbres et autres piquets pour qu'il meure sous les coups, sous les jets de pierres des enfants, de faim et de soif, et tout ceci pour la tranquillité des vacanciers et autres profiteurs et jouisseurs assurés de l'impunité et même de simples observations ou remontrances.

5°) Le cinquième thème a pour titre : « Passé et continuité : telle est l'Algérie, et ce n'est ni un enfant ni un fantôme ». Nous rappelons à notre jeunesse la pérennité de son Histoire, son passé authentique, son Algérie non moins historique que des pays dont les dirigeants se plaisent à rappeler qu'il est (leur pays) « historique » et que d'autres pays ne sont que « jeunes », «récemment promus à l'indépendance » et autres formules sibyllines ou flagrantes qui ne signifient ni plus ni moins que ceci, avec un lourd sous-entendu péjoratif : « ces pays qui viennent à peine d'émerger du néant et de l'anonymat » !

Nous rectifions donc tout cela à l'intention de notre jeunesse, en ayant présent à l'esprit que, si certains professionnels de l'historiographie ont perdu la mémoire ou se sont fourvoyés dans des labyrinthes, les historiens, heureusement, ne sont pas tous de cet acabit !

Nous dirons à la jeunesse l'histoire de la patrie, cette histoire qui a été dénaturée pour agir à la manière d'un poison, à telle enseigne que d'aucuns ont pu dire, sans rougir, que nous étions « imperméables aux concepts d'Etat et de Nation ! ».

N'est-ce pas pourtant Massinissa qui disait : « l'Afrique aux Africains » ? (1) Et ceci n'est-il pas confirmé par les historiens romains et grecs ? Oserez-vous encore le nier, hommes du Maghrib ou du Machriq (2), chiîtes, achaârites ou azraquites ? Alors que des rabbins et des patriarches l'ont bien reconnu !

Nier cette réalité, outre que c'est un acte gratuit et arbitraire, ne peut provenir que d'un vil falsificateur, fut-il né dans une chaumière ou dans un palais, à qui aucun historien digne de ce titre ne sera reconnaissant !

C'est là un exemple de notre histoire oubliée ou que certains ont feint d'oublier pour ne retenir que les époques romaine (3) et française, comme si notre peuple n'avait pas existé, ou avait été oublié, tel le prophète Joseph au fond du puits biblique et... coranique !

---

(1) Salluste : « Bellum Jugurthae » (La guerre de Jugurtha).

(2) Dans le sens d'habitants de l'Orient et de l'Occident (Dieu des deux Machriqs et des deux Maghribs), c'est-à-dire les plumitifs du monde entier, excepté les intègres auxquels nous faisons allusion et qui existent aussi — Dieu en soit loué — dans le monde entier.

(3) Il s'agit de tous les envahisseurs du pays avant l'Islam : Romains, Byzantins, Vandales...

cet examen nous semble intervenir à son heure, afin que l'Université — notre ex-grande dame vénérée — soit sauvée de l'effondrement. Car nul ne conteste, de nos jours, que le contenu de celle-ci s'est amenuisé, que son niveau a régressé, que ses sources risquent de se tarir. Pour tout dire, l'Université aujourd'hui inflige parfois une cuisante déception aux étudiants studieux et sérieux, tandis qu'elle laisse assassiner entre ces murs la morale et les bonnes mœurs et qu'elle s'éloigne de plus en plus de l'intérêt bien compris des peuples !

4°) Quatrième thème : « Où va la famille dans le monde ? Vers des temps fastes ou difficiles ? » Nous voulons, par ce débat, lever le voile sur ce qui se trame contre cette institution vénérable, sur le sort hélas prévisible qui semble la guetter, à en juger par les sirènes qui s'acharnent contre elle et jubilent par anticipation à l'idée de son prochain déclin.

Certes, l'organisation des Nations Unies a bien fait en proclamant « l'Année de la femme » (1) et « l'Année de l'enfant » (2). Mais combien serait-elle audacieuse et inspirée en organisant trois autres années : pour l'homme, les vieux et les animaux (3).

Car il n'est pas concevable que ces trois entités n'aient pas, elles aussi, leur année. Seraient-elles dévaluées à l'instar des matières premières ? Ou serait-ce que le vacarme assourdissant déclenché par la femme les a reléguées à l'arrière plan ?

La situation actuelle de l'homme n'est pas brillante, car les coups qui sont dirigés contre lui de toutes parts, la cible permanente qu'il est devenu pour les uns et pour les autres, font que sa vie quotidienne est devenue un véritable calvaire et qu'il est moins bien traité que les animaux !

De nombreux organismes commencent à dénoncer cet état de fait, sous des appellations chaque jour nouvelles et multiples. Implantés en divers points de l'Europe, ils mènent campagne pour la « défense des droits de l'homme » *homme*, afin que le sexe mâle ne soit pas mis définitivement hors d'état... d'exister !

La tragédie vécue par les vieux, (hommes et femmes), les petits enfants et les animaux apparait dans toute son horreur lors des grandes vacances, quand la folie du départ s'empare de tout le monde et que les vieux sont jetés dans les asiles, lesquels, loin d'être des lieux de sauvetage, sont, au contraire, de véritables antichambres de la mort !

---

(1, 2, 3) L'O.N.U. avait déclaré l'année 1976 « l'Année de la femme », et 1979 « l'Année de l'enfant ». Nous lui suggérons ici d'adopter trois autres années : pour l'homme, les vieux (des deux sexes évidemment) et les animaux. Abstraction faite de l'efficience de telles « Années » et de leur aspect purement platonique, poétique et théorique.

Car c'est bien cet esprit de libre discussion qui nous fait goûter tour à tour la douceur et l'amertume, recueillir souvent l'orge des humbles là où nous escomptions récolter du blé, dans notre quête obstinée des joyaux qui naissent immanquablement du choc des idées et du dialogue ouvert à tous.

1°) Le premier thème de notre ordre du jour s'intitule : « Les Aurès : hauts faits et hauts lieux ». Nous aurons là l'occasion de parcourir les annales de cette région, ses jours et ses nuits. Nous constaterons, chemin faisant, qu'il est des nuits éminemment lumineuses, et ce ne sont certes pas les habitants de cette contrée qui nous démentiront, eux qui excellent à préparer et à mener à bien des événements majeurs, soutenus par leur sobriété et leur foi légendaires, ne reculant devant aucun danger ni sacrifice lorsqu'il s'agit de défendre la justice et le droit.

2°) Le second thème a pour titre : « Religion (ou foi) et Science ».

Il s'agira d'examiner sous cette rubrique ce que pensent et disent de la religion (ou de la foi) aussi bien le croyant convaincu et zélé que l'athée et le restrictif, le spiritualiste et le matérialiste.

Est-il vrai que la religion étouffe la science, qu'elle empêche le progrès et ne s'accorde donc ni avec l'un ni avec l'autre ? Nous attendons de pied ferme l'esprit génial qui nous en fera la démonstration péremptoire. Les auteurs de telles assertions en sont-ils sûrs et, partant, sont-ils en mesure de nous tirer de l'impasse avec eux-mêmes? A moins que ces assertions ne dénotent chez leurs auteurs un manque de confiance en eux-mêmes et qu'ils n'aspirent qu'à nous attirer à leur suite aux abîmes ?

3°) Nous aborderons en troisième lieu le thème : « Vue d'ensemble sur l'Université » .

Nous nous efforcerons de faire ressortir le rôle de l'Islam dans la naissance et l'évolution de l'Université à travers le monde à partir du noyau initial représenté par la mosquée. Nous verrons comment l'Université a perdu de son lustre d'antan, les atteintes qui sont portées à son autorité et à son prestige et le déclin de ses traditions, son incapacité à répondre au travail de sape d'une poignée de trublions. L'Université, jadis foyer de rayonnement et de courage lucide, est devenue aujourd'hui cette pusillanime qui sollicite le bon vouloir d'un Bendit (1). Aussi,

---

(1) Cohen Bendit, l'étudiant germano-français qui avait raté ses études et qui déclencha un grand désordre lors des manifestations en mai 1966 à l'Université française. Ces événements ont eu les effets les plus graves au sein de cette Université, des Universités à sa traîne et dans le monde. A telle enseigne que dans de nombreuses Universités, ce sont maintenant les étudiants qui décident des méthodes et des matières enseignées. D'où baisse du niveau, dissolution des mœurs, autant de résultats négatifs déplorés par le plus grand nombre qui ne cessent de s'en plaindre et de lancer des cris d'alarme .



# « O, MADAME L'UNIVERSITE ! » (1)

par
Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM,
*ministre auprès de la Présidence de la République, chargé des Affaires Religieuses*

Eminents professeurs,

Mesdames et Messieurs,

Frères étudiants, sœurs étudiantes,

Permettez-moi d'inaugurer cette allocution par les termes dont nous nous sommes servi pour clôturer nos précédents travaux à Ouargla et de vous souhaiter donc la bienvenue «dans l'une de nos citadelles avant et après l'avènement de l'Islam, là où le 1er Novembre a trouvé dès le début son berceau, au flanc des monts Chélia et Chalaâlaâ, même si l'un et l'autre sont presque chauves, en ces contrées qui n'hésitent pas à déclencher la guerre en cas de nécessité, quand retentit l'appel du destin, dans ces montagnes qui considèrent les lueurs de la poudre comme un flambeau et fêtent le martyr à l'égal d'une noce, à Batna, capitale des Aurès ! »

Cinq thèmes sont proposés à nos conférences et à nos débats, et nous les traiterons, comme à notre habitude, dans la clarté et la franchise qui nous dispensent des chemins tortueux et du chuchotement. Cette ligne de conduite restera nôtre comme elle l'est aujourd'hui et comme elle le fut hier. Il en sera ainsi jusqu'au jour où nous deviendrons incapables de parler et de lire même par le toucher, et le mieux qui puisse nous advenir dans pareille conjoncture serait la retraite du tombeau qui nous célerait à la clarté. Mais l'esprit des séminaires est désormais impérissable !

(1) Traduction de l'allocution d'ouverture du 12e Séminaire sur la Pensée Islamique, Batna le 07 septembre 1978.

# TABLE DES MATIERES